السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/١٣/١

كتاب الالمام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الاسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٢م)

الجزء الأول

بدأ تحقيقه
من مخطوطات برلين و القاهرة
الدكتور إتيين كومب المتوفى سنة ١٩٦٢ م

و أتم تحقيقه و التعليق عليه
من مخطوطات برلين و القاهرة و بانكى پور
الدكتور عزيز سوريال عطيه

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة

الدكتر محمد عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م



جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.

مقدمة

إنّ هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم لقرّاء العربية منشورا لأوّل مرّة فى سلسلة "مطبوعات دائرة المعارف العثمانية" بحيدراباد الدكن من الكتب المخطوطة النادرة ، ألّفه مؤلّفه محمد بن قاسم بن محمد النويرى المالكى الإسكندرانى المتوفّى بعد سنة ٧٧٥ه/١٣٧٢م تحت عنوان "كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضيّة ، فى وقعة الإسكندرية ، و عودها إلى حالتها المرضيّة" و ذلك على إثر الكارثة التى نزلت بالمدينة فى حملة القبارصة و أحلافهم من أوربا أثناء عام ٧٦٧ه / ١٣٦٥م ، فدمّروا منها ما استطاعوا تدميره ، و نهبوا ما أمكنهم حمله من كنوزها ، ثم رحلوا عنها بعد أيام قلائل شاهدت فيها المدينة كارثة من أكبر الكوارث التى حلّت بها فى تاريخها الطويل[1] .

و كان غرض المؤلف الأوّل من تحرير الكتاب تسجيل مذكّراته و مشاهداته و ما أمكنه جمع شتاته من المعلومات عن تلك الحملة الصليبية الجامحة الكاسحة ، و لكنه أخذ فى الاسترسال فى الحديث عن شتّى الفنون بمستطردات واسعة فى الأدب و التاريخ و الفقه و علوم الكلام و الحديث و القصص و غير ذلك من الموضوعات التى لا تمتّ بصلة للغرض

(١) راجع تاريخ هذه الحملة و مصادرها فى كتابى عن موضوع
The Crusade in the Later Middle Ages, (London 1938; Reprint by Kraus, New York 1965), pp. 343–78 and notes.

الأصيل مما زخر به الكتاب حتى أصبح أشبه بموسوعة أدبية عامّة منه بسجلّ تاريخي خاص .

و رغم ذلك فانّ كتاب النُوَيري يُعتبر بلا نزاع الحجّة الأولى عن تاريخ تلك الحملة من الناحية الشرقية المصرية بقدر ما أصبح كتاب غليوم أو جويوم ماشوه[1] المرجع الأكبر لتلك الحركة الصليبية من الجانب الغربي بالفرنسية القديمة ، باعتبار الكاتبين شاهدى عيان لتلك الأحداث من زاويتين مختلفتين . و مع ذلك فانّ كتاب ماشوه حظى باهتمام العلماء فتمّ نشره فى القرن الماضى ، فى حين أنّ كتاب النويرى ظلّ مخطوطا إلى يومنا هذا . و لكنّ ذلك على كل حال لم يمنع عددا من المؤرخين من الانتفاع ببعض نواحى مادّته ، و من بين هؤلاء هرزسون و كابيتا نوفتشى و پول كاله[2] و المرحوم اتيين كومب[3] و كاتب هذه

(١) Guillaume de Machaut, *La prise d'Alexandrie ou chronique du roi Pierre Ier de Lusignan.* Ed. Mas Latrie. Soc. de L'Or. Lat. Geneva 1877.

و من بين الأصول الغربية الأخرى لتلك الحملة أيضا ما يلى :

Amadi et Strambaldi, *Chroniques*, ed. Mas Latrie; 2 pts., Paris 1891–93; Florio Bustron, *Cronica* (1191–1489), ed. Mas Latrie, Me'langes historiques, V, 1–532, Paris 1886; Leontius Makhairas, *Recital concerning the Sweet Land of Cyprus entitled 'Chronicle,'* 2 vols., Greek text and English trans. with notes by R.M. Dawkins, Oxford 1932.

راجع كتابى المذكور فى الحاشية السابقة عن تفصيلات بقية أصول تلك الحملة

(٢) I.J.P. Herzsohn, Der *Überfall Alexandrien's*, Bonn 1866; G.J. Capilanovici, *Die Eroberung von Alexandria*, Berlin 1894; P. Kahle, *Die Katastrophe des mittelalterlichen Alexandria*, Me'm. de l'Institut Francais, T. LXVIII, Me'langes Maspe'ro, vol. III, pp. 137–54, Cairo 1935.

(٣) نسجل فيما يلى ما كتبه كومب من المقالات عن النويرى و كتابه :

Etienne Combe, *"Le texte de Nuwairi sur l'attaque d'Alexandrie,"* Bull. of Faculty of Arts, Farouk I University, Alexandria 1948, pp. 99–110; =

السطور

السطور[1] ، و ربما كان إجفال المستشرقين عن نشره قبل اليوم راجعا إلى طبيعة الكتاب التى انتهى به إليه مؤلفه فى الشرود عن جادّة موضوعه الرئيسى إلى جمهرة من الكتابات فى أمور جانبية معقّدة تحتاج إلى دراسات و تحقيقات طويلة هم فى غنى عنها .

و مهما يكن من شىء فانّ تفكيرى فى نشر النص الخطّى لكتاب الإلمام يرجع إلى قرابة ثلاثين عاما أثناء دراستى لحروب بطرس الأول لوسنيان الصليبية ، و قد بدأت آنئذ مطالعة مخطوطة برلين فى عام ١٩٣٦ ، و بعدئذ بقليل نمى إلى علمى أن المغفور له الأستاذ أتيين كومب المستشرق السويسرى المعروف جادّ فى إعداد ذاك النصّ للنشر ، وكان وقتئذ مديرا لمكتبة بلدية الإسكندرية ، فتبادلنا الرسائل فى هذا الصدد ردحا من الوقت ، و انتهى بنا المطاف إلى التعاون فى نشر الأجزاء التاريخية البحتة لا سيما ما يتعلق منها بالمدينة على أن يكون النصّ مقرونا بالترجمة الفرنسية و هى لا تتحمّل مستطردات النويرى المستطيلة فى فنون جانبية لا يهتّم بها من القرّاء الغربيين سوى نفر يسير من المستشرقين مما لا يبرر القيام بذاك العمل الضخم كاملا .

=ibid., "Les pre'sages annoncant la croisade de Pierre de Lusignan et les causes de cette attaque," Bull. Soc. Roy. d'Arche'ologie d'Alexandrie, no. 37, Alexandrie 1938, pp. 1–15; ibid., "Notes de topographie et d'histoire d'Alexandrie," Bull. Soc. Roy. d'Arche'ologie d' Alexandrie, Alexandrie 1949, pp. 89–112.

(١) راجع فيما سبق الحاشية رقم ١ ص ٢ .

غير أن هذا المشروع كما تابعناه سويّا عدّة أعوام توقّف بانتقال الزميل الكبير إلى دارالبقاء يوم ٩ يوليه سنة ١٩٦٢ و هو فى سن الحادية و الثمانين بمدينة القاهرة ، فكانت وفاته خسارة لا تقدّر إزاء العمل فى تاريخ الإسكندرية و كان أعرف الناس بآثارها و أصولها فى العصر الإسلامى. و لما كنت آنئذ قد انتهيت من نصيبى فى عملية نشر مستخرجات كتاب الإلمام كما رسمناها ، و أنا على وشك العودة لأعمالى الإكاديمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فلم يكن بدّ من ترك جميع مذكراتنا بين يدى الزميل كومب لمواصلة تجهيزها لأحد الناشرين بصفة نهائية . و لكن ارادة المولى قضت بوفاته مأسوفا عليه قبل الفراغ من تلك المرحلة الأخيرة، فبقيت أوراق الكتاب مع مكتبته الخاصة بالمعهد السويسرى للآثار الذى كان يديره . عندئذ كتبت إلى صديقى و زميلى الأستاذ الدكتور روبرت ران (Prof. Dr. Robert Rahn) الملحق الثقافى بالسفارة السويسرية بالقاهرة للتوسّط رسميا بموافقة السيدة الفاضلة أرملة المسيو كومب لاستخلاص كل مادّة الكتاب من تركته و الاحتفاظ بها فى حرز إلى أن تسمح الظروف بعودتى لاستلامها توطئة لمراجعتها و إعدادها للنشر ، فما كان من الدكتور ران ، و هو صديق الطرفين و على علم بما كنا نعمله فى هذا الميدان ، إلا أن قام بكل ما رجوت مشكورا ، وهكذا تمّ استلام أوراق الكتاب فى صيف سنة ١٩٦٤ و أحضرتها صحبتى إلى مكان عملى فى العام الجديد .

وبينما أفكر فى أمر الناشر وردتنى رسالة من السيد الدكتور عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية و أستاذ اللغة العربية بالجامعة العثمانية فى حيدرآباد يبدى رغبة كريمة فى الاضطلاع بنشر النّص العربى فى سلسلة المطبوعات العربية لمعهد دائرة المعارف، لا سيما و أن حكومة الهند كانت قد رصدت من المال قدرا كافيا يعين على نشره نظرا لأن مخطوطته الفريدة الكاملة من مستودعات مكتبة بانكى پور الشهيرة فى الهند[1]. غير أن قبول النشر فى تلك السلسلة كان مقرونا بالتزام نشر النّص كاملا غير منقوص، مما حدا بنا إلى إعادة التفكير فى أمر المستخرجات التى أعددتها بالتعاون مع المرحوم المسيو كومب. و بعد أخذ و رد رأيت الموافقة على اقتراح الدكتور عبد المعيد خان فى نشر النّص العربى كاملا دون الترجمة للأسباب الآتية:

أولا – أن مبدأ نشر الكتب العربية القديمة نشرا كاملا غير منقوص مبدأ سليم و فوائده أكثر من مثالبه.

ثانيا – أن الاستغناء عن الترجمة لمستخرجات الكتاب فى الوقت الحاضر لا يلزم الناشر بالتجاوز عن المستطردات العربية من النص بما قد يكون فيها من نبذ تهم القارئ العربى دون المستشرق.

ثالثا – أن الأجزاء التى كنا قررنا حذفها لعدم وجود علاقة وثيقة بينها و بين موضوع الكتاب الأصلى و هو حرب الإسكندرية فى القرن

(١) الواقع ان فكرة النشر فى حيدرآباد كانت معروفة منذ سنة ١٩٣٨ كما ذكر ذلك بروكلمان فى كتابه C. Brockelmann, *Geschichte der ʿarabischen Litteratur*, 2 vols. Weimar / Berlin 1898–1902; Supplement, 3 vols., Leiden 1937–42, See Suppl., II, p. 34.

الرابع عشر الميلادى تحتوى الكثير من الأدب الشعبى و القصص العربى الذائع فى العصر الإسلامى الوسيط ، كما أن بها قدرا غير يسير من شعر الشعراء غير المعروفين فى كتب الأدب ، و هذا باب لا يستهان بقيمته للمشتغلين بالأدب الصرف.

رابعا - من الممكن تركيز تحشية النّص بالمراجع الهامّة التى تتصل بالأجزاء التاريخيـــة فحسب ، و هذا العمل أتممناه على وجه التقريب بالتعاون مع المرحوم المسيو أتيين كومب . أما الأقسام الأدبية و الشعرية و الفقهية و القصصية التى قمنا وحدنا بادخالها فى النّص من جديد ، فقد اكتفينا بضبطها و الإضافة إليها من مخطوط بانكى پور و تحديد أمكنة الآيات فى القرآن الكريم .

خامسا - أن الكتاب على ما فيه من مستطردات يشتمل على معلومات غزيرة لها قيمة أثرية بالغة فى تاريخ المدنية الإسلامية و على بيانات هامّة فى موضوعات خاصّة مثل تفصيل أنواع السفن و الأساطيل [1] التى كانت تجوب البحر الأبيض المتوسط و التى كان يشاهدها بنفسه فى حياته اليومية بميناء الإسكندرية .

و إنّا لنأمل أن تكون تلك الأسباب كافية لتبرير العمل من جديد

---

(1) انتفع من النويرى بصفة خاصة فى هذا الموضوع : H. Kindermann, انظر أيضا *'Schiff' im Arabischen* (Bonn Dissert ; 1934). J. Gildmeister, *Ueber arabisches Schiffwesen.* فى مطبوعات Nachrichten d. kgl. Gesell. d. Wissenschaften, phil. Rist. Klasse. Göttingen 1882, pp. 431 ff.

فى "كتاب الإلمام" لسدّ الفراغات التى كنّا قد تجاوزنا عنها فى المشروع القديم مهما كلّفنا هذا من الجهد و الوقت فى خدمة الأدب و الأدباء .

* * * * *

أما السياسة التى اتبعناها فى نشر الكتاب فقد تطوّرت فى مرحلتين : المرحلة الأولى عند ما كنت و الزميل المسيو كومب نعمل على أساس مخطوطتى برلين و القاهرة ، و المرحلة الثانية جاءت فى وقت متأخر عند ما حصلنا على مخطوطة بانكى پور و بدأنا فى تحقيقها مع نصّ المخطوطتين السابقتين قبيل وفاة الزميل بسنين معدودة .

فلمّا بدأت إعادة النظر فى نشر النصّ الكامل ، رأيت الإبقاء على ما جاء فى مخطوطتى برلين و القاهرة و هما بقلم واحد ، ليس فقط لقدمهما ، و لكن نظرا لأنهما منقولتان مباشرة عن نسخة المؤلف بدليل ما جاء فى ختام المجلد الأخير بالقاهرة و هو العبارة الآتية : « و كان الفراغ من كتابته من نسخة بخط مؤلفه رحمه الله فى يوم الآحد المبارك الموافق لسابع عشرى شهر ربيع الآول الذى هو من شهور سنة أربع و ستين و ألف على يد أفقر العباد و أحوجهم إلى رحمة ربه الكريم الهادى أحمد درويش الوقادى و الحمد لله وحده .

و إن تجد عيبًا فسدّ الخللا   وجل من لا عيب فيه وعلا » اه .

يضاف لذلك أن نسخة برلين ـ القاهرة تمتاز بالدقة ، و البياض فيها نادر أو أقلّ بكثير جدا منه فى نسخة بانكى پور ، على أنّ هذه الآخيرة فى مواقف عدّة تكمل ما ضاع من نصّ الأولى ، بحيث أنه أصبح من

الممكن جمع شتات ما سقط من برلين – القاهرة فى حواشى النّص، و بذا يكون عند القارئ عرض كامل بقدر الاستطاعة للأصل كما تركه المؤلف. هذا و قد قمنا فى نفس الوقت بتحقيق ما يتّصل بالمعنى من النصوص جميعها مع تجنب الإسراف فى المقارنات اللفظية التى لا تنفع المعنى بشيء لا سيما و أنّ النّساخ كثيرا ما يقعون فى أخطاء شكلية غير مقصودة قد يحدو بنا حصرها إلى ما لا يجدى و إلى نفقات لا مبرر لها فى النشر.

و من الغريب أن مخطوطة برلين – القاهرة لا تحمل اسم المؤلف، بل يكتفى الناسخ فيها بذكر مثل هذه العبارة: «كتاب الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية، تأليف الشيخ الإمام العلّامة، العمدة الهمام الفهّامة، رحمه الله تعالى و أرضاه. و جعل الجنّة متقلّبه و مثواه، و أعاد علينا من بركاته». و قد كان ذلك مصدرا لدعوى أهلواردت[1] بأن مؤلف مخطوط برلين غير معروف، و تبعه فى هذا الحكم كارل بروكلمان[2] فى كتابه الأصلى عن الأدب العربى و لو أنّه صحّح هذا فى ملحقات[3] الكتاب المشار إليه فى وقت متأخر – أما مخطوطة بانكى پور كما جاء فى النسخة التى وردتنى عنوانها و تأليفها كما يلى: «كتاب مرآة العجائب، و ذلك بالإلمام فيما جرت به الأحكام المقضية، فى وقعة الإسكندرية، مع ما أضيف إلى ذلك من الاستطرادات المستحسنات الحاوية لأصناف

---

(١) W. Ahlwardt, *Verzeichniss der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, 10 vols., Berlin 1887–99. Vol. IX, pp. 304–6, no. 9815 (We. 359, 360).

(٢) راجع حاشية سابقة. C. Brockelmann, Op. cit., Vol. II, pp. 35–36.

(٣) Supplement, Vol. II, p. 34.

الفنون من العلوم الأدبية و التواريخ و الأنساب و الأخبار و المسالك و تدبير الممالك و الملوك و الدول و الرعية ... تأليف الشيخ الإمام سلطان العلماء الأعلام ... أبو عبد الله محمد بن عمر زين الدين بن الواقدى[1] ". و هذا العنوان و ذلك المؤلف على ما فيه من اتفاق مع مخطوط صغير بالمتحف البريطانى[2] خطأ واضح أوردنا تفنيده فى حواشى الكتاب و المواضع التى أثبتنا فيها اسم المؤلف الحقيق.

إذن فالمخطوطات التى اعتمدنا عليها فى إحياء هذا النص ثلاث و هى:

أولا - مخطوطة برلين (انظر حاشية أهلواردت[3] بعاليه) و رقمها «وتزشتين ٣٥٩ و ٣٦٠» و هى قسمان فى مجلد واحد من ورقة ١ إلى ١٣٩ و من ١٤٠ إلى ٢٧٠ و قد رمزنا لها فى الحواشى بالحرفين «بر».

ثانيا - مخطوطة القاهرة و هى استمرار لمخطوطة برلين و ناسخهما واحد و تاريخهما واحد و هى محفوظة بدار الكتب[4] تحت رقم «١٤٤٩ تاريخ». و قد رمزنا لها فى الحواشى بالحرف «ق».

(١) راجع فهرس مخطوطات بانكى پور العربية Bankipore, XV, 1066

(٢) انظر فهرس المخطوطات العربية بالمتحف البريطانى B.M. Suppl., 606 fol. 50/70 و عنوان المخطوطة: «مرآة العجائب فى و قاية الإسكندرية للواقدى».

(٣) و رد فى فهرس برلين لأهلواردت مجلد ٧ ص ٧٩ تحت رقم ٧٨٩٥ (وتزشتين ٣٥٩ و رقة ١١٨ : ا) ذكر إحدى المراثى التى قيلت فيما وقع بالإسكندرية من الخفيف فى ١١٦ بيتا مطلعها:

عاذلى لا تلم وخل ملامى　　فعيونى بعد الدموع دوامى

(٤) راجع فهرس الكتب العربية (٨ مجلدات طبع القاهرة ١٩٢١ - ١٩٤٢) مجلد ٨ ص ٢٤، و فيه يشير المفهرس خطأ إلى أن القسم الأول من المخطوط محفوظ فى ليدن بدلا من برلين.

ثالثا - مخطوطة بانكى پور بالهند وهى رقم "Bankipore XV, 1066" وتحتوى على النص الكامل من أوله إلى آخره رغم ما فيها من بياض وغموض فى كثير من المواضع وقد رمزنا لها بالحرفين «بن» فى حواشى الكتاب.

وقد ورد ذكر النويرى و «كتاب الإلمام» فى بعض كتب الكتّاب القدامى مثل ابن حجر العسقلانى[1] المتوفى سنة ٨٥٢ هـ/١٤٤٩ م والسخاوى[2] المتوفى عام ٩٠٢ هـ/١٤٩٦ م، كما ذكره المحدثون أمثال حاجى خليفه[3] وفى وقتنا عمر رضى كحالة[4]. وربما كان أبلغ ما قيل فى تأليف النويرى ما أورده السخاوى فى كتابه (التوبيخ فى ذم التاريخ): «ولمحمد بن قاسم ابن محمد النويرى السكندرى المالكى صفة الكائنة العظمى التى وقعت للفرنج فى أول سنة سبع وستين ملكوها ونهبوا أموالها، وأسروا نساءها ورجالها، فى ثلاث مجلدات، ولكنه استطرد فيها من شىء إلى شىء، فانه ابتدأها بصفة فتحها، واستمر بحيث كانت الواقعة فى جانب ما ذكر كالشامة[5]». فالسخاوى إذن كان على علم بأن الكتاب ثلاث مجلدات وأنه

(١) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (اربع مجلدات)، مجلد ٤ ص ١٤٢.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ.

(٣) كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون تأليف كاتب چلبى حاجى خليفه فى مجلدين وملحقين طبع استنبول ١٩٤١ - ١٩٤٥ - انظر مجلد ١ ص ٢٨٢ تحت تاريخ الإسكندرية.

(٤) معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، ١٥ مجلدا، طبع دمشق ١٩٥٧ - ١٩٦١، انظر مجلد ١١ ص ١٤٧.

(٥) انظر عاليه حاشية رقم ٢: التوبيخ، ص ١٢٢.

امتلاءً

امتلاءً بالمستطردات كما أوضحنا .

في الختام أودّ أن أشيّد بذكرى صديق المغفور له أنيين كومب الذى كان له قصب السبق فى معالجة هذا النص و ترجمته إلى اللغة الفرنسية ، و أنا عليم بأنه خصّص لذلك عدة حقبات من حياته العلمية الحافلة ، عسى أن يُقبِل أحد المستشرقين الفرنسيين على الاضطلاع بنشر تلك الترجمة كليا أو جزئيا ، بعد أن يوفقنا المولى إلى نشر أجزاء النص تباعا . كما أنه لا يفوتنى إبداء تقديرى لحكومة الهند الموقرة و هيئة دائرة المعارف العثمانية على اهتمامها المشكور بالمساهمة فى تيسير طبع هذا الكتاب .

عزيز سوريال عطيه

تحريرا فى سولت ليك سيتى بولاية
يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية
فى شهر فبراير سنة ١٩٦٧

[١: ب][١] بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على سيدنا محمد و آله[٢] و سلم . الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، المعزّ المذلّ، الهادى و المضلّ، ذى العرش المجيد، و الملك العتيد، و البطش الشديد، الفعّال لما يريد . أحمده على السرّاء و الضرّاء، و أشكره على حلو العيش و مرّ القضاء، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معترف بالنعماء، صابرا للبلوى، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله خاتم الأنبياء، و سيد الأصفياء، المبعوث إلى كافة الورى لإقامة دين الإسلام، و الهدى إلى دار السلام، فجاهد فى الله حق جهاده، و هدى الله به من شاء من عباده، و أنزل عليه كتابه المبين: " الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِّنْۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ "[٣] .

و بعد، فإن ثغر الإسكندرية المحروس من حين فتحه خالد[٤] و عمرو،

---

(١) استعملنا الحرفين الف، ب بجانب رقم كل ورقة من أوراق المخطوط للدلالة على وجه كل ورقة و ظهرها و هو المصطلح عليه بلفظى recto و Verso .

(٢) زيد فى بن : وصحبه.

(٣) قرآن كريم ٣٠ : ١ الى ٤ .

(٤) يرى القارئ منذ بداية الكتاب أن المؤلف يقع فى بعض الأخطاء التاريخية، و من بينها ما ذكره هنا من أن خالد بن الوليد اشترك فى فتح العرب لمصر و الاستيلاء على ثغر الإسكندرية . راجع أيضا فيما بعد (ورقة ٨٠ : الف) حيث يكرر المؤلف هذه الأسطورة و مصدرها الأصلى هو الواقدى .

و صار للمسلمين فيه النهى و الأمر ، لم تمتد إليه يد جبار جائر ، و لا مشرك كافر ، بل كل من قصده من البحر الملح ، رجع بالخيبة و عدم الربح ، قد حصل للمسلمين فيه العز المتين ، و السعد المكين ، على ممرّ الأعوام و السنين ، حتى جرى الأمر المبرم ، فى شهر الله المحرم ، عن سنة سبع و ستين و سبعمائة[1] من هجرة سيّد المرسلين ، محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه و على آله و سلم أجمعين ، فأتى الكلب اللعين ، فى جنده الضالين ، ريير بُطرس ، صاحب[2] قبرس[3] . بأسطوله فى البحر الملح ، فى صفة لص و شلح ، فجرح الثغر بسيفه ، و جار عليه بظلمه و حيفه ، فتم فدله[4] ظفرا و ظهورا ، و كان أمر الله قدرا مقدورا ، فلم يكن ظفره بحوله

(١) المحرم ٧٦٧ يعادل سبتمبر - اكتوبر سنة ١٣٦٥ . راجع تاريخ المعركة المضبوط فيما بعد (ورقة ٢٧ : الف ، ٩٧ : ب و على وجه أخص عند ما يتعرض المؤلف إلى سرد تفصيلاتها فى الأوراق ١٠١ : الف ، ١٤٨ : الف ، ١٨٥ : ب ، ١٨٧ : ب ، ١٨٨ : ب) .

(٢) زيد فى بن : جزيرة .

(٣) يذكر المؤلف عادة اسم ملك قبرس « ريير بطرس » اعتمادا على السماع ، و هو فى ذلك يكرر اسم الملك عن غير قصد لأن « ريير » ما هو إلا الاسم الفرنجى rey Pierre و بطرس الترجمة العربية للاسم . و لفظة « ريير » ترد فى الأصول الأوربية ، مثال ذلك فى ماخيراس مؤرخ قبرس الاغريقى ” ρὲ πιὲρό “ و قد جاء فى التواريخ العربية أوضاع مشابهة لأسماء ملوك الغرب مثل « ريدافرانس » rey de France و أيضا « ريدارغون » rey d' Aragon - راجع المقدمة التاريخية فى كل ما يتعلق بأسماء أسرة لوسجنان أولوسنيان التى حكمت قبرس فى هذا العهد .

(٤) من بن ، و فى الأصل : له بفعله .

و قوته، بل بقضاء[1] الله و قدرته، لما سبق ذلك فى علمه حتى أنفذه بأمره و حكمه، فـ" لله الأمر من قبل و من بعد[2] " يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد:

و ما كان إلا هكذا إن[3] أردته[4] و لو لم ترده لم يكن قط هكذا

فلا يجرى فى الملك و الملكوت طرفة عين و لا لفتة خاطر، و لا فلتة ناظر، إلا بقضاء الله و قدره، و بإرادته و مشيئته، فمنه الخير و الشر، و النفع و الضر، و العز و الذل، و النصر و الخذلان، و الطاعة و العصيان، و الرشد و الإيمان، و الإسلام و الكفر، و الفوز و الخسر، و الغواية و الرشد. و قد عرف النبى صلى الله عليه و سلم أمته على أن يشعروا بأن الله هو الغالب فى كل أمره، و أن يروا ذلك أدبا من الله لهم لا غلبة من أعدائهم، فقد قال [٢: الف] عليه السلام: إنهم ليظفروا[5] كما تنصرون[6]، [7]قال بعضهم[7]:

أيها المعتاض بالنوم السّهر ذاهلا يسبح فى بحر الفِكَرْ
سلِّم الأمر إلى مالكه و اصطبر فالصبر عقباه الظَّفَرْ
لا تكونن آئسا من فرج فهى الأيام تأتى بالعِبَرْ

---

(١) فى بن: بقوة.
(٢) قرآن كريم ٣٠: ٤.
(٣) فى الأصول: انت - كذا، و لا يستقيم به الوزن.
(٤) من بن، و وقع فى الأصل: ردته - كذا.
(٥) كذا فى بر و بن، والظاهر: ليظفرون.
(٦) هكذا فى بر، وفى بن: كما تنصروا.
(٧-٧) من بن، وفى الأصل: شعر.

كدر يحدث فى وقت الصفا و صفا يحدث فى وقت الكدر
و إذا ما سرّ دهر مرّة ساء أهليه و مهما ساء سرّ
و الليالى مقربات أبدا تلد الضدين من خير و شر
فارض عن ربك فى أقداره إنما أنت أسير للقدر
قل لمن يحذر أن يدركه نكبات الدهر لا يغنى الحذر
أذهب الحزن اعتقادى أنه كلّ شىء بقضاء و قدر

و اعلم أنه إذا نزل القضاء ضاق الفضاء، و إذا نزل القدر بطل الحذر. كان لبعض الصالحين ولد صغير فضاع فقيل له: لو دعوت الله أن يرده عليك! فقال: إن اعتراضى عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدى علىّ.

---

(١) زيد فى بن: حكى أن سنيا كان يناظر معتزليا فى مسألة القدر فقال المعتزلى: تفاحة من شجرة و كان النبل كالقاطف لهذه، فقال السنى: إن كنت فعلتها فردها الى مكانها، فأفحم المعتزلى و انقطع و مما لزمه ذلك لأن القدرة التى تحمل بها الإيجاد لابد أن تكون جامعة للضد من تفرق و توصل. مات بعض المعتزلة فصلى عليه بعض أهل السنة فقيل له: لم صليت على هذا المعتزلى الذى ينكر عذاب القبر و ينكر النظر إلى ربه وينكر شفاعة النبى صلى الله عليه و سلم فى العصاة من امته ويقول بتخليد أهل الكبائر فى النار؟ فقال السنى: أنا اعلم كيف صليت عليه، قلت فى التكبيرة الأولى: اللهم انه كان منكرا عذاب القبر فعذبه فى قبره، و فى التكبيرة الثانية قلت: اللهم إنه كان ينكر النظر إليك فأحرمه النظر إليك، و فى التكبيرة الثالثة قلت: اللهم انه كان ينكر شفاعة النبى صلى الله عليه و سلم فأحرمه شفاعته فيه، و فى التكبيرة الرابعة قلت: اللهم إنه كان يقول بتخليد أهل الكبائر فى النار فخلده فى نارك - انتهى، نعود.

و روى فى الإسرائيليات[١] أن نبيا من الأنبياء مر بفخ منصوب و إذا طائر قريب منه، فقال الطائر: يا نبى الله! هل رأيت أقل عقلا من هذا الرجل نصب هذا الفخ ليصيدنى فيه؟ فأنا لا أطير إليه، فذهب عنه ثم رجع فاذا بالطائر فى الفخ، فقال له: عجبا لك! أو لست القائل آنفا كذا وكذا؟ فقال: يا نبى الله! إذا جاء الحين لم يبق أثر و لا عين[٢]. وروى أن رجلا قال لبزرجمهر حكيم الفرس[٣]: تعال نتناظر فى القدر، قال: و ما تصنع

(١) وردت فيما بعد استخراجات اخرى من هذه «الإسرائيليات» أو القصص الإسرائيلية (راجع مثلا الأوراق ٩: ب، ٦٠: ب، ٨٦: ب، ١٠٥: الف، ٢٤٣: ب، ٢٤٨: الف، ٢٥٧: الف). انظر فى موضوع الإسرائيليات البحث الذى نشره المستشرق Goldziher فى مجلة "Rev. d. E'tudes Juives" جزء ٤٤ (١٩٠٢) ص ٦٣ و ما يتلوها ــ و القصة التى نحن بصددها وردت فى كتاب «سراج الملوك» للطرطوشى، طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ ص ١٨٣ عند الكلام «فى القضاء و القدر».

(٢) زيد فى بن: قال بعضهم:

و لقمة بجريش الملح آكلها ... ألذ من تمرة تحشى بزنبور
كم لقمة قدمت لآكلها خنقا ... كحبة الفخ دقت عنق عصفور

(و وقع فى بن «خير» مكان «الذ» و لا يستقيم به الوزن).

(٣) كان الحكيم بزرجمهر وزيرا للملك فارس الشهير كسرى انوشروان ــ و قد ذكره النويرى مرة أخرى فيما بعد (راجع ورقة ١٧٩: الف) فى عبارة قصيرة عن «مناقب الأطفال» حيث يقول: «قال بزرجمهر حكيم الفرس: إن شئت أن تصير من جملة الأبدال، فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال. فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: فى الأطفال خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا أبدالا، وهى أنهم لا يغتمون للرزق، و إذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم، وأنهم =

بالمناظرة[1] فى القدر، رأيت ظاهرا استدللت به على الباطن، رأيت أحمق مرزوق[2]، و عاقلا محروم[2]، فعلمت أن التدبير ليس للعباد.

و اعلم أن هذه المدينة المسوّرة الحصينة البيضاء[3] المضيئة المسماة بالإسكندرية[4] جرت لها مجروية[1] عجيبة هائلة غريبة لم تجر لمدينة من المدن ٥ لأنها أُخذت من المسلمين سريعا من غير حرب، و رُدّت إليهم سريعا من غير حرب، و هذا من عجائب الاتفاقات فسبحان الفعّال لما يريد! و سيأتى ذكر ما جرى لها مفصّلا إن شاء الله تعالى، و سأذكر ما قيل فى حيلة[4] اللعين، الكلب المستهين، ربير بطرس، صاحب قبرس، [5]و الجزيرة القبرسية،

= لا يأكلون الطعام مجتمعين، و إذا تخاصموا لم يحاقدوا و سارعوا إلى الصلح، وأنهم يخوّفون فيخافون بأدنى تخويف و تدمع أعينهم» انظر فيما يتعلق بشخص الحكيم بزرجمهر: المسعودى - مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢١٠، ٢٢٤ و ٢٢٥ - كذلك Richter, *Arab. Fuerstenspiegel* pp. 12, 15, 103 و حواشى ص ٦٥، ٦٨ من نفس البحث. راجع ايضا المقال الوارد فى «دائرة المعارف الإسلامية» و البحثين الآتيين للمستشرقين نولدكه و كرستنين.

Noeldke, Burzoe's Enleitung zu d. Buche "Kalila wa Dimna" 1912, ('Schrift d. Gesell. d. Wiss. Strassburg, XII); Christensen, Lale'gende du Sage Buzurdjmihr (= Burzoe?), in "Arch. Orientalni. Praga," VIII, 1929, pp. 81-128.

(١) من بن، و فى الأصل: بالمنا.
(٢) كذا.
(٣) مدينة الإسكندرية البيضاء - انظر فيما بعد الورقة ١٦٧: الف.
(٤) من بن، و فى الأصل: «حلية».
(٥) زيد فى بن: اى بنصارى الرومانية.

المتعدى[1] على الإسكندرية [٢ : ب] . قيل إنه طويل القامة قصم الله ظهره، و عكس أمره، أزرق العينين[2] حشره الله فى القيامة أزرقا، و جعله من الذين كتب عليهم الشقا[3]، مصفر اللون[4] صفر الله يده من كل خير، و جعل مسيره إلى جهنم شر سير؛ اسمه ربير، أغرقه الله فى بئر السعير، و جعله فى سائر حركاته ذليل[5] حقير[5]، و اسم أبيه ريوك[6] و أخوه الواحد البرنز[7] و الثانى جاكان[8] أخبرنى بذلك رجل مسلم قال: كنت أسيرا بقبرس فيما مضى من الزمان أقمت بها [9]اثنتى عشرة[9] سنة

(١) زيد فى بن : بهم .

(٢) انظر ما بعد الورقة ٩٤ : ب حيث يظهر من سياق الكلام أن اللون الأزرق كان من الألوان المشؤمة، و هذا يفسر الزام المسيحيين من سكان الدولة الإسلامية لبس العمائم الزرق للرجال وكذلك لبس الإزار الأزرق عند النساء.

(٣) إشارة إلى ما جاء فى القرآن الكريم ٢٠ : ١٢٤ .

(٤) انظر الورقة ٤٠ : الف و الإشارة إلى اسم بنى الأصفر .

(٥) كذا .

(٦) الملك هوج أو هيو، و أغلب الظن أن «ريوك» مشتقة من الإيطالية Re Ugo أو الفرنسى القديم Rey Hugues أو اليونانى القبرصى . راجع المقدمة التاريخية للكتاب .

(٧) «البرنز» أو «البرنس» وردت أيضا فى الورقة ١٦٩ : ب و المفهوم انه أمير انطاكية . راجع المقدمة التاريخية .

(٨) «جاكان» من اليونانى القبرصى Tzx kon و بالإيطالية Zac . راجع المقدمة التاريخية .

(٩–٩) فى الأصل و بن : اثنى عشر .

و أخبرنى أيضا أحد التركمان القادمين من مدينــة العلايـا[١] بـبر التركية المحاذية للجزيرة القبرسية إلى مدينة الإسكندرية أن لصـاحب قبرس المذكور أخ أكبر منه رزقه والده ريوك من امرأة بوطا[٢] كانت عنده مقيمة و البوطا بلغة الفرنج الفاجرة العاهرة المجاهرة سماه ريوك الملك سُنجُوان دمُرّف[٣] و سأذكر فيما يرد من هذا [الـكتاب -[٤]] كـيفية محاربة[٥] سنجوان دمرف ولد[٦] الزنا اللعين للسلمين فى العشر الأول من ذى الحجة سنة سبعين و سبعمائة لمـا أتى فى غربانه الحربية ، إلى مينا[٧] الإسكندرية الغربية ، فقهرته جنود[٨] المسلمين ، و رجع هو و من معه من حيث أتوا خائبين خاسرين ، بعد أن قتل[٩] المسلمون من رجاله جماعة ، فزال من الملعون الحماقة و الرقاعة ، و خسر و ما استفاد ، و هذا جزاء من تظاهر

(١) العلايا ــ انظر ٢١٥ : ب .

(٢) وردت أيضا فى مخطوطة القاهرة ورقة ٢٧٤ : ب و اللفظة مشتقة من أصل إيطالى . راجع فى ذلك المقدمة .

(٣) « سنجوان دمورف » انظر أيضا الورقة ٣٧ : ب و مخطوطة القاهرة ٢٤٧ : ب ، و المقصود Zuwan (Jean) de Morf . راجع المقدمة التاريخية .

(٤) من بن .

(٥) فى بن : محاربته .

(٦) من بن ، وفى الأصل : الولد .

(٧) فى الأصل و بن : مينة ــ كذا .

(٨) من بن ، و فى الأصل : جند .

(٩) من بن ، و فى الأصل : قتلت .

بالفساد ، و سيأتى خبر وقعته مع المسلمين مفصّلة إن شاء الله تعالى[1] ، وكان ظفر ربير بن ربوك المذكور بالإسكندرية فى دولة الملك الأشرف شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون سلطان الديار المصرية و الشامية و غيرهما ، و هو إذ ذاك صغير السن ، [2]و قائد جيوشه حينئذ[2] الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى[3] ؛ فالله تعالى ينصر المسلمين على الفرنج الكافرين ، و يجعل دين الإسلام منصورا على الدوام [فهو الدين الحق المعتبر عند الله الذى ارتضاه لعباده يعبدونه به –[4]] . قال الله تعالى " ان الدين عند الله الإِسلام " و الإسلام عبارة عن التسليم و التسليم عام فى القلب و الجوارح فان كل تصديق هو تسليم ، و قال عز و جل " وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ[5] " . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، و حج البيت ، و صوم رمضان – رواه البخارى و مسلم . [٣ : الف] وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس

---

(١) خبر هذه الوقعة وارد فى مخطوط القاهرة [ق، C] كما يظهر فيما بعد .

(٢ – ٢) من بن ، وفى عبارة الأصل بعض ارتباك ، إذ أن الناسخ أخطأ فكتبها « صغير السن و قد جيوشه » ثم شطب لفظة « و قد » و وضع فوقها النبرة المعتادة فى تصحيح الخطأ بالهامش ، و لكن فاته ان يضع الصواب .

(٣) كذا فى الأصل على الدوام ، والأصح « الخاصكى » .

(٤) ما بين الحاجزين زيد من بن .

(٥) قرآن كريم ٣ : ٨٥ .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها[1]. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة [العالة –[2]] رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم – رواه مسلم. قال الشيخ محيي الدين النواوي: قوله: تؤمن بالقدر خيره وشره، معناه تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وبقدره وهو مريد لها. وأمارتها بفتح الهمزة أي علامتها؛ قوله: وتلد المرأة

(١) كذا في الأصل وهامش صحيح مسلم ١/٢٧ بعلامة النسخة، وفي بن ومتن الصحيح: اماراتها.

(٢) زيد من صحيح مسلم.

ربتها

ربتها - أى سيدتها ، و معناه أن تكثر السرارى حتى تلد الأمة السرية بنتا لسيدها و بنت السيد فى معنى السيد ، و قيل : يكثر بيع السرارى حتى تشترى المرأة أمها و تستعبدها جاهلة بأنها أمها ، و قيل غير ذلك ؛ قوله: العالة - أى الفقراء ، و معناه أن أسافل الناس يصيرون أهل ثروة ظاهرة ؛ قوله : لبثت مليا ، هو بتشديد الياء أى زمانا كثيرا و كان ذلك ثلاثا، هكذا جاء مبينا فى رواية أبى داود و الترمذى و غيرهما . و اعلم أن الأمانة هى أعظم شعب الإيمان لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نفى الإيمان عمن ليس بأمين فقال: لا إيمان لمن لا أمانة له . و روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . فانظر ما أعظم قدر الأمانة التى يذهب الإيمان بذهابها ، و ينتظر [٣: ب] قيام الساعة إذا ضيعت الأمانة . و قال النبى صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع و سبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق . و هذا يحتمل الظواهر و البواطن لعموم لفظ الطريق ينطلق بحجة الاقدام على طريق الإشارة و طريق السلوك إلى الله جل جلاله .[١]

---

(١) زيد فى بن : « قوله عزوجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الخ فهذا انكار لأن يجعل حرمة الجماد كحرمة من آمن بالله وهو بيان عجيب وقد اكشف الآية للتشبيه الباطل و القياس الفاسد وفى ذلك دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان فانه ..... به مخلوق على صفته فى القياس ، ذكره أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (فى النسخة : الرومانى _كذا) فى النكت فى إعجاز القرآن و توفى على بن عيسى الرمانى (النسخة : الرومانى) المذكور سنة ست وثمانين و ثلاثمائة _ انتهى ، عن وهب بن منبه قال إن الله تعالى لما هبط آدم عليه السلام =

و روى أن ابن عمر رضى الله عنهما نظر إلى الكعبة فقال : ما أعظمك و أعظم حرمتك ! و المؤمن أعظم حرمة عند الله منك . ذكر أبوطالب المكى فى كتاب " قوت القلوب " عن بعض السلف أنه قال إن الله تعالى شرّف الكعبة و عظّمها و لو أن عبدا هدمها [1]و أحرقها[1] ما بلغ جرم من استخف

٥ بولى الله تعالى ، قيل : و من أولياء الله تعالى ؟ قال : كل مؤمن ، أما سمعت الله تعالى يقول " الله ولى الذين امنوا [2] " هذا [3]فى عموم[3] المؤمنين فما ظنك بالأولياء المقربين .

قال الشيخ عز الدين[4] يوسف الواسطى : كان بناحية قوص[5]

= من الجنة إلى الأرض حزن و اشتد بكاؤه على الجنة فحياه الله . . . . من الجنة . . له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن يكون الكعبة و كانت من ياقوتة حمراء فيها قناديل من ذهب و انزل معها الركن وهو يومئذ ياقوتة بيضاء و كان كرسيا لآدم عليه السلام . وممن حجها من الملوك النعمان بن المنذر وهو ملك نصرانى وحجها ملوك فارس ، قال الشاعر :

زمزمت الفرس على زمزم وذاك فى سالفها الأقدم

و بنى الكعبة ابراهيم الخليل عليه السلام وسيأتى لمعا من اخبار الفرس ان شاء الله تعالى» .

(١ - ١) فى بن : او حرقها .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٢٥٧ .

(٣ - ٣) فى بن : عموم فى .

(٤) زيد فى بن : ابن .

(٥) زيد فى بن : بصعيد مصر .

والى[1] يقال له طيبغا وكان يزور الشيخ أبا الحجاج الأقصرى[2] فسمعته وقتا يقول: جاء فى الحديث: من آذى وليا من أولياء الله تعالى فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة، فاستعظم الوالى هذا الكلام واجتمع بالشيخ مجد الدين والد الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد وكان الشيخ مجد الدين من العلماء الأكابر فقال له: يا سيدى! أريد أن تذهب معى إلى زيارة الشيخ أبى الحجاج، فذهبا جميعا[3]، فلما حضر الشيخ مجد الدين عند الشيخ أبى الحجاج قال ذلك الوالى للشيخ مجد الدين: يا سيدى! هل جاء فى الحديث: من آذى وليا فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة؟ قال فقال الشيخ مجد الدين: هذا فلا أعلمه لكنى أعلم فى الباب ما هو أعظم من هذا، ثبت فى الصحيح أن من آذى وليا فقد حارب الله، وأين محاربة الله من هدم الكعبة؟ فقال حينئذ الشيخ أبو الحجاج للوالى: تجالسنى بالخيانة لتجدن غبّها! فقال: يا سيدى! فى الدنيا! قال: فى الدنيا. فما مضت السنة حتى رأى ذلك الوالى فى نفسه وماله أمرا عظيما، فانظر رحمك الله إلى توفيق هذا العالم فى الوفاء لحق الله ورعاية العلم وحفظ أدب الحديث والتأدب مع أولياء الله تعالى، فصحح ما قاله الشيخ أبو الحجاج وأكده من حيث المعنى

---

(١) كذا.

(٢) تاريخ وفاته سنة ٦٤٠ أو ٦٤٢ هـ. انظر «الطالع السعيد» للأدفوى (طبع مصر ١٣٣٢ هـ) ص ٥٧٣ و«المقصد» نشر كولان Colin مع الترجمة ص ٥٧ و ١٨٥ — ويذكر ابن بطوطه قبره وزيارته له فى رحلته ج ١ ص ١٠٧ راجع ص ١٩ – ٤٧ فى Legrain : *Louqsor sans les Pharaons* (1914).

(٣) زيد فى بن: إليه.

و أعطى العلم حقه و الأدب حقه - انتهى .

فلنرجع إلى[1] ما قيل فى فرائض الإسلام و سننه و شروطه ، فمن فرائض الإسلام قول: لا إله [٤ : الف] إلا الله[2] ، و سننه حديث النبى صلى الله عليه و سلم: من قال : لا إله إلا الله - مخلصا بها قلبه صادقا بها لسانه

٥ دخل الجنة ، و شروطه[3] تقديم الشيخين أبى بكر و عمر رضى الله عنهما .

و قال صلى الله عليه و سلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قالها بلسانه فقد سلم من السيف و القتل و كان له حرمة الإسلام و المسلمين ظاهرا فى مقام الإسلام[4] ، فان أسلم قلبه كما أسلم لسانه فقد سلم من عذاب الآخرة كما سلم من عذاب الدنيا . و هى ثلاث مقامات :

١٠ المقام الأول فى إقرار اللسان بالشهادة ظاهرا و انقياد الجسد لأمور

---

(١) زيد فى بن : ذكر .

(٢) زيد فى بن : عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا قال العبد أشهد أن لا اله الا الله قال الله تعالى يا ملائكتى علم عبدى أنه ليس له ربه غيرى ، أشهدكم انى قد غفرت له ، خرجه قاضى القضاة ابو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن الحراز الخزرجى فى الأربعين حديثا المسماة بالساعات .

(٣) فى بن : شروط الإسلام .

(٤) هذا الجزء و ما يليه من نوع « المستطردات » التى طالما يسترسل فيها النويرى ، و أغلبها حشو على هامش موضوع الكتاب ، و كان من الممكن حذفها إطلاقا مع الاقتصار على لب الكلام ، ولكن رئى فى النهاية أن الأدق و الأسلم إظهار النص على أصله كاملا و الاختصار التام فى تحشية الأجزاء الناتئة ، و الاكتفاء بتسجيل مادتها من شؤن فقهية و دينية و حكايات و شعر و غير ذلك - انظر المقدمة التاريخية التحليلية .

الإسلام و المسلمين ، و المقام الثانى انقياد النفس لقبول الإسلام و ترك النفور و الإبانة عنه باطنا و إلا كان صاحب المنطق به منافقا ، و المقام الثالث انقياد الروح و القلب للذى فطر السماوات و الأرض ، كما قال: "وَ مَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ[١]" فيكون إسلامه طوعا و لا يكون كرها ، كما قال تعالى: "وَ لَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا[٢]" و هو تفويض الجملة إلى الله و إسلام الأمور إليه . و لا يتم توحيد عبد إلا بالإقرار بأن محمدا رسول الله لأنها لا تفترق[٣] .

قال بعض مداح النبى صلى الله عليه و سلم :

قرن المهيمن باسمه اسم محمد فلذلك[٤] يجهر معلنا من أذنا

هذا هو الشرف الذى ما ناله أحد سواه و لا له طمحت منى

و كل من زعم أن الرسالة يستغنى عنها بالتوحيد فهو كافر ، قال الله تعالى: "وَ يُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَ رُسُلِهِ[٥] وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ[٦] وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا[٧]"

---

(١) قرآن كريم ٣١ : ٢٢ - و بقية الآية « و إلى الله عاقبة الامور» .

(٢) قرآن كريم ٣ : ٨٣ - و بقيتها « و اليه يرجعون » .

(٣) فى بن : لاتفرق .

(٤) كذا ، و لايستقيم به الوزن .

(٥) فى الأصل و بن « و رسوله » و هذا صحته .

(٦) فى الأصل و بن « ببعض الكتاب » و صحتها بدون « الكتاب »، و الكلمة فى الأصل محاطة بدائرة .

(٧) قرآن كريم ٤ : ١٥٠ و ١٥١ .

و قد قص الله قصة إبليس فى صدر سورة البقرة و أخبر عن كفره بخصوصيته آدم و نبوته ، و لم يذكر عنه أنه كفر بالله تعالى ، و إنما كفر بنبوة آدم التى اختص بها ، و هو معنى إبائه له بالسجود له كما سجدت الملائكة التى خضعت له و تواضعت من أجل علم الأسماء التى علمه الله تعالى و أنبأهم بها ، فسجودهم ائتمام بــه عليه السلام لأنه خليفة الله تعالى ، و لم يكن سجوده عبادة ، و إن الله لا يأمر بالفحشاء . و من فرائض الإسلام أيضا الصلاة و شروطها صلاة الفرض و سننها حديث [٤ : ب] النبى صلى الله عليه و سلم : خمس صلوات فرضهن الله عز و جل على العبد فى اليوم و الليلة ، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقوقهن كان له[1] عند الله عهدا[1] أن يدخله الجنة ، و من لم يأت بهن ليس له عند الله عهد[2] ، إن شاء عذبه أو أدخله الجنة . و اعلم أن الإجماع قد تقرر على أن من كذب النبى صلى الله عليه و سلم فيما أتى به عن الله سبحانه بفرض الصلوات الخمس و أنه أوجبها على المسلمين ، فمن قال : إنها ليست بواجبة ، فقد كذب به ، و من كذب به فقد كفر[3] ؛ و قد جاء فى الحديث لا حظ

(١ - ١) كذا فى الأصل ، و فى بن : عهدا عند الله .

(٢) من بن ، و فى الأصل : عهدا .

(٣) زيد فى بن : و من سبه قتل و لا تقبل توبته ، قال القاضى عبد الوهاب المالكى اذا سبه المسلم قتل لقوله عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه ، و قال الزياتى فى شرحه رسالة ابن أبى زيد اجمع العلماء ان شاتم النبى صلى الله عليه و سلم المبغض له كافر و الوعيد جار بعذاب الله و حكمه عند الأئمة القتل و من شك فى كفره و عذابه كفر . قال ابو سليمان الخطابى لا اعلم أحدا من المسلمين اختلف فى قتله اذا كان =

فى الإسلام لمن ترك الصلاة ، وقد جاء الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال : الصلاة عمود الإسلام ، ألست تعلم أن

= مسلما و . . . . . أو غابه او الحق به نقصا فى نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرّض بـه أو ازرى عليه او التصغير لشأنه او العيب فيه او دعا عليه بالمضرة أو نسب اليه ما لا يليق به على طريق الذم أو عيره بشىء مما جرى من البلاء و المحنة عليه و هذا كله الإجماع عليه من العلماء بقتله . و قال اصبغ من اصحاب مالك سرا اسرّ ذلك او اظهره و لا يستتاب لأن توبته لا تُعرف و روى عن مالك مثل ذلك فى الكفر و لا يستتاب . و فى الشفاء للقاضى عياض قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من سبّ نبيا فاقتلوه ومن سبّ اصحابه فاضربوه ، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بقتل كعب بن الأشرف اليهودى فانه يزدرى الله و رسوله و وجه اليه من قتله خارج حصنه غيلة دون . . . . . غيره من المشركين و كذلك ابو رافع لأنه كان يزدرى رسول الله صلى الله عليه و سلم . . . . . . و كذلك أمر يوم فتح مكة بقتل ابن الأخطل و اجاز ابنتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه و سلم . و فى حديث آخر ان رجلا سبه فقال من يكفينى عذرى قال خالد فبعثه النبى صلى الله عليه و سلم لقتله . و اختلف فيمن سب الخلفاء رضى الله عنهم قيل اذا سبهم بالفواحش و قال هُم على ضلال قتل و قيل لا يقتل لأن رجلا سب ابا بكر فقام رجل و أراد قتله فقال له ابو بكر اجلس ، انما ذلك للنبى عليه السلام خاصة فأخبر انه انما يقتل للنبى عليه السلام خاصة و لم يخالفه احد . و الفرق بين ساب الله تعالى يقبل توبته وساب النبى صلى الله عليه و سلم لا يقبل توبته لأن النبى صلى الله عليه و سلم بشر و البشر تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته و لولا ذلك . . . . . مشتركا لغيره و ليس كذلك الله تعالى للقطع على استحالة لحوق المعرة به تعالى و القطع على . . . . . لا تجوز عليه جل و علا علوا كبيرا اذ ليس هو بذى جنس فيقاس عليه ـ انتهى .
نعود . . . . . .

الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط و لم ينتفع بالطنب و بالأوتاد، فاذا قام عمود الفسطاط انتفع بالطنب و بالأوتاد، و كذلك الصلاة فى الإسلام . و اعلم أن عدد الصلوات الخمس فى السنة ألف صلاة و ثمانمائة صلاة و ركوعها[1] خمسة آلاف ركعة و مائتا[2] ركعة و خمس ركعات و سجودها عشرة آلاف سجدة و أربعمائة سجدة و عشر سجدات و تكبيرها أربعة[3] و ثلاثون ألف تكبيرة و عشر تكبيرات، و فى اليوم و الليلة خمس صلوات و الركوع [4]سبع عشرة[4] ركعة و السجود أربع[5] و ثلاثون سجدة و التكبير أربع و تسعون تكبيرة، خمس منها فرائض و الباقى سنن . فالصلاة خطرها عظيم، و أمرها جسيم، و بالصلاة أمر الله تبارك و تعالى رسوله، و أول ما أوحى إليه بالنبوة قبل كل عمل و قبل كل فريضة فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: " أُتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتٰبِ وَ أَقِمِ الصَّلٰوةَ[6] اِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَ الْمُنْكَرِ"[7] و قال " وَ أْمُرْ أَهْلَكَ

(١) فى بن: ركعاتها .

(٢) من بن، و فى الأصل: مائتان .

(٣) من بن، و فى الأصل: اربع .

(٤-٤) فى الأصل و بن: سبعة عشر - كذا .

(٥) فى الأصل و بن: اربعة .

(٦) زاد فى بن: و قال و اقم الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتبا موقوتا و قال اقم الصلوة .

(٧) قرآن كريم ٢٩: ٤٥ و بقيتها « و لذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون » .

بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا[١] " و خاطب جميع المؤمنين فأمرهم بالاستعانة على طاعته كلها بالصلاة فقال " يٰٓايها الذين اٰمنوا استعينوا بالصبر و الصلٰوة اِن الله مع الصٰبرين[٢] " و قال " و اوحينآ اليهم فعل الخيرٰت و اِقام الصلٰوة[٣] " فذكر الخيرات كلها و هى جميع الطاعات مع اجتناب جميع المعاصى ، و أفرد الصلاة بالذكر و أوصاهم بها خاصة ، و بالصلاة أوصى النبى صلى الله عليه و سلم أمته عند خروجه من الدنيا فقال : الله الله الله فى الصلاة و فيما ملكت أيمانكم ! فهى آخر وصيته صلى الله عليه و سلم ، و هى أول ما يسأل عنه العبد من [٥: الف] العمل[٤] يوم القيامة ، و هى عمود الدين و ليس بعد ذهابها دين و لا إسلام ، فتارك الصلاة يكفر عند الإمام أحمد بن حنبل ، إذا تركها جاحدا لوجوبها وجب قتله ، لا خلاف فى مذهبه ؛ و أما إن تركها تهاونا و تكاسلا مع اعتقاد وجوبها دعى إلى فعلها، فان لم يفعلها[٥] حتى تضايق وقت التى تليها كفر و قتل بالسيف لكفره بعد أن يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد فى الحالتين ، و يكون ماله فيئا يوضع فى بيت المال للمسلمين ، و لا يصلى عليه ، و لا يدفن فى مقابر المسلمين . و عنه : لا يجب قتله فى التهاون حتى يترك ثلاث صلوات

(١) قرآن كريم ٢٠ : ١٣٢ و بقيتها « لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » .

(٢) قرآن كريم ٢ : ١٥٣ .

(٣) قرآن كريم ٢١ : ٧٣ و بقيتها « و ايتآء الزكوٰة و كانوا لنا عٰبدين » .

(٤) فى بن : عمله .

(٥) فى بن : لم يفعل .

و يتضايق وقت الرابعة ، و يقتل حدا كالزانى المحصن ، و حكمه حكم أموات المسلمين ، و يورّث[١] ماله ورثته المسلمون[٢] . و قال الإمام أبوحنيفة : لا يقتل و لكن يحبس حتى يصلى فيتوب أو يموت فى الحبس . و قال الإمام الشافعى : يقتل بالسيف حدا و لا يكفر . و الدليل على كفره عند الإمام أحمد بن حنبل ما تقدم من الآيات و الأخبار و ما روى عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ما بين الرجل و الكفر و الشرك إلا ترك الصلاة . و روى عبد الله بن [٣]بريدة عن أبيه[٣] قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بيننا و بينهم ترك الصلاة ، فمن تركها فقد كفر . و روى جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أبصر رجلا[٤] ينقر سجوده كما ينقر الغراب ، فقال : لو مات هذا مات على غير دين . و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا ترك الرجل صلاته متعمدا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها . و اعلم أن المتعبد على غير فقه كحمار الطاحون يدور و لا يبرح ، و ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من عابد غير فقيه ، و ذلك أن العالم تأتيه الفتنة فيخرج بعلمه ، و تأتى العابد الغير فقيه الفتنة فتنسفه نسفا . و من

---

(١) فى بن : يرث .

(٢) من بن ، و فى الأصل : المسلمين .

(٣-٣) فى الأصل : زيد عن ابيه ، و فى بن : زيد عن أبى ؛ و التصحيح من مسند احمد بن حنبل ٥/٣٤٦ و ٣٥٥ وجامع الترمذى ٢/٣١٧ .

(٤) من بن ، و فى الأصل : رجل - كذا .

فرائض الإسلام أيضا الزكاة، و سننها زكاة الفطر و شروطها حديث النبي صلى الله عليه و سلم: من أخرج زكاة الفطر طيبة بها نفسه و أيم الله لا يفعل ذلك إلا المؤمن، و الزكاة النماء و الزيادة من قوله: زكا الزرع - إذا نما و طاب و حسن، و زكت النفقة - إذا نمت و بورك فيها، و قيل لأنها تزكو عند الله و تنمو و تضاعف لصاحبها، و قيل لأن صاحبها [٥: ب] يزكو بأدائها، و قيل تطهر الأموال و تطيبها، و قيل إن الزكاة التطيب، و قيل الطاعة و الإخلاص، و قيل إنما سميت بذلك لأنها صدقة من الصدق، إذ هي دليل على صدق إيمان مخرجها، و قيل لأنها لا تؤخذ إلا من الأموال النامية المتعرضة للنماء و الزيادة كأموال التجارة و الأنعام و الحرث، سميت بذلك - قاله[١] عياض، و هي كوجوب الصلاة. و قال تعالى "فان تابوا و اقاموا الصلوة و اتوا الزكوة[٢]" "و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكوة[٣]" "قد افلح من تزكى[٤]" و هي من إحدى دعائم الإسلام. و من فرائض الإسلام أيضا الصوم، و شروطه صوم يوم عاشوراء، و سننه حديث النبي صلى الله عليه و سلم: من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و اشتقاق اسم الصيام في اللغة الإمساك و الترك و الكف، فمن

---

(١) زيد في بن ٤ القاضي.

(٢) وردت الآية مرتين في سورة التوبة، قرآن كريم ٩: ٥، ١١.

(٣) قرآن كريم ٩٨: ٥ و بقيتها «و ذلك دين القيمة».

(٤) قرآن ٨٧: ١٤.

أمسك عن شيء تركه و كف عنه فهو صائم عنه ، قال الله تعالى " فقولى إني نذرت للرحمن صوما[1] " و هو الإمساك عن الكلام و الكف عنه . و من فرائض الإسلام أيضا الحج، و شروطه العمرة، و سننه حديث النبي صلى الله عليه و سلم : من حج البيت و لم يرفث و لم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . و [2] الإيمان على أربعة دعائم : على الصبر و اليقين و العدل و الجهاد، فالصبر منها على أربع[3] شعب : على الشوق و الشفق و الزهد و الترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، و من أشفق من النار اجتنب المحرمات ، و من زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات ، و من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات . قال أبو الوليد فى المقدمات : اول الواجبات الإيمان بالله تعالى و توحيد اسمه و ما هو عليه من صفات ذاته و أفعاله و ملائكته و كتبه و رسله و ما جاء به من عند الله ، هو التصديق الخالص فى القلب . قال تعالى " و ما انت بمؤمن لنا[4] " أى بمصدق . و أما الإسلام فهو إظهار الإيمان و الإعلان به ، مأخوذ من الاستسلام و هو الانقياد لأن من أظهر الإيمان فقد انقاد و استسلم لجريان حكم الله تعالى ، فكل مؤمن مسلم لأن من اعتقد الإيمان فى الباطن فهو معلن به فى الظاهر ، و ليس كل [5]مسلم مؤمنا[5] لأن المنافق و الزنديق

(١) قرآن كريم ١٩ : ٢٦ و بقية الآية « فلن أكلم اليوم إنسيا » .
(٢) زيد فى بن : اعلم ان .
(٣) فى الأصل و بن : اربعة ـ كذا .
(٤) قرآن كريم ١٢ : ١٧ و بقيتها « و لو كنا صادقين » .
(٥-٥) من بن ، و فى الأصل : مؤمن مسلما .

يظهران الإسلام و يخفيان الكفر[١] . و اليقين منها على أربع[٢] شعب : على تبصرة الفطنة ، و تأويل الحكمة ، و موعظة العبرة ، و سنّة الأولين ، فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ، و من تأول [٦ : الف] الحكمة تأول العبرة ، و من تبين العبرة عرف السنة ، و من عرف السنة كان من الأولين . و العدل منها على أربع[٢] شعب : على غائص الفهم[٣] ، و غور العلم ، و روضة الحكم ، و ساحة الحلم ، فمن فهم فسر جمل العلم ، و من علم شرح[٤] غرائب الحكم ، و من شرح[٤] غرائب الحكم دلت على معادن العلم فلم يضل ، و من حلم لم يفرط و عاش فى الناس حميدا . و الجهاد منها على أربع[٢]

---

(١) زيد فى بن : فهما مسلمان فى الظاهر كافران فى الباطن ، فالإسلام اعم من الإيمان ؛ قال الغزالى : المؤمن لا يخلو من قلة أو ذلة او علة - انتهى . قال الإمام فخر الدين الرازى فى كتاب الأربعين فى اصول الدين : الإيمان اقوى من الكفر فلما لم ينفع مع الكفر شىء من الطاعات وجب أن لا يضر مع الإيمان شىء من المعاصى فان الكافر إذا أسلم أزال ثواب إيمانه عقاب كفره ، فدل هذا على أن ثواب الإيمان أزيد من عقاب الكفر ، و عقاب الكفر لا شك انه أزيد من عقاب الفسق بكثير ، و عند الجبر و المقابلة يفضل ثواب الإيمان لا محالة فوجب القطع بأن المؤمن اهل الجنة ، لا يقال إنه إذا كفر بعد إيمانه فعقاب كفره يزيد ثواب إيمانه ، لأنا نقول . . . انه إذا كان كذلك ، لكن بهذه الطريق لا يظهر أن عقاب الفسق أزيد من ثواب الإيمان و بالطريق الذى ذكرناه يظهر أن ثواب الإيمان أزيد من عقاب الفسق فكان الترجيح لدليلنا و الله تعالى أعلم - نعود .

(٢) فى الأصل و بن : اربعة .

(٣) فى بن : الفكر .

(٤) من بن ، و فى الأصل : شرع .

شعب : الأمر بالمعروف ، و النهى عن المنكر ، و الصدق فى المواطن ، و شنآن الفاسقين ؛ فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين ، و من نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين ، و من صدق فى المواطن قضى ما عليه ، و من شنأ الفاسقين فقد غضب لله ، و من غضب لله غضب الله له و أرضاه يوم القيامة . و الكفر على أربعة دعائم : على التعمق و التنازع و الزيغ و الشقاق ؛ فمن تعمق لم ينب إلى الحق ، و من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ، و من زاغ ساءت عنده الحسنة [و حسنت عنده السيئة -[1]] و سكر سُكر الضلالة ، و من شاق وعرت عليه طريقه ، و أعضل عليه أمره ، و ضاق مخرجه . و الشك على أربع[2] شعب : على التمادى ، و القول ، و التردد ، و الاستسلام ، فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ، و من هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ، و من تردد فى الريب وطئته سنا [بك -[1]] الشياطين ، و من استسلم لهلكة الدنيا و الآخرة هلك فيهما . سئل[3] الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء ، فقال : الاستواء معلوم ، و الكيفية مجهولة ، و الإيمان به واجب ، و الجحد به كفر ، و السؤال عنه بدعة ، و أظنك يا هذا صاحب بدعة . و كان إذا سأله رجل من أهل الأهواء و البدع يقول : أما أنا فإنى على بينة من دينى ، و أما أنت فشاك ، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه . قيل : إن أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى[4]

---

(١) من بن .
(٢) فى الأصل و بن : اربعة .
(٣) فى بن : سأل رجل .
(٤) عاش سنة ٩٧٣ - ١٠٥٧ ميلادية .

كان شاكا فى الإسلام ؛ و الدليل على ذلك قوله فى شعره :

فى اللاذقية فتنة ما بين أحمد و المسيح
هذا يحرّك دلبة و الشيخ من خرق[1] يصيح
كل يصحح دينه يا ليت شعرى ما الصحيح[2]

يعنى بالدلبة الناقوس الذى يضرب به فى كنائس النصارى عند مواقيت صلواتهم ، و يعنى بالشيخ المؤذن لمواقيت الصلوات الخمس[3] .

قال رويم بن أحمد : بلغنى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سمع ضرب ناقوس فقال لأصحابه : تدرون ما يقول [٦ : ب] هذا ؟ فقالوا : لا ، قال : إنه يقول :

سبحان الله حقا حقا إن المولى صمد يبقى

و سمع بعض الصالحين قطانا[4] يندف القطن بقوسه فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول هذا القوس ؟ قالوا : لا ، قال إنه يقول :

[5]هبك عشت عمر نوح أو كضعف[6] ضعف ذاك

(١) من بن ، و فى الأصل « حرق » .

(٢) و أبيات المعرى تروى هكذا :

فى اللاذقية ضجّة ما بين أحمد و المسيح
هذا بناقوس يدق و ذا بمئذنة يصيح
كل يعزز دينه يا ليت شعرى ما الصحيح

(٣) زيد فى بن : فى مساجد الجماعات .

(٤) من بن ، و فى الأصل : قطان .

(٥) شعر ، وهو مرسل فى الأصل .

(٦) فى بن : ضعف .

ثم بعد ذا تموت لم يف هذا[1] بذاك

وأما المؤذنون فقد جاء في الحديث أنهم أطول الناس أعناقا يوم القيامة. قيل: إن بلال بن حمامة الحبشي لم يؤذّن لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما واحدا أذانا واحدا وذلك مرجعه من الشام، ولم يكن الناس عهد بأذانه حينا، فطلبه أبو بكر الصديق وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [أن يؤذن –[2]] فأذن، فلما سمع أهل المدينة صوت بلال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد طول عهد منهم بأذان بلال وصوته جدّد ذلك في قلوبهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم أذانه إليه، حتى قال بعضهم: بعث النبي صلى الله عليه وسلم شوقا إلى رؤيته. ولما هيجهم بلال عليه[3] بأذانه [4]جدد في قلوبهم من أمره صلى الله عليه وسلم حتى فرقوا –[5] عند ذلك وبكوا واشتدّ بكاؤهم حتى خرج العواتق من خدورهن يبكين شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعن صوت بلال وأذانه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم، ولما قال: أشهد أن محمدا رسول الله، امتنع من الأذان فلم يقدر عليه، وسقط مغشيا عليه حبا وشوقا إليه صلى الله عليه وسلم – انتهى.

نعود إلى ما كان يقوله أبو العلاء، قيل كان أبو العلاء يقول:

---

(١) في بن: ذاك.

(٢) من بن.

(٣) زيد في الأصل: السلام – كذا.

(٤) زيد في الأصل وبن: و – كذا.

(٥) كذا، وفي بن: قرموا.

أبي

أبي جنى عليّ وما جنيت على أحد[١] - يعنى أباه[٢] بتزوج[٣] أمه أوقعه[٤] فى هذه الدار حتى صار إلى ما إليه صار، وهو لم يجن[٥] على أحد بهذه الجناية لعدم[٦] تزويجه، وينشد[٦]:

نعذب فى البطون وما جنينا ... ويذبح فى حشى الأمّ الحُوارُ
وننتظر البلايا والرزايا ... وأمّا بالوعيد لنا انتظار
فكانت نعمة لو انّا[٧] كنا ... نخير بعد ذا[٨] أو نستشار

وكما قال من حام حول هذا الأمر:

آباء أجسادنا هُمُ سَبَبٌ ... لأنْ جُعلنا عوارض التلف
من علّم الناس كان خير أب ... ذاك أبو الروح لا أبو النطف[٩]

---

(١) وفى سقط الزند (ص ٣) طبع بيروت سنة ١٨٨٤ م: قيل إنه أوص ان يكتب على قبره:

هـذا جناه ابي عـلىّ ... وما جنيت على أحـد

(٢) زاد بعده فى بن: جنى عليه.

(٣) من بن، وفى الأصل: بتزويجه.

(٤) زيد فى بن: بذلك.

(٥) فى الأصل وبن «لم يجنى» وصحته بحذف الياء.

(٦-٦) فى بن: التزوج وانشد.

(٧) فى الأصل وبن: ان.

(٨) من بن، وفى الأصل: هذا.

(٩) زيد ما يلى فى «بن» وهو ساقط من «ر»:

والمعرى المذكور هو الذى يقول:

يقولون قد طلع المشترى ... فيا ليت شعرى وماذا اشترى=

= نهار يمرّ وليل يكرّ ونجم يغيب ونجم يُرى
نموت كما مات الأولون ويبقى الزمان على ما ترى

وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية يقول: كان أبو العلاء المعري في حيرة من دينه، ويقال إنه أقلع عن هذا كله وقال يعتذر:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحّل
امنن علىّ بتوبة أمحو بها ما كان مني في الزمان الأول

قال العفيف التلمساني قد علمت بالعقل والكتاب مايقطعك فاقطعه باطنا كالأخلاق والعقائد والآمال، وظاهرا كالأعمال، وعليك بالتأهب للموت ليكون عندك خير غائب منتظرا، ولا يصحب عند قدومه عليك علما، ولا تعتمد على عمل بل تقدم إلى مولاك فقيرا. ولهذا نقل عن ابن الفارض حين حضرته الوفاة أنشد يقول:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد علمت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

والمعري المذكور هو الذي يقول:

كم غادر الموت من صغير وعمرت بعده العجوز

وكان أبو العلاء ضليعا بفنون الأدب ومن شعره:

وقالوا قد عميت فقلت كلا وإني اليوم أبصر من ...

(موضع النقاط بياض في الأصل، ولعله: بصير).

سواد العين زاد سواد قلبي ليجتمعا على فهم الأمور

وقال بعضهم يرثي ... ودفنت:

بأحشائي وإن زعموا بقفر وفي قلبي وإن قالوا ببيدا
ومن عيني نقلت إلى فؤادي فصرت من السواد إلى السويدا

ولبعضهم سئل عن سرعة شيبه فقال: =

= و قالوا شبت قلت لهم قفوا لى أحدثكم بشيء من ولوعى
وحق هواكم ما شبت لكن غسلت سواد شعرى بالدموع

وكان مولد أبي العلاء المعرى فى يوم الجمعة مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث و ستين و ثلاثمائة ، و توفى فى ليلة السبت الثالث من شهر ربيع الأول سنة تسع و أربعين و أربعمائة ، فكان عمره ستا و ثمانين سنة إلا أربعة وعشرين يوما - انتهى .

نعود - والشرك هو إثبات الربوبية لاثنين فالشركة باطل . محض ، قال الله تعالى : « واعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا » وقال تعالى : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق » . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : يقول الله تعالى : إنى لأغنى الأغنياء عن الشرك ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه و من عمله . والباطل مذموم أبدا ، قال الله تعالى : « ان الباطل كان زهوقا » ؛ وقال مالك رحمه الله تعالى : إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد فى الأرض . و قال بعض المتصوفة : كل حق شاركه باطل فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل ، فان الحق غيور . و فى منثور الحكم : و الله ما ذل ذوحق وان اتفق الحاكم عليه ، ولا عزّ ذو باطل وإن طلع من جهة القمر . و قال بعض العلماء : لا يثبت الحق حتى يندحض الباطل ؛ وقال الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

قوله تعالى « ثم كان عاقبة الذين اسآؤا السوآى » الإساء إنفاق العمر فى الباطل ، والسوآى إنفاق رزقه فى المعاصى و إنفاق حياته فى متابعة هواه . قوله تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا ". و روى الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه و سلم اذ جاء رجل يقرأ " قل يايها الكفرون لآ اعبد ما تعبدون " - إلى آخرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد برئ من الشرك . وقال النبي صلى الله =

[٧ : الف] و كان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم ! إنى أعوذ بك من الشرك الذى لا توحيد معه ، و لا إيمان يصحبه ، و لا خير يتبعه ؛ و اغفر لى ما دون ذلك . و سمى الله تعالى الشرك "عظيم" فقال "انَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ[١]" لأن المشرك إذا تكلم بكلمة الشرك "تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْاَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ اَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا ۝ وَ مَا يَنْۢبَغِىْ لِلرَّحْمٰنِ اَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا ۝ اِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ اِلَّآ اٰتِى الرَّحْمٰنِ عَبْدًا[٢] ۝" و لأن الشرك أعظم الكبائر و ذلك أن جميع الخلائق يرحمون برحمة الله تعالى بالعفو و الرحمة ، "اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ وَ يَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ[٣]" .

= عليه و سلم : الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل؛ و كان بعضهم يقول فى دعائه: اللهم احفظ قلوبنا من الشرك الجلى ، و احفظ أرواحنا من الشرك الخفى ، و احفظ أسرارنا من الشرك الذى هو أخفى من الخفى ، و توفنا مسلمين لا مبدلين و لا مغيرين؛ و المراد بالشرك الخفى هو الالتفات إلى غير الحق؛ سئل أبو العباس بن عطاء عن قوله تعالى "هل ادلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى" قال قال آدم : بماذا أدبتنى و إنما أكلت من الشجرة طمعا فى الخلود فى جوارك ؟ فقال عز و جل : طلبت الخلود من الشجرة لا منى و الخلود بيدى و ملكى فأشركت بى و أنت لا تشعر! و لكن نبهتك بالخروج من الجنة حتى لا تنسانى .

(١) قرآن كريم ٣١ : ١٢ .

(٢) قرآن كريم ١٩ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) قرآن كريم ٤ : ١١٦ و بقية الآية « و من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » .

و لما

و لما كان المؤمن فى الدنيا نسب[1] الفعل لله تعالى و وحده فى أفعاله و لم ينسب فعلا لغيره نفعه ذلك فى الدار الآخرة فلم يسلط كونا[2] يغلب عليه . و لما كان الكافر و المشرك بالله تعالى نسب الأفعال لغير الله و ادعى إلـهية غيره سلط عليه ما يغلب عليه من أليم العذاب و سوء العقاب جزاء لشركه به . و لما كان المؤمن العاصى أشرك بجسمه و وحّد بقلبه سلط الغير بالتعذيب عليه بحسب ذلك ما لم تنله شفاعة أو رحمة .

و سأذكر ما قيل فى الروافض[3] إن شاء الله تعالى ، أما الروافض فقد قال النبي صلى الله عليه و سلم : ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة : اثنتان[4] و سبعون فى النار ، و واحدة فى الجنة و هى الجماعة . و سئل النبى صلى الله عليه و سلم عن تلك الواحدة فقال : من[2] كان على ما أنا عليه و أصحابى؛ فالأمة افترقت على هذا العدد . و أصل هذا الافتراق ينحصر فى أربع[5] طوائف : الواحدة القدرية و هى المعتزلة ، افترقوا فى اعتزالهم[6] على [7]ثمانى عشرة[7] فرقة ؛ و الطائفة الثانية [المرجئة -[8]] ، افترقوا فى إرجائهم على [7]ثمانى عشرة[7]

(١) فى بن : ينسب .
(٢) فى بن : ما .
(٣) زيد فى بن : و سوء اعتقادهم .
(٤) وقع فى الأصل و بن : اثنان - كذا .
(٥) فى الأصل و بن : أربعة - كذا .
(٦) فى بن : افتراقهم .
(٧-٧) فى الأصل و بن : ثمانية عشر - كذا .
(٨) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .

فرقة ؛ و الطائفة الثالثة الشيعة، افترقوا أيضا فى تشيعهم على [١] ثمانى عشرة [١] فرقة ؛ و الطائفة الرابعة الخوارج، افترقوا فى خروجهم على [١] ثمانى عشرة [١] فرقة ؛ فهذه اثنتان [٢] و سبعون فرقة . و الثالثة و السبعون هى الناجية و هم أهل السنة و العلم، و هى الذى على الله عز و جل بقوله "وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا [٣]" و حبل الله هو القرآن الذى أهدى الله به [٤] رسوله و أصحابه [٥]. و أما الذى على الله عز و جل بقوله " اِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُم

(١-١) فى الأصل و بن: ثمانية عشر - كذا .

(٢) فى الأصل و بن: اثنان - كذا .

(٣) قرآن كريم ٣: ١٠٣، و بقية الآية «و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم اٰيته لعلكم تهتدون».

(٤) كذا فى الأصل، و ليس فى بن.

(٥) زيد فى بن: أما المعتزلة فانهم راموا ..... فلم يصح لهم ذلك فى القرآن لإجماع الأمة عليه فغيروا فى المصحف أشياء كثيرة.. "من شر ما خلق" بالتنوين، و قراءتهم " قال عذابى اصيب به من اساء" بالسين المهملة .... قالوا فى قوله تعالى: " و لقد درأنا لجهنم كثيرا من الجن و الانس " معناه دفعنا، و أنشد و المثقب العبدى:

تقول اذا درأت لها وضينى أ هذا دينه ابدا و دينى

و ليس كما .... فى الدفع، درأت بدال مهملة، و كذلك درءوا بدال غير معجمة ؛ و قد روى ان قوما .... الفرس و غيرهم لما رأوا الإسلام قد ظهر و درج جميع الأمم و رأوا أنه لا سبيل إلى مناصبته رجعوا إلى الحيلة =

وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ[1]" يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى ابن عباس أن النبى [٧: ب] صلى الله عليه وسلم قال : سيكون فى آخر الزمان نبز[2] يقال لهم "الروافض" يرفضون الإسلام فاقتلوهم فانهم مشركون ، فقال على بن أبى طالب: وما علامتهم يا رسول الله ؟ فقال: لا يكون لهم جمعة ولا جماعة ، ويشتمون أبا بكر وعمر وعثمان وعليا[3] وسائر الصحابة أجمعين . واعلم أن فرقة الرافضة[4] متفقون على تكفير الصحابة ، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ، ويقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ، ويزعمون أن لا اعتماد على الشريعة التى فى أيدى المسلمين ، وينتظرون إماما يسمى "المهدى" يخرج ويعلمهم

= والمكيدة فأظهروا الإسلام من غير رغبة وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتقشف ، فلما حمد الناس طريقهم ولدوا الأحاديث والمقالات وفرقوا الناس فرقا وأكثر ذلك فى الشيعة ، كما يحكى عن عبد الله بن سبا اليهودى أنه أسلم واتصل بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وصار من شيعته فلما أخبر بقتله وموته قال: كذبتم ، والله لو جئتمونا بدعا .... لبعض صرة ما صدقنا كم بموته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .... تعرف أهلها بالشيعة .

(١-١) زيد من بن، و بقية الآية «انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون» قرآن كريم ٦ : ١٥٩ .

(٢) كذا فى الأصل و بن ، و قد يعنى به قليل الحياء ، و لعله « نفر ».

(٣) فى الأصل و بن : على - كذا .

(٤) فى بن : الروافض .

الشريعة ، وليس مقصدهم هذا الكلام فى الإمامة[1] ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشرع على أنفسهم حتى يتوسعوا فى استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتدون عند الإمام بما يدعونه من تحريف الشفاعة وتغيير[2] القرآن من عند الصحابة ، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر؛ فقد سئلت الروافض عن شر أمة محمد ، فقالت : أصحاب محمد ، فلا جرم يكون سيف الحق مسلولا عليهم إلى يوم القيامة ، ولا يرى لهم قدم ثابتة ولا راية منصوبة ، ولا ينصرهم أحد إلا صار مخذولا بشؤم بدعتهم ؛ والعجب أنهم يتكلمون فى الصحابة ويستخفون القول فيهم ولا يتأملون كتاب الله تعالى حيث [3] أثنى عليهم بقوله[3] "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ"[4] فأثنى عليهم كما ترى وأخبر أن صفتهم المذكورة فى التوراة ثم أخبر أن صفتهم فى الإنجيل "كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ

---

(١) فى الأصل « الأمانة » والغالب أنها « الإمامة » كما وردت فيما بعد فى هذه الصفحة .

(٢) من بن ، وفى الأصل : تغير .

(٣-٣) فى بن : يقول .

(٤) قرآن كريم ٤٨ : ٢٩ انظر الحاشية التالية .

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ[1]. حتى[2] قال أبو إدريس المفسر: إن ظاهر هذه الآية يوجب أن الروافض كفار لأن فى قلوبهم غيظا من الصحابة و عداوة لهم، ألا تراه تعالى يقول "ليغيظ بهم الكفار"؟ فبيّن أن من كان فى قلبه غيظا منهم فهو من الكافرين[3].

و أما الخوارج فان الإمامة من الدين و الإيمان، و فيها معنى التوحيد الذى هو الاجتماع، و لأن النبى صلى الله عليه و سلم أمر بطاعة الإمام، ففى طاعته طاعة الرسول، و طاعة الرسول طاعة الله تعالى. و قد ثبت فى الصحيح عن على بن أبى طالب رضى الله [٨: الف] عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج من أمتى قراء يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم و هو عليهم، و لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، و إنما خرجوا من الدين وسموا "خوارج" بخروجهم عن طاعة الإمام، فأداهم ذلك إلى الخروج عن الدين. قال[4] الإمام العالم فخر[5] الإسلام الشاشى: الخروج

---

(١) قرآن كريم، نفس الآية السابقة، و بقيتها « وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما » وهى نهاية سورة الفتح .

(٢) ليست فى بن .

(٣) فى بن : الكفار، و زيد بعده فيه : قال بعض أهل السنة من أبيات :

لعن الله أمـة لنبى   شتموا بعد موته أصحابه

زعموا أنهم يوالوا عليا   كذبوا و الذى قرأت آيه

أنا عبد لعبد عبد على   غير أنى أحب كل الصحابه

(٤) زيد فى بن : الشيخ .

(٥) زيد فى بن : الدين و .

على الإمام حرام . قال النبي صلى الله عليه و سلم : من نزع يدا من طاعة فانه يأتي يوم القيامة و لا حجة له ، و من مات و هو مفارق الجماعة مات ميتة جاهلية . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما [هلك[1]] نبي أتى نبي خليفة ، فلا نبي بعدى ، و سيكون بعدى خلفاء فيكثرون . قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أعطوهم حقهم، فان الله سائلهم عما استرعاهم، فان خرجت طائفة على الإمام و انفردت بدار أو امتنعت بمنعة قاتلهم الإمام . روى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية ؛ و إن لم يخرج عن قبضة الإمام و علم منه أنه يرى رأى الخروج[2] لم يتعرض الإمام لهم، لما روى أن عليا كرم الله وجهه سمع رجلا من الخوارج يقول: لا حكم إلا لله - تعريضا به فى التحكيم يوم صفين ، فقال على: كلمة حق أريد بها باطل[3]، ثم قال: لكم علينا ثلاثة[4]: لا نمنعكم مساجد الله تذكرون فيها اسم الله ، و لا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم[5] معنا ، و لا نبدأكم بقتال - انتهى .

---

(١) زيد من بن .

(٢) فى بن : الخوارج .

(٣) فى الأصل و بن : باطلا - كذا، و التصحيح من مجمع بحار الأنوار ٢ / ٢٢٧ .

(٤) فى الأصل و بن : ثلاثا - كذا .

(٥) فى بن : يدكم .

نعود إلى ذكر الرافضة وغيرهم - اعلم أن فرق الرافضة متباغضين[1] دائما، كل فرقة تبغض الأخرى، وهم يبغضون أهل السنة؛ وأهل السنة تبغضهم أيضا.

ومن العجائب في الصداقة[2] والصحبة والمحبة سليمان التيمي إمام أهل السنة والفضل الرقاشي إمام المعتزلة، كانا صديقين[3] إلى أن ماتا متصاهرين؛ [و -[4]] موسى بن يسار رئيس القدرية وداود بن أبي هند إمام [5]السنة، كانا صديقين متصافيين[3] مدة خمسين سنة، لم يقع قط بينهما كلمة خبيثة؛ [و -[4]] هشام بن عبد الحكم[6] إمام الرافضة والمجسّمة وعبد الله بن يزيد إمام الإباضية من الخوارج، كانا من الصداقة والمحبة في حال لا يوجد بين الإخوة وكانا مع ذلك شريكين في البز في دكان واحد ولم يتغيرا إلى أن ماتا. ضدهم [٨ : ب] في ذلك - وهم لأب واحد - اليمان وهارون وعلي بنو ازرياب[7]، كان[8] هارون من أئمة أهل السنة واليمان من أئمة الخوارج

(١) كذا في الأصول كلها، والظاهر: متباغضون.

(٢) في بن: الصحابة.

(٣) في بن: متصادقين.

(٤) اضيفت الواو ليستقيم الحديث.

(٥) زيد في بن: اهل.

(٦) في بن: الملك.

(٧) في بن: زرياب.

(٨) في بن: لأن.

و على من أئمة الروافض و كانوا[1] متعاديين[2]؛ [و-[3]] جعفر بن مبشر رأس المعتزلة و أخوه حنش من أهل السنة و كانا متعاديين[4]. [و-[3]] السيد الحميري، كيساني شيعي، و أخوه و أمه خارجيان؛ يلعنهما و يلعنانه.

و أما اليهود فافترقوا فرقا كثيرة، و المشهور من فرقهم الربانيون و القراؤن و السامريون.

و أما النصارى ففرقهم أيضا كثيرة، و المشهور من فرقهم الملكانية و اليعقوبية و النسطورية.

فان قيل: ما سبب إيجاد هذه الفرق الكافرة من اليهود و النصارى و عباد الأصنام و الأوثان و الشمس و القمر و الكواكب و النار مع قدرة الله على أن لا يوجدهم؟ قال ابن الفارض في ذلك:

و إن نار بالتنزيل محراب مسجد   فما نار بالإنجيل هيكل بيعة
و أسفار توراة الكليم و قومه   يناجي بها الأحبار في كل ليلة
و إن خر للأحجار في البذ[5] عاكف   فلا تعد في الإنكار بالعصبيّة

---

(١) من بن، و في الأصل «كانا».
(٢) زيد في بن: كلهم
(٣) اضيفت الواو ليستقيم الحديث.
(٤) في بن: متعاديان.
(٥) في بن: البد.

قال

قال التلمسانى فى شرح هذه الأبيات[1]: البذ[2] الصنم، و العاكف الساجد[3] الملازم؛ و الإنكار ههنا يريد به إنكار العقل على الحق فى كونه أوجد الكفار مع قدرته على أن لا يوجدهم، لأن الله تعالى لما خلق العقل قال له: اقبل – إشارة إلى فهمه عن الله و طاعته، فان قيل: فكيف ينكر بعد ما أطاع؟ قيل: من علم أن الحكمة فى إيجاد الكفار كما هى فى إيجاد المؤمنين[4] زال[5] إنكاره، و هو معنى "ما خلقنهما إلا بالحق[6]"، [7]من فهم معنى قوله تعالى "الذى أحسن كل شيء خلقه[8]" فهم حسن القبيح و رآه كرؤية المليح، و المراد لا تنكر ما رأيته من عبادة غير الله فى هذه الأمة المحمدية؛ ثم قال ابن الفارض[9]:

فما زاغت الأبصار فى كل ملة   و لا راغت الإنكار فى كل نحلة
وما اختار[10] من للشمس عن غرة صبا[10]   و إشراقها من نور اسفار غرتى

---

(١) زيد فى بن: الثلاثة.
(٢) أى بوذه أو Buddha، و فى بن: البد.
(٣) فى بن: العابد.
(٤) من بن، و فى الأصل: المؤمن.
(٥) فى بن: زاد.
(٦) قرآن كريم ٤٤: ٣٩.
(٧) زيد فى بن: و.
(٨) قرآن كريم ٣٢: ٧.
(٩) زيد فى بن: أيضا.
(١٠ – ١٠) فى بن: عين للشمس من غيره ضيا.

و إن عبد النار المجوس و ما انطفت   كذا جاء فى الأخبار فى ألف حجة
فما قصدوا غيرى و إن كان قصدهم   سواى و إن لم يضمروا غير نية

أى بعبادتهم لى، و بيان هذا مثله: إن كان ذى هوى إنما عبد هواه، و هواه عبارة عن ذاته التى سوّلت له أن يعبد ما عبده، و إذا كان كل قاصد [٩ : الف] من الضالين لم يقصد غير ذاته المخلوقة فقول ابن الفارض: فما قصدوا غيرى، بمعنى ما قصدوا غير مخلوق لا الخالق صحيح، و هذا من محتمل العبارة؛ و فى التعريف به معنى و هو أن يدخل فى زمرة الضالين من اعتقد أن الذات واحدة أعنى ذات العبد و الرب تعالى، فهذا لما ظفر بذاته المخلوقة فاعتقدها ذات الخالق فاته ذاته أيضا، لأنه اعتقدها ذات الخالق فخسر نفسه و ربه، و يفهم أيضا من قول ابن الفارض أن كل غالط إنما قصده الإصابة بما عبد و إن كان غالطا، و هذا صحيح و لكنه لا يفيده ذلك بل هو منهى عنه و مذموم به، كما قال تعالى عنهم "ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[١]" و بهذا كان زردشت الحكيم مخطئا إذ رأى النار مظهر النور، فسجد للنور لفرط رياضة كانت منه[٢]، فسجد غيره معه و بعده للنار - انتهى.

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر النصارى الملكانية[٣] و اليعقوبية و النسطورية و كفرهم و قبائحهم فى مقالاتهم و الرد عليهم

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٣ .
(٢) فى بن : عنده .
(٣) فى بن : الملكية .

و تبديلهم دين عيسى عليه السلام و اختيارهم غيره باضلال بولص اليهودى المتنصر لهم و حيده بهم عن الحق إلى الباطل حتى انتقلوا من الحق إلى الضلال و من الإيمان إلى الكفر . فنحمد الله تعالى و نشكره على نعمة الإسلام و[1] ما جاء به النبي عليه السلام ، [و -[2]] يروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه سمع رجلا و هو يقول : نحمد الله على نعمة الإسلام ، فقال له : إنك تحمد الله على نعمة عظيمة . و قال سفيان : لما أن جاء البشير إلى يعقوب بقميص يوسف عليهما السلام قال له : على أى دين تركته ؟ قال : على الإسلام ، قال : الحمد لله تمت النعمة ؛ قال ابن الفارض :

و يوسف إذ ألقى البشير قميصه ... على وجه يعقوب عليه بأوبة
رآه بعين قبل مقدمه بكى ... عليه بها شوقا إليه فكُفت

قال[3] التلمسانى: رد البصر بالقميص على بعد أبلغ من رده بالمسح على قرب - انتهى .

[4]و سأذكر[4] ما قيل فى الشكر إن شاء الله تعالى: قال بعض السلف الصالح فى الشكر : إن للنعمة أجنحة كأجنحة الطيور فقيدوها بالشكر ، و قيل: الشكر وعاء النعمى و الوفاء معه صلاح العقبى . عن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه كان يقول : إلهى! نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، و ابتليتنى[5] [٩ : ب] فلم تجدنى صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، و لا أنت أدمت

(١) زيد فى بن : متابعة .
(٢) زيد من بن .
(٣) زيد فى بن : العفيف .
(٤-٤) فى بن : فلنذكر الآن .
(٥) فى بن : ابليتنى .

المصيبة بترك الصبر؛ إلهي! ما يكون من الكريم إلا الكرم[1]، يا هذا! لا تسأل إلا الله، فانه إن أعطاك أغناك، تمام الكرم إتمام النعم، و شر الأشياء العدم عند الهرم.

قال كعب الأحبار[2]: كان في بني إسرائيل غلام يتيم لا يفتر لسانه
٥ عن الشكر فبينما هو جالس على باب داره إذ أقبل إليه ثور سمين ناداه: يا فلان بن فلان! قم فاذبحني فأنا رزقك، فتحير الغلام و طرد الثور، فلما كان من الغد أقبل الثور يفعل كفعله في اليوم الأول، فعجب الغلام من ذلك فطرده و حدث والدته بذلك، فلما كان في[2] اليوم الثالث لم يحس الغلام إلا و الثور قد برك و توجه للقبلة[3] و قال: يا فلان بن فلان! قم فاذبحني

(١) زيد في بن: فسبحان المرجو للنوازل يكشفها، و للنوائب يصرفها، هكذا عوائده الجميلة التي يألفها، و لطائفه الخفية التي لا يخلفها؛ مفرج الغمة، ومحول النقمة، ومجدد النعمة، و يظهر القدرة، ويتدارك بالرحمة؛ سبحانه لا إله إلا هو، وسبحان المنفرد في قيوميته بوجوب الأزلية و البقاء، المتوحد في ديموميته بامتناع التغير والفناء، المتعالي بجلال هويته صمديته عن التركيب من الأبعاض والأجزاء، المنزه بسمو سرمديته عن مشاكلة الأشباه ومماثلة الأشياء، العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، المحسن الذي لاينقطع زاد كرمه عن عبده في ظهوري السراء والضراء، و حالتي الشدة و الرخاء، الجليل الذي غرق في بحار جلاله غايات عقول العقلاء، العظيم الذي تضاءلت في سرادقات كماله نهايات علوم العلماء، الكريم الذي تجاوزت أنواع آلائه و نعمائه عن التحديد و الإحصاء، الحكيم الذي تحيرت في كنه حكمته في خلقه أصغر ذرة من ذرات مبدعاته و مكنوناته ألباب الألباء و حكمة الحكماء.
(٢) ليس في بن.
(٣) في بن: الى القبلة.

فاني

فانى رزقك، فلما سمعت والدته بذلك[1] قالت: يا ولدى! لو لم يكن رزقنا ما جاء ثلاثة أيام على الدوام يفعل هكذا و يكلمك بلسان فصيح، قم يا بنى إليه فاذبحه فنحن جياع و لنا ثلاثة أيام ما طعمنا طعاما، فعند ذلك قام الغلام إلى الثور فذبحه، فلما ذبحه دخل عليه غلام فقال: إن هذا الثور لى فلم ذبحته؟ فلم يتكلم، فأخذ[2] بيده و مضى[3] إلى داود فقال: يا خليفة الله! سل هذا الغلام لمَ ذبح ثورى بغير إذنى؟ فقال له داود: لمَ فعلت ذلك؟ فقال: يا نبى الله! حديثى عجيب، فقال: حدثنى به، فقال: إن هذا الثور له ثلاثة أيام يأتينى إلى دارى و ينادينى باسمى و اسم أبى و يقول: قم فاذبحنى فأنا رزقك، و أنا أطرده كل يوم و قد ذبحته فى هذا اليوم، فقال صاحب الثور: أنا لا آخذ ثمنه إلا عشرين دينارا، فقال داود: امضوا بنا إلى الثور، فمضوا[4] إليه، فدنا داود من الثور فقال: أيها الثور! ثور من أنت؟ فقال الثور بلسان فصيح: أنا ثور صاحب هذه الدار، إن من أمرى أنى كنت مع صاحبى أب هذا الغلام - يعنى المدعى عليه - فقتل والد هذا الغلام المدعى صاحبى و أخذنى منه؛ فلما سمع داود ذلك من الثور أخذ دية المقتول من تركة أبى الغلام المدعى [5]والد القاتل[5] [و-[6]] دفعها لابن المقتول الذابح للثور، فاستغنى بدية

(١) فى بن: ذلك.
(٢) فى بن: فاخذه.
(٣) زيد فى بن: به.
(٤) فى بن: فمضى - كذا.
(٥-٥) ليس فى بن.
(٦) زيد من بن.

والده[1]، و ذلك ببركة شكره لله تعالى .

[2]و سأذكر ما قيل في الحمد و الشكر إن شاء الله تعالى: نحمدك معناه نثني عليك بأتم وجوه الثناء كلها، [١٠ : الف] فيدخل تحته الشكر، و الشكر ثناء يقابل به معروف؛ و في الحديث: الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره؛ و الحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة، و الشكر ذكره بما له من أفعال جميلة، من قولهم: دابة شكور - إذا ظهر منها السمن فوق ما تأكله من العلف، و يقال: اشكر من بروقه، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر. و يؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم و الشكر في مقابلة الكفر، فاختلاف نقيضهما دليل على اختلاف في أنفسهما؛ و قد ضمن الله المزيد للشاكرين و ما استثنى فقال عز من قائل «لئن شكرتم لأزيدنكم[3]» فاذا كان قد ضمن الزيادة على ما أعطاهم فكيف لا يديم لهم ما كان منحهم أولا! ألا! من أحب بقاء شيء قيده بعقاله خيفة زواله، فقيدوا نعم الله فيكم بوجود الشكر - انتهى .

نعود إلى ذكر[4] صاحب قبرس لعنه الله و غضب عليه و جعل دائرة السوء محيطة به! و ذلك أنه لما ظفر بالإسكندرية و فرح بما تحصل له من غنائمها [5]لم تفرح بذلك ملوك النصرانية، و قد زعم أنه صار له بينهم[5]

---

(١) زيد في بن: و بالثور أيضا .

(٢) سقطت العبارة من هنا إلى " بوجود الشكر - انتهى " .

(٣) قرآن كريم ١٤ : ٧ .

(٤) زيد في بن: خبر .

(٥-٥) في بن: زعم انه صار له بين .

بذلك مزية، أعقبه[1] [2] الله بعد ذلك[2] الحزن الشديد، الذي ليس عليه مزيد، بما فعله[3] المسلمون بجنده الأنجاس، بطرابلس الشام و بلد أياس[4]، و[5] سيأتي ذكر ذلك مفصلا في موضعه[6] إن شاء الله تعالى.

قال المؤلف[7] غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين[7]: و لما كمل هذا الكتاب [1] الذي هو نزهة لأولى الألباب[2] سميته "كتاب الإلمام بالإعلام[8] فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية[9]" مع ما أضفت[10] إلى ذلك من الاستطرادات [2] المفيدات، و الموضوعات[1] المستحسنات مما ستقف عليها إن شاء الله تعالى، [2] و بالله أستعين على جمعه، و وضعه و نفعه[2]، فمن وجد عيبا فليصلح، و من أصاب

(١) في بن: فأعقبه.

(٢ - ٢) ليس في بن. (٣) وقع في الأصل و بن: فعلته - كذا.

(٤) وردت إشارة أخرى لهذه الجملة مؤخرا في ١٦٩: ب و تفصيلها في مخطوط القاهرة.

(٥) في بن: كما.

(٦) زيد في بن: المستحق.

(٧ - ٧) في بن: رحمه الله.

(٨) ليس في بن.

(٩) هذا هو أول ذكر لاسم الكتاب، أما المؤلف فلم يظهر إلا في مكان متأخر من مخطوط برلين (انظر فيما بعد ١٢٠: الف و راجع المقدمة. و في اول مخطوط بانكيپور «كتاب مرآة العجائب للنويري و ذلك بالإلمام فيما جرت به الأحكام - الخ».

(١٠) في بن: اضيف.

خطأ[١] فليسمح ، فالإنسان محل النسيان ، قال الشاعر :

و عين الرضى عن كل عيب كليلة

و لكن عين السخط تبدى المساويا[٢]

(١) سقط من بن .

(٢) زيد فى بن [١٠ ب] : « و اعلم ان عقول الناس مدونة فى كتبهم اطر ...... بهم و ظاهرة فى حسن اختيارهم ، و اختيار الرجل رائد عقله ، و كتاب الرجل قطعة من حكمه ، و القلم لسان اليد و رسول الضمير و وحى الفكر و قيد الحكم ، و صائغ الكلام يصوغ ما جمعه اللب ، و يسوغ ما سبكه القلب ، و الفكر بحر لؤلؤه الحكمة ، و الغواص عليها القلم ، و القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، و القلم ترجمان النظر و آلة الفكر ، و الكتاب نعم الجليس ، قال الشاعر :

ما نادم الطرف من نديم   أحسن وجها من الكتاب
من يك نطقه فى لسان   منه فيغنى عن الجواب
حاضرا لا على مراء   و غائبا لا على ارتياب
..... حليف أمن فى   خطأ كنت أو صواب

قال العتبي . من صنف كتابا فقد اشترف للمدح و الذم ، فان أحسن فقد استهدف للحسد و الريبة ، و إن أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان ، و لو أنى كففت لسانى ، و لم أذكر ما عانانى ، لكنت إذاً مستورا ، و لكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، و سأذكر هنا بلسان التقصير و الخضوع ما قاله الشاعر فى مجموع : يا من غدا ـ الخ » .

و قال

[١] و قال غيره[١] :

يا من غدا ناظرا فيما جمعت و من
أضحى يكرر فيما قلته النظرا
ناشدتك الله إن عاينت لى خطأ
فاستر علىّ فخير الناس من سترا

[١٠ : ب] و اعلم أن [٢] المجاميع الكبار، كالبساتين ذات الزهور و الثمار، و من شأنها تفرقها للهموم و الأفكار، لجلبها السرور للقلب، و شرحها للصدور و اللب، و لله در القائل حيث يقول فيها:

إذا شئت أن تحظى من الكتب يا فتى
بأحسن مروى و أطيب مسموع
فطالع تعاليق المجامع إنها
تفرق من همّ [٣] الفتى كل مجموع

و سأبتدئ بذكر الآيتين الكريمتين المتقدم [٤] ذكرهما إن شاء الله تعالى: قوله عز وجل" الٓمٓ ۞ غلبت الروم ۞ فى ادنى الارض و هم من بعد غلبهم

(١ - ١) ليس فى بن .

(٢) من هنا إلى « حيث يقول فيها » عبارة بن هكذا: « المجموع اللائق، كزهر الحدائق، يجلب السرور، و يشرح الصدور، و يصرف الغموم، و يفرق الهموم، كما قال الشاعر » .

(٣) ليس فى بن .

(٤) فى بن : المقدم .

سيغلبون ۝ فى بضع[1] سنين[2] " إلى قوله " العزيز الرحيم " ، عن ابن شهاب قال : كان المشركون يجادلون المسلمين بمكة فيقولون : الروم أهل كتاب - يعنون الإنجيل - وقد غلبتهم الفرس و أنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى أنزل عليكم ، فستغلبكم فارس كما غلبت الروم ؛ فأنزل الله عز و جل " الٓمٓ ۝ غلبت الروم ۝ فى ادنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون ۝ فى بضع سنين لله الامر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون ۝ بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم ۝ "[3] . و قد كان بين الروم و الفرس حروب يطول الكلام عليها ، خلاصتها[4] أن مصر كانت بين الروم و الفرس نصفين بالسوية ، فنهضت الروم على الفرس ، أجلتهم عنها بعد أن ملكتها الفرس معهم سبع سنين ، فلم تزل مصر على ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على [يد -[5]] المسلمين بعد فتحهم الشام أرض القياصرة ، و فتحهم أيضا العراق أرض الأكاسرة ، فذلك قوله تعالى " لله الامر من قبل و من بعد " إلى " الرحيم " .

فائدة : اعلم أن تنوين إذ فى " يومئذ " تنوين عوض ، أصله : و يوم إذ غلبت الروم يفرح المؤمنون ، فحذف الجملة التى " غلبت الروم " و عوض منها

---

(١) سقطت عبارة « بن » من هنا إلى ورقة بر ٢٥ : ب .

(٢) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٤ .

(٣) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٥ .

(٤) فى الهامش « فايده فى مصر » .

(٥) [يد] ناقصة فى الأصل .

التنوين وقد نقل إجماع العلماء على التوقف على علم العربية إذ الكتاب والسنة عربيان، والعربية هى النحو، والنحو معرفة كلام العرب والمراد به صواب الكلام، وفائدته فهم معنى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومنفعته تبيين أحوال الألفاظ المركبة فى دلالتها على المقصود ورفع اللبس عن سامعها، فان القائل: ما أحسن زيد [١١: الف] - بالسكون، يحتمل أحد أمور ثلاثة: التعجب من حسنه، والاستفهام عن أى شىء منه أحسن، وسلب الإحسان(١) عنه حتى يعرف فيتميز.

(٢) واعلم أن علم العربية لم يؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء البلغاء منهم، وهم الذين لم يخالطوا غيرهم كهذيل وكنانة وبعض تميم وقيس عيلان ومن يضاهيهم من عرب الحجاز وأوساط نجد، فأما الذين صاقبوا العجم فى لغاتهم وهؤلاء كحمير وهمدان وخولان والأزد لمقاربتهم الحبشة والزنج، وطىّ وغسان لمخالطتهم الروم بالشام، وعبد القيس لمجاورتهم أهل الجزيرة وفارس، والجزيرة هذه معروفة بجزيرة بنى عمر بأرض العراق، ثم إن(٣) ذوى العقول السليمة والأذهان المستقيمة رتبوا أصولها وهذّبوا فصولها حتى تقررت على غاية لا يمكن المزيد عليها، وكان إعراب الكلام المعرب سجيّة لأنهم مفطورون على الفصاحة، فلما جاء الإسلام وتألّفت القلوب

(١) فى الأصل «الأجسام» وصحته «الإحسان».
(٢) بالهامش «مأخذ علم العربية».
(٣) وقع فى الأصل: انى - كذا.

اختلطت الأمم بعضها ببعض فكادت العربية أن تتلاشى فدعا ذلك أمير المؤمنين عليا عليه السلام أن أصّل فيها أصولا أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي وكان يراجعه فيها إلى أن حصل من أصولها ما فيه كفاية، ثم قرأ على أبي الأسود ميمون الأقرن، ثم عنبسة المعروف بالفيل، ثم عبد الله ابن إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزاد فيه، ثم الخليل بن أحمد وعنه أخذ سيبويه، وهؤلاء أئمة البصريين وقد كان علي بن أحمد الكسائي رسم رسوما أخذها عنه أهل الكوفة وتهذّب الفن وترتّب، وكان الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الملقب سيبويه بارعا في صناعة النحو، ومن شعره قوله :

عذّبت قلبي بهجر منك متصل يا من هواه ضمير غير منفصل
ما زادني غير تأكيد صدودك لي فما عدولك عن عطف إلى بدل

ولبعضهم في شاب فقيه :

أقول لشادن في الحسن أضحى يقدّ بلحظه قلب الكمي
ملكت الحب أجمع في نصاب فأدّ زكاة منظرك البهيّ
وذاك[(١)] بأن تجود لمستهام برشف من مقبّلك الشهيّ
فقال أبو حنيفة لي إمام وعندي لا زكاة على الصبيّ
[١١: ب] فإن تك مالكي الدين أو من يرى رأي الإمام الشافعيّ
فلا تك طالبا منّي زكاة فإخراج الزكاة على الوليّ

[(٢)] نظر معاوية إلى النجاد بن أوس العذري الخطيب النسابة في عباءة ناحية من مجلسه فأنكر مكانه وازدراه، فتبين للنجاد ذلك في وجهه فقال :

(١) في الأصل «وذلك» ولا يستقيم بها الوزن.
(٢) هنا بالهامش «نكتة».

يا أمير المؤمنين! إن العباءة لا تكلمك و إنما يكلمك من فيها، و كمال الرجل أدبه لا ثوبه - ثم أنشد:

إنّى و إن كنت أثوابى ملفقة ... ليست بخز و لا من نسج كتان
فإنّ فى المجد همّاتى و فى لغتى ... فصاحة و لسانى غير لحان

انتهى.

نعود إلى ذكر لمع من أخبار الروم و الفرس - و ذلك أنهم كانوا أهل العز الشامخ و الملك الباذخ، و مع ذلك فتح[1] المسلمون بلادهم و أجلوهم عنها، و قطعوا دابرهم منها، و ملكوا أرضهم و ديارهم و أموالهم، فاذا كان[2] المسلمون ملكوا أرض القياصرة و بلاد الأكاسرة، فما عسى فعل صاحب قبرس الكافر اللعين بالاسكندرية ثغر المسلمين، و هو لم يكن بين ملوك النصارى إلا كراعى غنم أو جزاز صوفها بجلم، و لكنه أتى الإسكندرية على حين غفلة من حماتها، نهبها و هرب عنها، و ما هكذا عادة الملوك بل من عادتهم أنهم إذا فتحوا مدينة لا يخرجون منها إلا عن قهر و غلبة لا سرقة و هرب.

و سأذكر لمعا من أخبار ملوك الفرس و الروم ليعلم بذلك قدرهم من قدره، و قوتهم من ضعفه، و مع ذلك أباد[3] المسلمون ملكهم، و ملكوا بلادهم و أرضهم:

فمن ملوك الفرس[4] كيومرت و هو أول من وضع التاج على

(١) وقع فى الأصل: فتحت - كذا (٢) وقع فى الأصل: كانت - كذا
(٣) وقع فى الأصل: ابادت - كذا.
(٤) هذا الفصل فى تاريخ ملوك الفرس مأخوذ عن المسعودى فى كتابه «مروج الذهب» انظر طبعة باريس ج ٢ ص ١٠٧ و ما يتلوها.

رأسه و كان ينزل مدينة إصطخر من أرض فارس و هو أول من أمر بالسكوت على الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيأخذ البدن مما يرد عليه و تسكن النفس عند ذلك و يأخذ كل عضو ما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام ، و ان الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير و جزء من التقدير إلى غير ذلك و وقع الاشتراك فأضر ذلك بالنفس الحيوانية و القوى الإنسانية . و إذا كان ذلك أدّى إلى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئى ؛ و عمر هذا الملك ألف سنة .

[١]قال الحجاج بن يوسف الثقفى لبعض [١٢ : الف] الأطباء : صف لى صفة أنتفع بها فى أكلى و شربى ، فقال له : أيها الأمير ! لا تأكل من اللحم إلا فتيا و لا تأكله حتى ينضج و ينعم ، و لا تأكل من الفاكهة إلا ما نضج و طاب على شجره ، و لا تأكل طعاما إلا أجدت مضغه ، و كل ما أحببت و اشرب عليه و لا تسرف ، و إذا شربت فلا تأكل ، و لا تحبس البول و لا الغائط و لا الريح ، و إذا أكلت بالنهار فنم ، و إذا أكلت فى الليل فامش قبل نومك ، و أطيب الطعام ما وافق الجوع ، و ألذ الشراب شربة ماء بارد تقطع بها غليلك ، و ان الإقلال من الطعام ينشط الهبوب من المنام و تدوم معه سلامة الأجسام .

و قد صنف الشيخ أبو[٢] عامر محمد بن عبد العزيز الغرناطى[٣]

(١) فى الهامش « فائدة » .

(٢) وقع فى الأصل : ابى - كذا .

(٣) راجع بروكلمان Brockelmann, GAL, T. II, p. 12, no. 15 ابو الوليد اسماعيل بن محمد بن على بن عبد الله بن هانى بن عامر سرى الدين اللخمى =

كتابا فى الأغذية سماه "كتاب البديع" فيه منافع الأغذية و مضارها و الأشربة و غير ذلك - انتهى .

نعود - ثم ملك من الفرس أوشهنج الأقاليم السبعة و كان ينزل الهند ؛ ثم ملك جم و كان ينزل أرض فارس ، و فى أيامه أحدث النيروز ، و كان ملكه ستمائة سنة ، قال بعض الشعراء يهنئ بعض الأكابر بالنيروز :

أبشر بنيروز أتاك مبشرا ... بسعادة و زيادة و دوام
و اطرب فقد حلّ الربيع نقابه ... عن منظر متهلل بسّام

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى النيروز[1] و المهرجان و العَنْصَرة[2] إن شاء الله تعالى .

ثم أن جم الملك ادّعى الإلهية و يزعمون أنه طلع إلى الفلك ، ثم ملك افريدون ، و كانت دار مملكته بابل و هى على شاطئ نهر من أنهار[3] الفرات بأرض العراق و هو[4] نهر النرس ، و هذه المدينة خراب

= الأندلسى الغرناطى المالكى ، ولد بغرناطة سنة ٧٠٨هـ ، ثم جاء مصر ثم عين قاضيا مالكيا على حماه ، وتوفى بالقاهرة سنة ٧٧١هـ ، وألف «كتاب البديع فى وصف الربيع» .

(١) راجع فى موضوع «النيروز» ملحق دائرة المعارف الإسلامية و كذلك :
H. Massē & J. M. Faddegon, Le Naurouz-Nāmē de Omar Khayyām, (Livre du Nouvel An), dans "Annales Inst. Ec. Orient. Alger," III (1937), pp. 238-6ē.

(٢) عيد العَنْصَرة عند النصارى يقع بعد عيد الفصح .

(٣) فى الأصل «أرض» و الصواب فى المسعودى (مروج الذهب ج ٢ ص ١١٥) : «انهار» .

(٤) فى الأصل «و هى» .

الآن[1] . و ذهب الناس إلى أن فيها هاروت و ماروت[2] و فيها جب يعرف بجب دانيال التي تقصده اليهود و النصارى فى أعيادهم ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر هاروت و ماروت إن شاء الله تعالى .

ثم ملك بهمن[3] و هو الذى بعث بخت نصر إلى بنى إسرائيل لما بلغه أن قوما أحدثوا دينا و أمره بقتلهم و سبى ذراريهم ، و نفاهم عن بيت المقدس و بددهم فى البلاد ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر بخت نصر إن شاء الله تعالى .

و هلك بهمن و خلف ابنه حملا فى بطن أمه ، و عقد له التاج على بطنها ، فلما ولد ملك مدة .

ثم ملك دارا فكان فظّا [١٢ : ب] غليظا ، فقتله الإسكندر بخلاف جيوش فارس لدارا[4] ؛ و فى زمنه جدد العزيز[5] التوراة و بنيت أسوار بيت المقدس و رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس ؛ و فى زمنه كان ابقراط[6] و سقراط[7] و دمقريط[8] الفلاسفة .

(١) فى الأصل « الى الآن » .

(٢) انظر هذا الخبر فيما بعد (ورقة ٢٠٨ : الف) .

(٣) فى الأصل « يهمن » بالياء ، و صوابه بالباء « بهمن » نصحح فى هامش الصفحة .

(٤) فى الهامش « بيان التوراة » . انظر أيضا ٢٠٤ : ب .

(٥) راجع Casanova, Idrīs et 'Ouzair, J.A., Oct.-Dec.1924, pp. 356 et seq.

(٦) أى Hippocrates و يرد عادة فى كتب العرب « بُقراط » و هم يرجعون عهده إلى ما قبل الإسكندر بقرن من الزمان و له عندهم صيت ذائع و مكانة رفيعة .

(٧) « سقراط » انظر فيما بعد ٢٠٣ : الف .

(٨) فى الأصل « مقريط » و لعله « دمقريط » و الدال ساقطة ، و ورد أيضا فى =

ثم

ثم ملك توطر، و فى زمنه كان[1] الحروب الموصوفة بصقلية .

ثم ملك بعده ارشخشار ، و فى زمنه كان ارسطاطاليس و افلاطون[2] الفلاسفة، و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر بيت المقدس و صقلية و ارسطاطاليس و افلاطون و الإسكندر إن شاء الله تعالى . و مات أفلاطون فى دولة الملك ارشخشار ؛ و قيل لأفلاطون : أى شيء من فعل الناس يشبه أفعال الله تعالى ؟ فقال : الإحسان إلى الناس .

ثم ملك ساسان، و كانت ملوك الفرس تحج البيت الحرام من بين سائر ملوك الأعاجم ، و كان ساسان هذا إذا طاف بالبيت زمزم على بئر إسماعيل فسميت "زمزم" لزمزمته و غيره من فارس ، و هذا يدل على ترادف هذا الفعل ، و فى ذلك يقول الشاعر :

زمزمت الفرس على زمزم و ذلك فى سالفها الأقدم

و بئر[3] زمزم غورها ستون ذراعا، و هى شرقى الكعبة ، و فى قعرها ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود ، و عين حذاء جبل أبى قبيس ، و عين حذاء المروة ؛ و بئر زمزم عميق[4] سخن ، فيه ملوحة و هو[5] داخل قبة عالية[6]

= القلة من كتب العرب التى ذكرته « ديموقريطس » أو « ديمقريطس » .

(١) كذا .

(٢) انظر فيما بعد ص ٢٠٣ : الف عن ارسططاليس و أفلاطون .

(٣) فى الهامش « صفة بئر زمزم » .

(٤) يلاحظ هنا استعمال المؤنث و المذكر على التوالى فى الكلام عن « بئر » .

(٥) فى الأصل « و هى » .

(٦) فى الأصل « عالى » .

عن الأرض مبنية[1] بالأحجار و الرخام الأبيض، قد اخضرّ جانبه من طول مدته ، و فى الشرب منه الراحة لكثرة الرخام ، و أفضل المياه ماء زمزم ، فاذا أفطر عليه الصائم فليقل : اللهم اجعله علما نافعا و رزقا واسعا و شفاء من كل داء و سقم ، و اغسل به قلبي و املأه من خشيتك ، و ارزقني الإخلاص و اليقين و المعافاة فى الدنيا و الآخرة . ثم ليقل بعد شرب ماء زمزم أو غيره من المياه : ذهب الظمأ و ابتلّت العروق و ثبت الأجر إن شاء الله – رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه و سلم .

قال الحسن البصرى: الدعاء يستجاب فى خمسة عشر موضعا[2] : فى الطواف و عند الملتزم و عند الميزاب و فى البيت و عند زمزم و على الصفا و المروة و فى المسعى و خلف المقام و فى عرفات و فى المزدلفة و فى منى و عند الجمرات الثلاث . و الدعاء المأثور أفضل من قراءة القرآن فى الطواف على الصحيح من مذهب الشافعى رحمه الله .

و كان الشيخ أبو العباس المرسى تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي كثيرا ما ينشد :

[١٣ : الف] مرّت لنا بمنى و الخيف أوقات
و طيب عيش قطعناه و لذّات
لأسلكنّ و لو أنّ الأسود بها
قوافلا و رماح الخط غابات

(١) فى الأصل « مبنى » .

(٢) فى هامش الصفحة « الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء » .

و لبعضهم :

نزلوا بمكة من قبائل نوفل و نزلت بالبيداء أبعد منزل
و تقلبوا فرحين تحت ظلالها و طرحت بالبيداء غير مظلل[1]
و سقوا من الصافى المعتق ريهم و سقيت دمعة و اله متململ
يا قسمة قسمت و لم أعلم بها و قضية ثبتت فلمر[2] الأول

انتهى .

نعود إلى ذكر هدية ساسان ملك الفرس للكعبة - و قد أهدى ساسان هذا غزالين من ذهب و سيوفا إلى الكعبة و هى التى دفنت بزمزم، وكان الذى دفنها عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى و هو رئيس جرهم، كانوا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة، ثم أن جرهم بغوا بمكة و استحلوا حرمتها و ظلموا من دخلها و أكلوا مال الكعبة التى يهدى لها و لم يتناهوا عن منكر فعلوه، حتى جعل الرجل إذا لم يجد مكانا يزنى فيه دخل الكعبة فزنا فيها، فزعموا أن إسافا بغى بنائلة فيها، فمسخا حجرين، و بعث الله على جرهم الرعاف و النمل فأفناهم . و نزلت خزاعة أرض تهامة فحاربت الجرهميين و هزموهم . فلما أحس عمرو بالهزيمة أمر بنيه أن يأتوا فى ليلة مظلمة إلى موضع زمزم يحفروا و يعمقوا الحفر و يدفنوا هنالك غزالى الكعبة و الحجر الأسود و أسيافا قلعية، و انطلق هو و من معه إلى اليمن . و لما كان فى زمن عبد المطلب بن هاشم جد

(١) فى الأصل « مضلل » و صحته بالظاء .
(٢) و بمقابل الكلمة « فى الأمر » .

النبي صلى الله عليه و سلم رأى فى منامه رؤيا دلته على موضع زمزم، فحفرها و أخرج منها الغزالين و الجوهر و الأسياف و الحجر الأسود، فضرب عبد المطلب فى الباب الغزالين، فكان أول ذهب حلّيته الكعبة . و لما خرجت جرهم من مكة قهرا لحقوا ببلاد جهينة، فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بهم، و فى خروج جرهم من مكة حين أخرجهم منها ولد إسماعيل عليه السلام يقول عمرو بن الحارث بن مضاض:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس و لم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا   صروف الليالى و الجدود العواثر
و كنا ولاة البيت من بعد نابت   نعزّ فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا و أعظم ملكنا   فليس لحىّ غيرنا ثم ناصر
[١٣ : ب] فان تنثنى الدنيا علينا بحالها   فان لها حالا و فيها التشاجر

ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قاضيا على بعض النواحى فقيل لعمر بعد توليته له بمدة: إنّ ذلك القاضى عنده قينة غنّته و هو يكتب بقلم فى قرطاس:

ترى فى الحكومة يا سيدى   على من تعشق أن يقتلا

فرمى بالقلم من يده و صرخ و قال: لا، فلما سمع عمر ذلك عزله، و بلغ القاضى الخبر فقال: و الله لو سمعها عمر طرب لحسن نغمتها و قال: اركبونى فانى مطية! فبلغ قوله ذلك لعمر فادعى به و بالجارية، فقال لها القاضى: غنّى له بأبيات عمرو بن الحارث، فلما حضرت بمجلسه أمرها عمر أن تقول شيئا

فأندفعت

فاندفعت تقول الأبيات:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

فبكى عمر و أخذه الوجد، فلما فرغت من غناها قال للقاضي: ارجع إلى عملك راشدا فقد هيّجت منى ما كان ساكنا.

و اعلم أن الكعبة المشرفة يسعى لها كل شائق من المغارب و المشارق يقصدها للحجّ، ثم إن أهل مكة تذكروا[1] عن بعضهم أنه قطع عمره كله بغيرحج و هو مقيم بها و هذا من أعجب العجب؛ قال بعضهم فى المعنى:

يا كعبة حجّت إلى إجلالها عرب الشام و تركها و الديلم
أ من المصائب أن يفوز بحجة من بالعراق و من بمكة يحرم

و قد مدح بعضهم الكعبة بقصيدة منها:

يا كعبة الحسن لو لا لطف معناكِ لما سرى فى الدجى ركبٍ لمغناكِ
نعم و لو لا سواد الخال منك لما تسارع الناس فى البيدا للقياكِ
أرخى نقاب الحيا لا تسفرين فقد هام البرية من تكحيل عيناكِ
تيهى دلالا على العشاق قاطبة و هتكِ كلّ عبّاد و نساكِ
إن كان يرضيك موت الصبّ فيك جوى ياحبّذا كلّ من فى الكون يهواكِ
تمايلى فى الحُلى فالركب من طرب قد هام فيك و ما فى القلب إلاكِ
يا ربة الستر تمشى فى السواد و لا تخشى فنور البرايا من محيّاكِ
ترفّقى بوفود قد أتوك و هم شعثا و غبرا يروموا قصد رؤياكِ
يا جنّة الخلد لا زلتِ مزخرفة و كل من فى بقاع الأرض يهواك

(١) فى الأصل: يذكروا.

[١٤ : الف] و حق حجرك و الميزاب يا أملى و خالك الأسود الزنجى و ركناك
و بالمقام الذى صلى الخليل به و زمزم و حطيم بغية الحاك
و طيب عيش قطعنا معك فى حرم و سعينا فى صفاك ثم مرواك
إنى و إن بعدت عنى الديار و إن شط المزار تمنى الطرف رؤياك

و لبعضهم فيها :

رأيت يا سادتى فى الأشهر الحرم عروسة جليت فى قاعة الحرم
عذراء مخدرة تجلى محاسنها على الرجال كما تجلى على الحرم

و سأذكر ما جاء فى فضائل الكعبة و مجيئها إلى المحشر إن شاء الله .

روى عن وهب بن منبه أنه قال : مكتوب فى التوراة ، إن الله عز و جل يبعث سبعمائة ألف من الملائكة المقربين ، بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب إلى الكعبة ، فيقول لهم : اذهبوا إلى الكعبة الحرام فزموها بهذه السلاسل ثم قودوها إلى المحشر ، قال : فيأتونها فيزمونها بسبعمائة ألف سلسلة من ذهب ثم يمدونها و ملك ينادى : يا كعبة الله ! سيرى ، قال : فتقول : لست بسائرة حتى أعطى سؤلى ، قال : فينادى ملك من جو السماء : اسألى حاجتك ، قال : فتقول الكعبة : يا رب ! شفعنى فى جيرتى الذين دفنوا حولى من المؤمنين ، قال : فيقول الله عز و جل : قد أعطيتك سؤلك ، قال : فيحشر الله تعالى موتى مكة من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمين ، فيجتمعون حول الكعبة يلبون ، قال : ثم تقول الملائكة : يا كعبة الله ! سيرى ، قال : فتقول : لست بسائرة حتى أعطى سؤلى ، قال : فينادى ملك من جو السماء : يا كعبة الله ! سلى حاجتك ، فتقول :

يا ربّ! عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىّ من كل فج عميق شعثا غبرا تركوا الأهلين و الأولاد و الأحباب، و خرجوا شوقا إلىّ زائرين مسلمين طائعين، حتى قضوا مناسكهم حيث[1] أمرتهم، فأسألك يا ربّ أن تؤمنهم من الفزع الأكبر و تشفعني فيهم و تجمعهم حولي! قال: فيقول الله عزّ و جلّ: يا كعبتي! إن فيهم من ارتكب الذنوب بعدك، فيهم من أصرّ على الكبائر حتى وجبت لهم النار، قال: فتقول الكعبة: يا ربّ! أنا أسألك الشفاعة لأهل الذنوب العظام[2] يا أرحم الراحمين! قال: فيقول الله عزّ و جلّ: قد شفعتك فيهم و أعطيتك [١٤ : ب] سؤلك، قال: ثم ينادي مناد[3] من قبل الله عزّ و جلّ: ألا! من زار الكعبة فليعتزل من الناس، قال: فيعتزلون، فيجمعهم الله حول الكعبة بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون و يلبّون، قال: ثم ينادي ملك من السماء: يا كعبة الله! سيري، قال: فتقول الكعبة: لبّيك اللهمّ لبّيك! و الخير كلّه بيديك، لا شريك لك! ثم تقودها الملائكة إلى المحشر.

و معنى الطواف حول الكعبة: عبد أبق من مولاه، فأضرّ به طول بلواه، فجاء يلوذ بأركان بيته و فنائه، لما أمل من كرمه و سخائه.

قال بعضهم: بينما أنا أطوف بالكعبة و إذا بامرأة معها صبي و هي تقول: يا كريم بحق العهد القديم إلّا غفرت لي! فقلت لها: و ما العهد القديم الذي بينك و بينه؟ فقالت: يا أخي! أمري عجيب، فقلت: قصّي عليّ بالله أمرك!

---

(١) في الأصل «حتى» و المقصود «حيث»، يستقيم بها الكلام.
(٢) وقع في الأصل: العظايم — كذا.
(٣) وقع في الأصل: منادي — كذا.

قالت : إنى كنت فى مركب و هى سائرة فى البحر الملح ، فعصفت علينا ريح فدمّرت من كان فى السفينة فلم يَنْج أحد[1] منها غيرى و هذا الطفل الذى معى ، فبقيت أنا و إياه[2] على لوح و رجل على لوح آخر ، فلما أصبح الصبح نظر الرجل إلىّ فجعل يدافع الماء بذراعيه حتى وصل إلىّ و استوى معنا على اللوح و جعل يراودنى على نفسى ، فقلت : يا عبد الله ! نحن فى بلية لا نرجو السلامة منها بطاعة الله فكيف بمعصيته ؟ فقال : و الله لا بد من ذلك ! و مدّ يده إلى الطفل ، أخذه و رمى به فى البحر ، فرفعت طرفى إلى السماء و قلت : يا من يحول بين المرء و قلبه ! حل بينى و بين هذا الرجل بحولك و قوّتك ، إنك على كل شىء قدير ! و إذا بدابة من دواب البحر قد فتحت فاها و التقمته و غاصت به فى البحر ، و بقيت الأمواج ترمينى يمينا و شمالا إلى أن رمتنى إلى جزيرة من جزائر العرب ، فقصصت عليهم قصتى ، فتعجبوا من ذلك و قالوا : لقد أخبرتنا[3] بأمر عجيب و نحن نخبرك بأمر تعجبين منه ، و ذلك أن [كنا - [4]] نحن سائرين فى هذا البحر و إذا بدابة من دواب البحر قد اعترضتنا و وقفت أمامنا و إذا هذا الطفل على ظهرها ، و سمعنا مناديا ينادى - نسمع صوته و لا نراه - يقول : لأن تأخذوا هذا الطفل و إلا هلكتم ! فنزل واحد منا على ظهرها ، أخذه و طلع المركب ، فغاصت الدابة فى البحر و ها هو ! فأخرجوه لها فضمّته إلى صدرها و بكت و قالت :

(١) وقع فى الأصل : احدا - كذا .

(٢) كذا ، والظاهر : وهو .

(٣) وقع فى الأصل : اخبرتينا - كذا (٤) سقط من الأصل و لا بد منه .

هو

هو ابنى و الله ! فأخذته و ها هو ذا [١٥ : الف] طائف معى بالكعبة، قال الرجل: فتعجبت من أمرهما و استوهبت من المرأة الدعاء و دفعت لها نفقة و انصرفت عنها - انتهى .

نعود إلى معنى التعلق بالأستار - أنا الذى هتكت أستار سرائرى عندك بقبيح الخلوات، و افعال الكبائر الموبقات، و الجنايات الموجبات، فهب لى من جميل عفوك، و تجاوزك و صفحك، ما تستر به عورتى، و تغفر به ذلتى، و تقيل به عثرتى، و تسمع به دعوتى، و تقضى به حاجتى، و تنجح به طلبتى، فأنت قصدى و بغيتى و همّى و إرادتى؛ شعر :

حننت إلى مشاهدة الكرام فيا شوقى إلى البلد الحرام
يطوف الطائفون و لا أراهم و كنت أراهم فى كل عام
على البيت الحرام سلام صب يلاقى الشوق فيه مع الغرام
إذا ذكر الحجاز يراع قلبى فيا أسفى على ذاك المقام

و لبعضهم فى الكعبة :

كعبة الله كالعروس تجلّت و عليها من الجمال لثام
و لها فى مُقبّل الخدّ خال كم إليه بالشوق تسعى الأنام

قيل : من صافح الحجر الأسود فقد صافح الحق سبحانه و تعالى، لأنه يمين الله فى الأرض، و من قبّله فقد قبلها .

قال ابن الفارض :

و منها يمينى فيه ركن مُقبّل و من قبلتى فى فىّ للحكم قبلتى

الضمير فى "و منها" ضمير الصفات، و المعنى أن حكم الشرع الباطن

الذى هو كحكم الشرع الظاهر فى تقبيل الحجر الأسود الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم: الحجر الأسود يمين الله فى الأرض، أى من قبّله فقد قبّلها، و كما أن الحجر من القبلة فكذا فمى من قبلتى، فله قُبلتى.

و معنى أيضا: تقبيل الحجر و مصافحته كأنه إذا فعل ذلك يدي بوفاء عهدى و إخلاص قصدي لا أنقض لك عهدا، و لا أخلف لك وعدا، و لا أعصى لك أمرا، و لا أفشى لك سرا، و لا أهتك من محارمك سترا، كل الجهات الست بمن فيها تتوجه إلى الكعبة من قرب و بعد، و لا شك أن المقصود بذلك كله رب الكعبة، لم يقل الله تعالى: وسعتنى الكعبة، بل قال: ما وسعتني أرضى و لا سمائى و وسعنى قلب عبدى المؤمن، و المراد ليس جرم القلب بل النفس الكاملة، و نظر ابن عمر إلى الكعبة [١٥ : ب] فقال: ما أعظمك و أعظم حرمتك! و المؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

و فى بضع و أربعين و ستمائة هبت رياح عاصفة بمكة فمزقت ستارة الكعبة و ألقتها، فما سكنت الريح إلا و الكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد، و كان هذا فألا على زوال دولة بني العباس و منذرا بما سيقع بعدها من كائنة التتر، و سيأتى فيما يرد من هذا لمع[1] من أخبار التتر بما فعلته ببغداد مع الخليفة المستعصم بالله إن شاء الله تعالى. و لما تعرّت الكعبة من ستارتها بتمزيق الرياح لها استأذن نائب صاحب اليمن شيخ

(١) فى الأصل: لمعا - كذا.

الحرم فى أن يكسو الكعبة، فقال : لا يكون ذلك إلا من مال الخليفة، و لم يكن عند شيخ الحرم مال فاقترض ثلاثمائة دينار و اشترى بها ثياب قطن و صبغها سودا و ركب عليها طراز الكعبة[١] العتيقة وكسا بها الكعبة بعد أن مكثت إحدى و عشرين يوما عريانة. و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى الحجر الأسود و لما سمى بالأسود إن شاء الله تعالى.

و لما حجت جميلة بنت ناصر الدولة[٢] كانت فى تجمل عظيم يضرب المثل بحجها، و ذلك أنها عملت أربعمائة محمل، فى كل محمل جارية، فكان لا يدرى فى أيها هى، و لما وصلت إلى الكعبة فى جواريها و كلهن زيا واحدا فى الملبوس لئلا تعرف من بينهن نثرت عليها عشرة آلاف دينار انتهبتها الناس، و كست المجاورين كلهم بالحرمين : حرم مكة و حرم المدينة، وكانت إذا طافت لم تعرف من بين جواريها.

و فى بضع و ستين و ستمائة احترق مسجد المدينة - على ساكنه أفضل الصلاة و السلام - و ذلك أن أحد القوم[٣] دخل إلى خزانة الحرم و معه نار فعلقت فى الآلات و اتصلت بالسطح سرعة، ثم عملت فى السقوف

---

(١) انظر أيضا فيما يتعلق بكسوة الكعبة ٧٨ : الف، ١٥٣ : ب - و من المعلوم من بعض الأصول التاريخية أن كسوة للكعبة صنعت سنة ١٥٩ ه فى تنيس وسنة ١٩١ ه فى طهطا - راجع سجل الكتابات العربية Re'pertoire Chronologique d' Epigraphie Arabe ج ١ رقم ٤٤، ٨٠.

(٢) ناصر الدولة بن حمدان توفى فى الموصل سنة ٣٥٧ ه.

(٣) وقع فى الأصل : القومة - كذا.

حتى احترقت سقوف المسجد أجمع، و احترق سقف الحجرة النبوية و وقع بعض أساطين المسجد، و كل ذلك قبل أن تنام الناس، فجهز الملك الظاهر بيبرس[1] سلطان الديار المصرية صناعا و أخشابا لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد حريقه، فطيف بتلك الأخشاب و الآلات بالقاهرة ثم أرسل بها إلى المدينة.

قال البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان المسجد على عهد النبي صلى الله عليه و سلم مبنيا باللبن، و سقفه الجريد، و عمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر رضى الله عنه شيئا؛ و زاد فيه عمر رضى الله عنه و بناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم باللبن و الجريد و أعاد [١٦: الف] عمده خشبا؛ ثم غيره عثمان رضى الله عنه فزاد فيه زيادة كثيرة و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و القصة و جعل عمده من حجارة منقوشة، و سقفه بالساج، و القصة هي الجص.

قال الشيخ محيي الدين النواوي: قوله صلى الله عليه و سلم: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام. معناه فيما يرجع إلى الثواب؛ فثواب صلاة فيه تزيد على ثواب الألف فيما سواه و لا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الصلوات الفوائت و هذا لا خلاف فيه؛ و قال النواوي أيضا: و يستحب المجاورة بمدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم كالمجاورة بمكة، فقد ثبت في الصحيح عن

(١) و كان ذلك في سنة ٦٦١ هـ.

ابن

ابن عمر و أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: من صبر على لأواء المدينة و شدتها كنت له شفيعا - أو شهيدا - يوم القيامة . و اختلف العلماء فى المجاورة بمكة، فقال أبو حنيفة و من وافقه: تكره المجاورة بها، و قال أحمد ابن حنبل و آخرون: لا تكره بل تستحب؛ و قد اشتد نكير القاضى أبى[١] بكر ابن العربى على القائلين بالكراهة؛ قال النواوى: و إنما كرهها من كرهها لأمور: منها خوف الملل و قلة الحرمة للانسيان و خوف ملابسته الذنوب، فان الذنب فيها أقبح منه فى غيرها كما أن الحسنة أعظم منها فى غيرها؛ و أما من استحبها فلما يحصل فيها من الطاعات كالطواف و تضعيف الصلوات و الحسنات و غير ذلك؛ قال ابن عبد البر فى كتاب التمهيد: عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، و فى مسجدى بألف صلاة، و فى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة . قال النواوى: و المختار المجاورة بمكة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع فى الأمور المحظورة، و قد جاور بها خلائق لا يحصون من سلف الأمة و خلفها و ممن يقتدى بهم .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع[٢] من أخبار مكة و المدينة و أسماء بعض مدن الهند و اليمن و العراق و الروم إن شاء الله تعالى - انتهى .

نعود إلى ذكر ملوك الفرس - ثم ملك سابور بن يزدشير[٣] و هو

(١) وقع فى الأصل: ابو - كذا .

(٢) وقع الأصل: لمعا - كذا .

(٣) سابور بن يزدشير هو سابور الأول ابن ازدشير الذى حكم بلاد الفرس =

الذى يقال له: سابور الجنود، و هو الذى افتتح الحصن المعروف بالحضر من بلاد الموصل، و كان صاحب الحصن يسمى الضيزن و أقام سابور على حصنه أربع سنين لم يقدر على فتحه حتى تحركت النضيرة[1] بنت الضيزن إلى بعض الارباض، و كذلك يفعلون بنسوانهم، [١٦ : ب] و كانت النضيرة من أجمل النساء فتعشقت سابور و عشقها، فقالت: ائت الثرثار - و هو نهر - فانثر فيه تبنا ثم اتبعه فانظر حين يدخل فأدخل الرجال منه، فان ذلك يفضى إلى الحصن؛ ففعل سابور ذلك و فتحه عنوة - أى غلبة و قهرا، و قتل من فيه، و احتمل النضيرة، فعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور و فرشها الحرير المحشو زغب الطير، فقال: ما بالك؟ قالت: من الفراش، فقال: و الله! ما نامت الملوك على ألين منه، فالتمس سابور ما كان يؤذيها، فاذا ورقة آس ملتصقة بين عكنها، و كان سابور ينظر إلى مخ قصبها من لين بشرتها، فقال لها: أى شيء يغذيك أبوك؟ فقالت: بالزبد و المخ و شهد أبكار النحل و صفو الخمر، فقال: و أبيك لا أنا أحدث بك! فكان جزاء أبيك[2] منك ما صنعت به فكيف آمنك على نفسى؟ فأمر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب شعر رأسها بذيله ثم همز الفرس فقطعها قطعا - هذا ما ذكره المسعودى فى كتاب "مروج الذهب و معادن الجوهر" الذى ذكر أنه ألفه فى سنة اثنتين و ثلاثين

= من سنة ٢٤١ الى سنة ٢٧٢.

(١) «النضيرة» وردت فى النص «النضيزه» - راجع مروج الذهب ١/٨٤.

(٢) وقع فى الأصل: ابوك - كذا.

و ثلاثمائة بعد تأليفه لكتاب "أخبار الزمان و من أباده الحدثان" من الأمم الماضية و الأجيال الخالية و الممالك الداثرة و الأمم الغابرة . و ألف أيضا كتاب "فنون المعارف و ما جرى فى الدهور السوالف" و كتاب "ذخائر العلوم و ما كان فى سالف الأعصار و الدهور" و كتاب "نظم الجواهر فى تدبير الممالك و العساكر" و كتاب "الاستذكار لما جرى فى سالف الأعصار" و كتاب "نظم الأعلام فى أصول الأحكام" و كتاب "نظم الأدلة فى أصول الملة" و كتاب "المسائل و العلل فى المذاهب و الملل" و كتاب "المقالات فى أصول الديانات" وكتاب "التعيين للخلفاء الماضين" و كتاب "التنبيه على تواريخ الأمم"، وكان تأليفه لهذا الكتاب المسمى بالتنبيه كما ذكر بمصر سنة خمس وأربعين و ثلاثمائة للهجرة فى خلافة المطيع و الملك على الروم قسطنطين بن لاون[1] و هى سنة ألف و سبعمائة و أربع سنين لبخت نصر[2] ، و بخت نصر هو الذى أخرب الديار المصرية و أقام النيل بسبب إخرابه لمصر و أرضها أربعين سنة يزيد و ينقص و لا يزرع عليه لخلو مصر و أرضها من الناس، و قيل : إنه عمر سبعمائة سنة ، و قال المسعودى أيضا : و هذه السنة سنة ألف و مائتين و ثمانين

---

(١) سنة ٣٤٥ ﻫ توازى سنة ٩٥٦ و ٩٥٧م وهى من سنى حكم قسطنطين السابع المعروف باسم Constantin VII Porphyrogenète ابن ليون حكم ما بين ٩١٣-٩٥٩ .

(٢) تقويم بخت نصر هذا بدأ سنة ٧٤٧ ق . م . و على ذلك تكون السنة المشار إليها هنا ١٧٠٤ بدلا من ١٧٦٤ ، إذن يجب أن تكون القراءة « وأربع سنين » بدلا من « واربع و ستين سنة » كما هو وارد فى النص .

للاسكندر[1] المقدونى و ستمائة و ثلاث [2]و سبعين[2] لدقلطيانوس ملك القبط و ثلاثمائة و أربع و عشرين سنة [١٧ : الف] لشهريار بن كسرى ابرويز آخر ملوك فارس[3] - انتهى ما قاله أبو الحسن على المسعودى .

فلنذكر ما قاله قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان فى تاريخه المسمى بوفيات الأعيان فى إنباء أبناء الزمان و من أباده الحدثان عن الحصن المتقدم ذكره إن شاء الله تعالى - قال : إن الحصن المعروف بالحضر إنما حاصره ازدشير بن سابور الجنود ملك الفرس و كان لصاحب الحصن إبنة يقال لها النضيرة[4] بنت الضيزن و كانت فى غاية الجمال فأشرفت ذات يوم فأبصرت ازدشير الملك و كان من أجمل الرجال فهويته ، فأرسلت إليه أن يتزوجها و تفتح له الحصن ، فالتزم لها ما طلبت ، و كان فى علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة و تخضب رجلاها بحيض بكر ثم ترسل الحمامة فتترك على سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ، فدلت النضيرة[4] أزدشير[5] على

(١) تقويم الإسكندر المقدونى يبدأ بسنة ٣٢٣ ق . م . باضافتها إلى السنة المشار إليها من حكم قسطنطين السابع ينتج أن حساب المؤلف مضبوط فى سنة ٢٨٠ ، ١ و لكن فى الأصل : ثمانى سنين - مكان : ثمانين .

(٢-٢) فى الأصل : سنين ، و تقويم الشهداء بين القبط يبدأ بتولية دقلديانوس الحكم سنة ٢٨٤ م بطرحها من سنة ٩٥٧ م يكون الحاصل ٦٧٣ و ليس ٦٠٣ كما ورد خطأ فى النص .

(٣) تقويم شهريار بن كسرى ابرويز و هو تقويم يزدجرد الثالث الذى سقطت فى عهده الأمبراطورية الساسانية يبدأ بسنة ٦٣٢ م ، و على ذلك يكون التقدير الوارد فى النص مضبوطا .

(٤) قد مر التعليق عليه .

(٥) فى الأصل : ازد .

ذلك

ذلك ففعله و استفتح الحصن و أخربه و أباد أهله و سار بنضيرة[1] و تزوجها ، فبينما هى نائمة على فراشها إذ جعلت تململ ، ففتش فرشها فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها الملك : هذا الذى أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لى الديباج و يلبسنى الحرير و يطعمنى المخ و الزبد و يسقيني الخمر الصافى ، قال : فكان جزاء أبيك[2] منك ما صنعت به أنت إلى ، ثم أمر بها فربطت قرون شعر رأسها بذنب فرس ثم سيق الفرس سوقا عنيفا فقطعها قطعا - انتهى .

و قال المسعودى أيضا : و فى قتل سابور الجنود[3] للملك الضيزن يقول جرير العبسى :

ألم يخبرك و الأنباء تنمى ... بما لاقت سراة بنى العبيد
و مصرع ضيزن و بنى أبيه ... و أحلاف الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات ... و بالأبطال سابور الجنود
فهدّم من بروج الحصن صخرا ... كأن بناءه[4] زبر الحديد

و سمى سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجند و كان مسيره فى جنود فارس و غيرها من الترك و ملوك الأمم ،

و فى قتل سابور للنضيرة[1] بنت الضيزن و ما كان منها من الغدر بأبيها و قومها و إرشادها سابور إلى أن دخل الحصن يقول عدى بن زيد العبادى :

---

(١) قد مر التعليق عليه .
(٢) فى الأصل : أبوك - كذا .
(٣) فى الأصل : الجند .
(٤) من مروج الذهب ١/٢٨٥ ، وفى الأصل : تقاله - كذا .

و الحضر صبّت عليه داهية من قعدة أبدت مناكبها
[١٧:ب] فأسلمت أهلها و والدها تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جشر الصبح دماء تجرى سبائبها

و مثل هذه الحكاية ما جرى للحارث بن عمرو الكندى جد امرئ القيس و هو المعروف بآكل المرار، لأن عبد ياليل أغار عليه فأخذ زوجته فيمن أخذ فأعجبت به و أحبته و خافت أن يستنقذها الحارث بن عمرو منه، و كان عبد ياليل أسود أدلم فقالت لعبد ياليل: انج بى قبل التبع فكأنى بالحارث كأنه جمل آكل المرار[١] قد لحقك فاستنقذنى منك؛ فما كان إلا قليلا حتى أدركهم الحارث فاستنقذها منهم، فقال لها: هل أصابك عبد ياليل؟ قالت: نعم و ما اشتملت النساء على مثله؛ فأمر أن تربط إلى ذيل فرس و يركض بها، فربط شعرها لذيل فرس و ركض بها حتى تقطعت قطعا، فالحارث و بنوه هم ملوك كندة - انتهى.

فلنذكر الآن خبر سابور بن هرمز[٢] ذى[٣] الأكتاف - و سمى سابور ذا[٣] الأكتاف لخلعه أكتاف العرب و هو الذى بنى الإيوان العظيم البناء و هو إيوان كسرى الذى هو أحد عجائب الدنيا لعظم شأنه و هو بالجانب الشرقى من المدائن، و كان ملكه - إلى أن هلك - اثنتين[٤] و سبعين سنة، و كان خلفه أبوه الملك كسرى هرمز حملا فى بطن أمه فغلبت العرب

(١) فى الأصل: مرار.
(٢) و هو سابور الثانى حكم من سنة ٣١٠ إلى سنة ٣٧٩ م.
(٣) فى الأصل ذو - كذا.
(٤) فى الأصل اثنين - كذا.

على سواد العراق، و قام الوزراء بأمر التدبير، و كانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد إياد بن نزار، و كان يقال لها "طبق" لإطباقها على البلاد، و ملكها يومئذ الحارث بن الأعز الإيادى، فلما بلغ سابور من السنين [١]ست عشرة[١] سنة أعد أساورته للخروج إليهم و الإيقاع بهم، و كانت إياد تصيف بجزيرة بنى عمر و تشتو[٢] بالعراق، و كان فى جيش سابور رجل منهم يقال له «لقيط» فكتب إلى إياد شعرا ينذرهم و يعلمهم خبر من يقصدهم فقال:

سلام فى الصحيفة من لقيط		على من بالجزيرة من إياد
فان الليث يأتيكم دلافا		فلا يحبسكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا		يزجون الكتائب كالجراد

فلم يعبأوا بكتابه و سراياهم تكر نحو العراق و تغير على السواد، فلما تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتابا أن القوم قد عسكروا و حشدوا لهم [١٨ : الف] و أنهم سائرون إليهم، ثم إن سابور أوقع بهم و عضهم بالقتل و ما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم، و خلع أكتاف كثير منهم فسمى بذلك سابور "ذا[٣] الأكتاف" و قد كان سابور فى مسيره فى البلاد أتى على بلاد البحرين و فيها يومئذ بنوتميم فأمعن فى قتلهم، و هربت بنوتميم و شيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر، و له يومئذ ثلاثمائة

(١ - ١) فى الأصل: ستة عشر - كذا.
(٢) فى الأصل: يشتوا - كذا.
(٣) وقع فى الأصل: ذو - كذا.

سنة ، و كان يعلّق فى عمود البيت فى قفة قد اتخذت له ، فأرادوا حمله فأبى عليهم إلا أن يتركوه فى ديارهم و قال : أنا هالك اليوم أو غدا ! و ما ذا بقى من عمرى؟ و لعل الله ينجيكم من سطوة المسلّط على العرب بتركى ، فتركوه و مضوا ، فلما صبحت خيل سابور الديار ألفوها خالية ، فلما سمع الشيخ عمرو صهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذ و جىء به إلى سابور ، فلما وضع بين يديه نظر إلى دلائل الهرم و مرور الأيام عليه فقال له سابور : من أنت أيها الفانى؟ قال : أنا عمرو ابن تميم بن مرّ و قد بلغت من الكبر ما ترى و قد هرب الناس منك لإسرافك فى القتل ، و آثرت الفناء على يديك ليبقى من مضى من قومى و لعل الله تعالى يجرى فرجهم على يديك ، و أنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه! فقال له سابور : قل نسمع ، فقال : ما الذى حملك على قتل رعيتك و رجال؟ العرب فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا من بلادى و أهل مملكتى ، قال عمرو : فعلوا ذلك و لست عليهم بقيم ، فلما بلغت وقفوا بما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ، قال سابور : و أقتلهم لأنا نجد فى مخزون علمنا و ما سبق من أنباء أوائلنا أن العرب ستدال علينا ، قال عمرو : و هذا تتحققه أم تظنه؟ قال : بل أتحققه و لا بد أن يكون ، قال عمرو : فلِم تسىء إليها؟ و الله لإن تبقى على العرب و تحسن إليها فيكافون عن قومك عند إدالة الدولة لهم باحسانك ، و إن أنت طالت بك المدة كافوك عند مصير الأمور إليهم إن كان حقا ، و إن كان باطلا فلِم تتعجل الإثم و تسفك دماء رعيتك؟ قال سابور : و الرأى ما قلت ، و لقد صدقت فى القول و نصحت ؛

فنادى

فنادى منادى سابور بأمان الناس و رفع السيف، ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن و قتل خلائق من الروم و قال لمن معه: إنى أريد أن أدخل أرض[1] الروم متنكرا لأعرف أخبارهم و سيرهم و ممالك بلادهم، فاذا بلغت من ذلك [١٨:ب] حاجتى انصرفت إلى بلدى فسرت إليهم بالجنود، فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم، فسار متنكرا إلى القسطنطينية فصادف وليمة بالقصر لقيصر و قد اجتمع فيها الخاص و العام، فدخل فى جملتهم و جلس على بعض موائدهم، و قد كان قيصر أمر مصوّرا أتى عسكر سابور، فصوّر شكل صورته، فلما جاء إلى قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب و الفضة و أتى بعض من كان على المائدة التى عليها سابور بكأس، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التى على الكأس التى[2] بيد سابور و سابور مقابل لها على المائدة، فعجب من اتفاق الصورتين و تقارب الشبهين، فقام إلى الملك فأخبره فمثل بين يدى الملك فسأله عن خبره، فقال: أنا من أساورة سابور و هربت منه لأمر خفته فيه، فلم يقبلوا ذلك منه، و قدم إلى السيف فأقرّ بنفسه، فجعل فى جلد بقرة و سار قيصر فى جنوده حتى توّسط العراق فافتتح[3] الحصون و شن الغارات و عقر النخل و انتهى إلى مدينة نيسابور و قد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها، و حضر عيد النصارى فأغفل الموكّلون بأمر سابور و أخذ فيهم الشراب، و كان بالقرب من سابور أسارى من فارس، فراطنهم

(١) فى الأصل: لارض - كذا.

(٢) فى الأصل: الذى - كذا.

(٣) وقع فى الأصل: فافتح - كذا.

بالفارسية أن يحل بعضهم بعضا، و شجعهم و أمرهم أن يصبّوا عليه زقاق الزيت ففعلوا، فلانَ عليه الجلد فخرج منه و أتى المدينة ليلا فرأى الحرس فوق سورها فراطنهم فعرفوه و رفعوه إليهم بالحبال، ففتح أبواب خزائن السلاح و خرج بأساورته إلى الروم و هم مطمئنون قد عمل فيهم خمار الشراب، فكبس جيشهم عند ضرب النواقيس فانهزم الروم و أتى بقيصر أسيرا، فاستحياه و أبقى عليه و ضمّ إليه من أسر من أصحابه و أخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل الذى عقروه، و لم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك.

و فى فعل سابور و تغريره بنفسه و دخوله إلى الروم يقول بعض المتقدمين من شعراء الفرس:

إذ كان بالروم جاسوسا يجول بها حزم البرية من ذى كيد مكار
فاستأسروه و كانت كبرة عجبا و زلة سبقت من غير عثار
و أصبح الملك الرومى مقتربا أرض العراق على هول و أخطار
فراطن الفرس فى الأبواب فامترقوا كما تجاوب أسد الفار فى الغار
[۱۹: الف] فجزّ بالسيف أصل الروم فامتحقوا لله درك من طلاب أوتار
إذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا من النخيل و ما أحفوا بمنشار

و لما مات سابور ملك بعده ابنه بهرام بن سابور، ثم ملك بعد بهرام ابنه يزدجرد[۱] و هو المعروف ببهرام جور، ثم ملك يزدجرد بن بهرام جور بعد أبيه[۲]، و أحضر حين ملك رجلا من حكماء عصره فقال

(۱) فى الأصل: يزدجر.
(۲) فى الهامش: نكتة.

له : أيها الحكيم الفاضل ! ما صلاح الملك ؟ قال : الرفق بالرعية و أخذ الحق منهم فى غير مشقة و التودد إليهم بالعدل و أمن السبل و إنصاف المظلوم من الظالم ، قال : فما صلاح أمر الملك ؟ قال : وززاؤه و أعوانه ، إن صلحوا صلح و إن فسدوا فسد ثم هلك ، وتنازع الناس بعده ، ابناه فيروز و هرمز ، فقتله فيروز ثم أن فيروز غزا اخشوار ملك الهياطلة[1] و هم بين بخارى وسمرقند ، فاحتال عليه ملك الهياطلة حتى أخذه أسيرا . و سأذكر تلك الحيلة العجيبة فى موضعها إن شاء الله تعالى . ثم ملك قباد بن فيروز بعد قتل ملك الهياطلة لفيروز . ثم ملك بعد قباد ابنه كسرى انوشروان فقتل ملك الهياطلة بجده فيروز بعد أن غزاه و أسره .

و "انو شروان[2]" تفسيره : حديد الملوك ، فعظم شأنه و كبر سلطانه و هادته ملوك السند و الهند و الصين و الشمال و الجنوب و كانت مدة ملكه ثمانيا و أربعين سنة ، و هو الذى بنى سورا لباب الأبواب[3] و جعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل و بناه على الزقاق المنفوخة

(١) « الهيطلة » انظر أيضا ٢٣ : الف ــ راجع المصادر الآتية :

Noeldeke, *Gesch. d. Perser u. Araber*, pp. 118 et s.

Blochet, *Les Pays de Tchata et les Ephtalites*, "Reud. Acc. Lincei. Yc. Mor. Hist. Filol.", VI ser., Vol. I, Mai-Juin 1925.

R. Ghirshman, *Les Chionites—Hephtalites*. 1948. (Me'm De'le'g. Franc. Afghanistan, Tome XIII), fol. XIII–156, p. 70 fig. 8 pl.

(٢) فى الهامش : كسرى انوشروان .

(٣) وقع فى الأصل : سور الباب و الأبواب ــ كذا ، و باب الأبواب أو باب الحديد قريب من مدينة دربند فى الدغستان .

بلبن الحديد والرصاص، فكلما ارتفع البناء نزلت به الزقاق إلى أن استقرت فى قعر البحر و ارتفع السور على الماء فغاصت الغواصون حينئذ بالخناجر إلى تلك الزقاق فشقتها و تمكن السور على وجه الأرض فى قعر البحر .

و وصل هذا السور من البحر فى البر أيضا على جبل الفتح أربعين فرسخا حتى انتهى إلى طبرستان و جعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور بابا من حديد و أسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب و ما يليها من السور، و ذلك لدفع الأمم المتصلة بذلك الجبل، و هم أنواع من الأمم منهم الخزر و اللان و الترك و البرغز و غيرهم، و لما بنى انوشروان هذا السور هابته الملوك و راسلته و هادته، فكان فيمن ورد عليه كتاب ملك الصين، وكتب إليه : من بغفور[1] ملك الصين - صاحب قصور الدر و الجوهر الذى يجرى فى [١٩ : ب] قصره نهران يسقيان العود و الكافور الذى توجد رائحته على فرسخين و الذى تخدمه بنات ألف ملك و الذى فى مربطه ألف فيل أبيض - إلى أخيه كسرى انو شروان، و أهدى له فارسا على فرس من ذهب منضد بالجوهر النفيس عينا الفرس والفارس من ياقوت و قائم سيفه من سن نابت منضد بالجوهر و ثوب حرير صينيا فيه صورة الملك جالسا فى إيوانه و عليه حليته و تاجه و على رأسه الخدم بأيديهم المذاب [2]و الصورة[2] منسوجة بالذهب، و أرض الثوب لازوردى فى

(١) فى الأصل : يعفور، و فى (٢١ : ب) يعبور ، و بغفور هى بغبور باللغة الصينية و معناها ابن السماء (انظر مروج الذهب للسعودى ج ٢ ص ٢٠٠ تحت فغفور) .

(٢-٢) فى الأصل : الصورة .

سفط من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها تتلألأ جمالا و غير ذلك مما تتهادى به الملوك؛ و كتب إلى انو شروان أيضا ملك الهند و عظيم ملوك المشرق و صاحب قصر الذهب و أبواب الياقوت إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج و الراية و أهدى إليه ألف منّ من العود الهندى يذوب فى النار كالشمع و يختم عليه كما يختم على الشمع، و جاما من الياقوت الأحمر فتح فمه شبر مملوء درّا و عشرة أمنان كافور كالفستق، و أكبر من ذلك، و جارية طولها سبعة أذرع كأن بين أجفانها لمعان البرق مع إتقان شكلها مقرونة الحاجبين، و لها ظفائر شعر تجررها، و فراشا من جلود الحيات ألين من الحرير و أحسن من الوشى و كان كتابه فى لحاء شجر يعرف بالكاذى مكتوب بالذهب الأحمر، و هذا الشجر يكون بأرض الهند و الصين لحاؤه أرق من القرطاس الصينى ذو لون عجيب لازوردى، و رائحته عجيبة يكاتب فيه ملوكها، وكتب إليه ملك التبت[1] من ملك تبتان و مشارق الأرض المتاخمة للصين و الهند إلى أخيه المحمود السيرة و القدر ملك المملكة المتوسطة الأقاليم السابعة أنوشروان، و أهدى إليه أنواعا مما يحمل من عجائب الأرض، منها مائة جوشن تبتية و مائة ترس مذهبة و أربعة آلاف منّ من مسك فى نوافج غزلانه. وكانت لأنوشروان مائدة من الذهب مكتوب عليها "ما أكلته و أنت تشتهيه فقد أكلته، و ما أكلته و أنت لا تشتهيه فقد أكلك". و سيأتى فيما يرد من

(١) فى الأصل: التيت.

هذا الكتاب صفة مائدة سليمان عليه السلام و صفة كرسيه و ما قيل فى الأكل على موائد الملوك .

و سأذكر الآن ما قيل فى نفع قلة الأكل و ضرر كثرته[١] : اعلم أن قلة الأكل لها منافع و كثرة الأكل [٢٠ ؛ ألف] يحصل به مضار كثيرة ، أما قلة الأكل فليكن ما تأكله على نية سدّ خلة الجوع و إعطاء النفس قوامها لإنهاضها بالعبادة ، و ليحذر التأنق فى المآكل و متابعة النفس فى شهواتها فان ذلك لا ينتهى إلى حد ، و لله در القائل حيث يقول :

خذ من طعامك للقوام فكل ما يتجاوز الحلقوم يذهب طيبه
و اجعل طعامك من نصيبك إنه إن لم يكن قصدا فأنت نصيبه
و الأكل للإنسان راحته و فى إكثاره من أكله تعذيبه

و ليترك الإنسان الطعام و فيه بقية ، فان لم يفعل ذلك أكثر شرب الماء و حصل له الثقل و التمدد و أعقبهما النوم و الكسل و الضعف و ضاع عليه زمان عبادته ، قال الله تعالى ”كلوا من الطيبت و اعملوا صالحا[٢]“ فبين سبحانه أن المباح من الأكل هو ما لا يمنع من العمل الصالح ، ثم قال ” و الذين كفروا يتمتعون و ياكلون كما تاكل الانعام و النار مثوى لهم[٣]“ و أما إطعام الطعام ففيه أجر كبير ، كما قيل : ليس شيء من أعمال البر أقرب برهانا و لا أظهر نجحا فى الوقت من إطعام الطعام ،

(١) فى الهامش : قلة الأكل و منافعه و كثرته و مضاره .
(٢) قرآن كريم ٢٣ : ٥١ .
(٣) قرآن كريم ٤٧ : ١٢ .

و له خمس كرامات: أحدها يزيد و يزداد إلى يوم القيامة، قوله تعالى "يمحق الله الربوا و يربى الصدقت"[1]، و الثانى يطهر من المرض و الوصب، قال عليه السلام: داووا مرضاكم بالصدقة، و الثالث يحفظ المال، قوله عليه السلام: حصنوا أموالكم بالزكاة، والرابع الخلف فى الدنيا لعشرة أمثالها و فى الآخرة بسبعمائة ضعف، و الخامس يدفع سبعين بابا من السوء - انتهى.

نعود - و كان يفرش لأنوشروان فى الإيوان الكسروى بساط من الحرير الملون المشجر كالرياض الخضرة المزهرة و كان ذلك البساط فى قدر سعة الإيوان، و كان أنوشروان يجلس فى صدر الإيوان على سرير ملكه، و على رأسه تاج من الذهب مرصع بأنواع اليواقيت و الجوهر، قيل كان زنة تاجه - كما حكاه أبو عبيد القرطبى فى كتاب المسالك و الممالك - سبعون قنطارا تحمله سلسلة من الذهب معلق بها أصلها فى سقف الإيوان، و التاج محكم على جبينه حين جلوسه على سريره، و هذا الإيوان أحد عجائب الدنيا لعظم شأنه و ارتفاع بنيانه، و أنوشروان هو الذى قال [٣٠: ب] فيه أحد شعراء العرب:

ملك حوى رتب المعالى كلها بسموّ مجد حل فى إيوانه
مولى به شرف الزمان و أهله و بتاجه العالى على تيجانه

و نزل أمير المؤمنين هارون الرشيد على قرب من إيوان كسرى فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول: هذا الذى بنى هذا الإيوان أراد أن يصعد عليه إلى السماء، فأمر الرشيد بضربه و قال: الغيرة حملتنى على

(١) قرآن كريم ٢: ٢٧٦.

أدبه لصيانة الملك و ما يلحق الملوك للملوك ، و ذكر أن هارون الرشيد بعث إلى وزيره يحي بن خالد البرمكي و هو في اعتقاله يشاوره في هدم الإيوان ؛ و البرمك هو سادن بيت النار التي تعبدها المجوس، و كان جد يحي من البرامكة و هم السدنة أي الخدمة لوقودها ، كما قال ابن الفارض[١] :

وإن عبد النار المجوس و ما انطفت كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فلما أتى رسول الرشيد إلى يحي الوزير بعث إليه : لا تفعل ؛ فقال لمن حضره : إن المجوسية في نفسه و الحنو عليها من المنع من إزالة آثارها ، فشرع في هدمه ، فاذا به يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة ، فأمسك عن ذلك و كتب إلى يحي الوزير يعلمه بذلك ، فجاوب أن ينفق على هدمه ما بلغ من الأموال و يحرض على محو أثره ، فتعجب الرشيد من تناقض كلامه و بعث إليه يسأله ، فقال : أما الكلام الأول فانى أردت بقاء الذكر لأئمة الإسلام و أن يكون من يرد في الأزمان يرى مثل هذا الأثر العظيم فيقولون : إن أمة قهرت قوما هذا بنيانهم فاحتوت على ملكهم لأمة عظيمة الشدة ، و أما قولي الثاني فأخبرت أنه قد شرع في هدم بعضه فأردت نفي العجز عن ملة الإسلام و أن لا يقول قائل : إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس ؛ فلما بلغ الرشيد قوله قال : قاتله الله ! فما سمعت له قط قولا إلا صدق فيه ، و أعرض عن

(١) ورد هذا البيت سابقا بالورقة [٨ : ب] في صدر الكلام عن المجوس أو عبدة النار .

هدمه ، و لما بلغ الرشيد موت يحيى استرجع و قال : مات أعقل الناس . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع[1] من أخبار الرشيد إن شاء الله تعالى.

و كان انو شروان عادلا فى رعيته ، فمن عدله أن رسول ملك الروم قيصر قدم عليه بهدايا ، فنظر الرسول الرومى إلى إيوان كسرى [٢١ : الف] انو شروان و حسن بنائه و رأى اعوجاجا فى ميدانه فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا ! قيل له : إن عجوزا لها منزل[2] فى جانب الاعوجاج و إن الملك أرادها على بيعه و أرغبها فى الثمن فأبت فلم يكرهها و بقى الاعوجاج من ذلك على ما ترى ، فقال الرومى : هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء . قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : [3]سألت الشيخ أباعبد الله محمد بن يوسف البغدادى معلم دار الطراز[4] بالإسكندرية : هل رأيت إيوان كسرى ؟ قال : نعم ، قلت : كم بينه و بين بغداد ؟ قال : مثل الإسكندرية و بلد فوه ، و ذلك مسيرة يوم و ليلة[5] و مكانه يعرف بالمدائن و يقال له بلغة الفرس "زريران" ؛

(١) فى الأصل : لمعا - كذا .
(٢) فى الأصل : منزلا - كذا .
(٣) فى الهامش : ايوان كسرى وصفته .
(٤) انظر فيما يتعلق بدار الطراز بالاسكندرية ما بعد ١٠٩ : ب ، ٢٦٧ : الف وعلى وجه أخص مخطوطة القاهرة ١٤٢ : ألف و مايتلوها .
(٥) انظر أيضا ٨٨ : ألف ، ٩٠ : ألف - وعلى وجه التمثيل نذكر أن الرحالة سمعان السمعانى (Symon Semeonis) فى اكتوبر سنة ١٣٢٣ م قطع المسافة بين الإسكندرية وفوه بطريق الخليج و النيل (فرع رشيد) فى يوم واحد (راجع Golubovich, III, pp. 263-64 وكذلك Geogr. J., LI, February 1918, pp. 79-80;)

قلت: صفه لى، قال: رأيته عاليا مرتفعا مقببا و قبوه كهيئة الجملون، و فى قبوه ما يزيد على ألفى طاق كطيقان جامات الحمام يخترق منها الهواء فيه، و الشق الذى انشق فيه ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى سنام ذروته، يرى الذى يدخله السماء من ذلك الشق، قال بعض مداح النبي صلى الله عليه و سلم:

إيوان كسرى شق عند ظهوره و انحط عنه التاج عند المولد
وكذاك نيران الأعاجم أخمدت لظهوره و خبا لهيب المعبد

و قال الآخر:

و نيران كسرى أخمدت بعد ما وهى بميلاده إيوانه المتعالى
و أخبر أن لا قيصر بعد قيصر و دولة كسرى آذنت بزوال

ثم قال لى الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف البغدادي المذكور: و قد قست عرض حائط الإيوان فكان سبعة أذرع و هو مبنى بالطوب و الآجر الأبيض اللون و هو مستقبل الشرق، قال: و قست عرضه بخطوتى فكانت خمسة و أربعون خطوة، و طوله داخلا مثلى عرضه و أكثر، فقلت له: و ما سبب استقباله الشرق و الشمس ترمى جرمها فيه؟ قال: قيل إن الملك إذا جلس على كرسيه و رأى الشمس قد بدا حاجبها خر ساجدا هو و حاشيته لها، و ذلك من دأب المجوس لأنهم يعبدون النار و الأنوار كالشمس و القمر و الكواكب النيرة، فاذا انقضى سجودهم مدوا الستائر على وجه الإيوان لتمنع حر الشمس عنه، ثم قال: رأيت رعاة الأغنام تأتى بأغنامها تستظل فيه وقت [٢١ : ب] القيلولة من الحر و قد صار بعر الغنم فيه

كثيرا لكثرة ترددها إليه – انتهى .

فلنذكر ما قاله أبو الفرج ابن الجوزى فى سيرة العمرين: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما – أن المسلمين لما فتحوا مدائن كسرى وجدوا فى جملة الغنائم بساطا كانت ملوك الأكاسرة تتوارثه خلفا عن سلف. وكان البساط المذكور منسوجا بالذهب الأحمر، طوله مائتى ذراع وعرضه كذلك، وهو منظوم بالجواهر الملونة من الياقوت والزمرد واللؤلؤ وسائر أحجار الجواهر، وقد نقش فيه سائر الأشجار والأزهار والثمار والأطيار، فكان فى الشتاء عند عدم الرياحين يفرش ويجلس عليه كسرى وخواصه فى وسطه للشرب فكأنهم جالسون[1] فى رياض البساتين، فلما غنمت المسلمون الغنائم حين فتح مدائن كسرى كان البساط المذكور فيها، فلما أرادوا قسمته لم يجدوا من يقوم بثمنه ولا يعلم قيمته فقال لهم الأمير سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: ما رأيكم معاشر المسلمين فى هذا البساط؟ فقالوا: أنت الأمير والرأى رأيك، قال: أرى من الرأى أن تطيب أنفسكم ونبعث به مع الخمس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يضعه حيث يرى، فلما أن قدم المال المدينة وقف المسلمون على المال المغنوم فأجمع رأيهم على أن يقطعوا البساط قطعا، فقطعوه وفرقوه على المسلمين فناب على بن أبى طالب قطعة وما كانت بأجود القطع فباعها بسبعة عشر ألف درهم، ولما فتحت المدائن حمل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سوارى كسرى، فقال عمر: اين سراقة بن جعشم؟ فقال: ها أنا، فقال: خذ

(١) فى الأصل: جالسين .

هذين السوارين فالبسهما و قل: الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن الهرمزان و ألبسهما أعرابيا من بنى مدلج بوالا على عقبيه ؛ و كان سراقة أشعر اليدين رقيقهما، و كان النبى صلى الله عليه و سلم قال له: كأنى بك يا سراقة و قد لبست سوارى كسرى بن الهرمزان ؛ فلذلك ألبسهما عمر لسراقة تصديقا لقول النبى صلى الله عليه و سلم ذلك فى حياته لسراقة - انتهى.

فلنذكر الآن ما قيل فى بستان ملك الصين المصنوع شجره من الحرير كما صنع فى بساط كسرى المتقدم ذكره - حدث بعض التجار قال: أدخلنى بغبور[1] ملك الصين بستانا له حسنا كبيرا فرأيت فيه النرجس و السوسان و شقائق النعمان و الورد [٢٢ : الف] و الياسمين و الريحان و النسرين و جميع النوازير، فعجبت من اجتماع أنوار الصيف [2]مع أنوار الشتاء[2] فى وقت واحد فقال لى: كيف رأيته؟ فقلت: ما رأيت شيئا إلا و هذا أحسن منه و لا طرفة إلا و هذا أظرف منها، و لكن كيف اجتمع نوّار الشتاء مع نوّار الصيف هنا؟ فقال لى: جميع ما ترى منها مصنوع من الحرير الصينى قد قص بالمقاريض و سوى به، فكل من رآه لم يشك إلا أنه مما أنبتته الأرض؛ قال: فتعجبت منه و من لطيف صناعته - انتهى.

نعود[3] إلى ما وجد فى غنائم الكسروية - و ذلك أن رجلا اشترى منها قدر نحاس، فلما صارت فى حوزه علم أنها قدر ذهب، فقالوا له: ارجع

(١) بغبور أو بغفور كما ورد فى [١٩ : ب] هو بغبور فى لغة اهل الصين.
(٢-٢) فى الأصل: مع اجتماع أنوار الشتاء.
(٣) فى الهامش: الغنائم الكسروية.

بالقدر

بالقدر إلى الغنائم ليقتسمها[1] المسلمون، قال: إنى اشتريتها و صارت فى يدى لا أردها حتى تكاتبوا أمير المؤمنين عمر فيها؛ فكاتبوه فرد الجواب بأنكم تحلفوا الرجل أنه لما اشتراها لم يعلم أنها ذهب، فان حلف فهى له، و إن نكل عن اليمين ردوها للغنائم تدخل القسمة؛ فحلف الرجل أنه لما اشتراها لم يعلم أنها ذهب، فتركوها له؛ فكان زنتها أربعين[2] ألف دينار[3] و ذكر ابن ابنه بعد ذلك بمدة طويلة أنه كان يقول: إن هذه الأموال التى بأيدينا أصلها من تلك القدر؛ فانظر يا هذا إلى ملوك الأكاسرة كيف دارت عليهم الدائرة و أبادتهم السنون الغابرة! و انظر إلى إيوانهم و ما كان فيه من عزة سلطانهم كيف ركبه الهوان و الاذلال حتى صار مأوى للأغنام و الأزبال! فسبحان من ليس له زوال!

قال بعضهم:

أيا جامعى الدنيا لمن تجمعونها   و تبنون فيها الدور لا تسكنونها
وكم قد رأينا من ملوك تحصنت   فعطلت الأيام منها حصونها

و قال الآخر:

اصبر على مضض المسرى فكم أمم   قرّت فحرّكت الأيام ساكنهم
ظنّوا التمكّن فى الدنيا يدوم لهم   فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

و فى منثور الحكم: الدنيا لمن له عبارة خيال الستارة[4]، و أنشدوا:

رأيت خيال الظل أكبر عبرة   لمن كان فى أوج الحقيقة راقى
شخوص و أشكال تمرّ و تغتدى   و تفنى جميعا و المحرّك باقى

---

(١) وقع فى الأصل: لتقتسمها - كذا.
(٢) فى الأصل: اربعون - كذا.
(٣) فى الأصل: دينارا - كذا.
(٤) اى «خيال الظل» انظر فيما بعد فى شعر ابن الفارض.

[٣٢ : ب] و قال ابن الفارض :

و لا تك باللاهى عن اللهو جملة فهزل الملاهى جد نفس مجدة
و إياك و الإعراض عن كل صورة مموهة أو حالة مستحيلة
فطيف خيال الظل يهدى إليك فى كرى اللهو ما عنه الستائر شفت[1]
ترى صور[2] الأشياء تجلى عليك من وراء حجاب اللبس فى كل خلعة
تجمعت الأضداد فيها بحكمة[3] فأشكالها تبدو على كل هيئة
صوامت تبدى النطق وهى سواكن[4] تحرك تهدى النور غير ضوية
و تضحك إعجابا كأعجب[5] فارح[6] و تبكى انتحابا مثل ثكلى حزينة
و تندب إن أنت على سلب نعمة و تطرب إن غنت على طيب نغمة

و لبعضهم فى خروج الإنسان من الدنيا بالكفن لا بغيره :

كل نفس عند ميتتها حظها من مالها الكفن

كان جعفر بن يحي بن خالد البرمكى وزير أمير المؤمنين هارون الرشيد من الرشيد بمكانة وكان له دنيا عريضة طويلة ، و لما قتله الرشيد و صلبه و أزال نعمة البرامكة صارت أم جعفر فقيرة مسكينة ؛ قال محمد بن غسان قاضى الكوفة : دخلت إلي[7] أمى فى يوم عيد الأضحى ، فرأيت

(١) فى ديوان ابن الفارض ص ٥٧ : شقت .
(٢) فى الديوان : صورة .
(٣) فى الديوان : لحكمة .
(٤) من الديوان ، و فى الأصل : سواكت .
(٥) فى الديوان : كأجذل .
(٦) من الديوان ، و فى الأصل : قارح .
(٧) كذا فى الأصل ، و الظاهر : على .

عندها عجوزا فى أطمار رثة و إذا لها بيان و لسان ، فقلت لأمى : من هذه؟ قالت : هذه عتابة أم جعفر البرمكى فسلِّم عليها، فسلمت عليها و قلت : أصارك الدهر إلى ما أرى بعد العز الضخم و الملك العزيز؟ قالت : نعم يا بنى ! إنما كنّا فى عوار ارتجعها الدهر منا ، فقلت : حدثينى ببعض شأنك ، قالت : مضى علىّ عيد أضحى مثل هذا و على رأسى أربعمائة وصيفة و أنا أزعم أن ابنى جعفر عاق لى و قد جئتكم اليوم أطلب جلدى شاتين : أجعل أحدهما شعارا و الآخر دثارا ، قال : فغمّنى ذلك و أبكانى ، فوهبت لها دنانير كانت عندى فكادت تطير فرحا بها . وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل الرشيد لجعفر إن شاء الله تعالى – انتهى .

نعود إلى ما قيل فى الغفلة عن ذكر الموت – قال بعضهم :

يا آكلا كل الذى يشتهى كأنه فى كلاء ثور
و ناهضا إن يدع داعى الهوى كأنه من خفّة الطير
[٢٣:الف] إن كؤوس الموت بين الورى دائرة قد حثّها السير
و قد تيقّنت و إن أبطات أن سوف يأتيك بها الدور

و لبعضهم :

[١] الدنيا دنيا و آخرها انقطاع ادفنى فى كوم و قل ذا القبر ضاع[١]

فقد تضيع القبور فى الدنيا و لكن أهلها لا يضيعون فى الآخرة ، سيعيدهم خالقهم كما أبادهم ، و يحييهم كما أنشأهم أول مرة ، قال ابن الفارض :

فسبحان من يحيى بقدرته الذى يميت كما أنشأه أول مرة – انتهى .

(١–١) كذا فى الأصل ، و وزن الشعر ليس بمستقيم .

نعود - و مما افتتح انوشروان بالشام حلب و حمص و انطاكية[1] و كان فيها جنود قيصر، و صاهر خاقان ملك الترك و استعان به على الهياطلة[2] و قتل اخشوار ملك الهياطلة بجده فيروز و غلب على مملكته، ثم ملك بعد انوشروان ابنه هرمزد[3] فى ملكه كانت وقعة ذى قار[4] بين بكر بن وائل و الهامرز صاحب كسرى لأربعين سنة من مولد النبى صلى الله عليه و سلم. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و نصرت بى، و قيل فى قوله تعالى "الـم ۞ غلبت الروم ۞ فى ادنى الارض[5]": إنها نزلت فى كسرى ابرويز ملك فارس و هرقل ملك الروم، ثم هزم الله ملكهم بالإسلام، و كانت مدة مملكة الفرس أربعة آلاف سنة و[6]خمسا و أربعين[6] سنة، فأبادهم الحِمام، و أفنتهم الليالى و الأيام.

قال بعض الخطباء فى المعنى: قهر القوم العباد فرأسوا، و ملكوا البلاد فبنوا و غرسوا، و تصرفوا فى الأجساد فجلدوا و قطعوا و حبسوا،

(١) المعروف ان كسرى الأول انوشروان خرب مدينة انطاكية سنة ٥٣٨ م و استولى على حلب سنة ٥٤٠ م.

(٢) انظر ١٩ : الف.

(٣) فى الأصل: هرمز، والمقصود هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ إلى ٥٩٠ م.

(٤) حدثت وقعة ذى قار فى عهد كسرى الثانى (٥٩٠ - ٦٢٨ م) الذى استولى على اورشليم و فتح مصر، و ليس فى حكم هرمزد بن انوشروان.

(٥) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٢.

(٦-٦) فى الأصل: خمسة و اربعون - كذا.

و شيدوا الحصون فعلوا و احترسوا، و زخرفوا القصور و لبسوا و جلسوا، ثم دهمهم الموت فهمدوا و همسوا، و أسلموا للهوام فنهشوا و نهسوا، و سئلوا عن الجواب فأفحموا و خرسوا، و كانوا فبانوا، كأنهم ما كانوا.
قال الشاعر فى المعنى:

نادِ[1] القبور تجبك بالهملان دمع بدا لتواتر الأحزان
كم فى القبور من الذين عهدتهم متجبرين بعزة السلطان
أضحوا رميا فى التراب و سربلوا حلل الصدا بتنهش الديدان
[٢٣:ب] هل كنت تعرف لو رأيت وجوههم بعد الثلاث مضين فى الأكفان
بليت غضارتها و كانت غضة و تغيرت كتغير الألوان
أقصر هديت عن البطالة و الصبا و احذر هجوم طوارق الحدثان
و اخضع لربك و أظهرن تواضعا فلعل أن يلقاك بالغفران

و اختلف الناس فى الفرس و أنسابها، فمن الناس من زعم أنهم من فارس بن سام بن نوح عليه السلام و هذا قول هشام بن محمد، و منهم من زعم أنهم من ولد يوسف الصديق، و منهم من زعم أنهم من ولد هدرام ابن ارفخشد بن سام بن نوح، و أنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية، و فى ذلك يقول خطاب بن المعلى:

و بنا سمى الفوارس فرسا نا و منا مناجب الفرسان

و منهم من زعم أنهم من ولد بوّان بن آيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام، و بوان هذا ينسب إليه شعب بوان و هو أحد المواضع

(١) فى الأصل: نادى.

المشهورة بالحسن و كثرة الأشجار و تدفق المياه، و فيه يقول الشاعر:

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة على شعب بوان أفاق من الكرب
و ألهاه قطر كالجريرة مسه و مطرد يجرى من البارد العذب
و طيب ثمار فى رياض أنيقة و أغصان أشجار جناها على قرب
فبالله يا ريح الجنوب تحملى إلى شعب بوان سلام فتى صب

و كان الفرس أهل العز الشامخ و الشرف الباذخ، و الرئاسة و السياسة، فرسانا فى الوغى، صبرا عند اللقاء، انقادت إلى طاعتهم الأمم خشية سطوتهم و كثرة جنودهم، فهلكوا كأنهم ما ملكوا، و كانت الفرس ثلاث طبقات: الأول، و ملوك الطوائف، و بنو ساسان، قال الشاعر فى فعل الليالى و الأيام:

و استرجعت من بنى ساسان ما وهبت و لم تدع لبنى يونان من أثر

فانظر يا هذا إلى ملوك الأكاسرة و ما كانوا فيه من المنعة و القوة و الملك الضخم، و لم أذكر سوى بعض ملوكهم و لمعة نزرة من أخبارهم، و مع ذلك قهرهم[1] المسلمون و احتووا على ممالكهم و أورثهم الله أرضهم و ديارهم و أموالهم.

و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء ملوكهم، [٢٤ : الف] و حكمهم فى أقوالهم مع غيرهم من ملوك الترك و الهند و الجاهلية و ملوك الإسلام - إن شاء الله تعالى.

فاذا كان[2] المسلمون أزالوا[3] ملك الكسروية بالسيوف المشرفية،

---

(١) فى الأصل: قهرتهم.
(٢) فى الأصل: كانت.
(٣) فى الأصل: ازالت.

و الصوارم الهندوانية ، فما ذا عسى فعل صاحب قبرس بالإسكندرية ، و خروجه منها سرعة هاربا ، خوفا من وقوعه فى البلية ، فلو كان ملكا كما يزعم قابل جيوش الديار المصرية ، ليرى ما تفعله به و بجنوده الخرياطية ، لكنه دخلها لصّا و خرج منها سريعا ، خوفا من أن يصير بسيوف المسلمين صريعا ، بل خطف و طار و حمل بلصوصيته بين الملوك العار و الشنار ، ثم انه جرى له من الذل و الخزى بأرض الرومانية بسبب ما ضيع بالإسكندرية أموال الجنوية[1] لأنها قد كان بها متاجرهم فنهبت ، و بضائعهم فذهبت ـ انتهى .

نعود إلى ذكر ملوك الروم إن شاء الله تعالى - كانت القياصرة ملوك الروم بالشام فى عز شامخ و عيش باذخ ، فلم يشعروا إلا و قد دهمهم المسلمون ، قهروهم و دمروهم و أجلوهم من ديارهم و أوطانهم حتى احتموا بجزر البحر الملح ، و لولا البحر حجز بينهم و بينهم لم يبق للفرنج باقية ، و كانوا عن آخرهم بسيوف المسلمين حلوا الجميع فى أمهم الهاوية . و سأذكر ما تيسر ذكره من أخبار ملوك الروم إن شاء الله تعالى .

فمنهم أغُسْطُس ملك روما[2] و كان أول من سمى بقيصر و إليه تنسب القياصرة و معنى قيصر "بقر" و كان هذا الملك يفتخر بأن النساء لم تلده ، و حقيقة هذه اللفظة "جيشر" قيل : إنما سمى جيشر لأنه ولد بشعر تام يبلغ عينيه و اسم الشعر باللغة الرومية جشارية[3] ، فعرب فقيل : قيصر .

---

(١) جنوه و الجنوية ـ انظر ٢٤ : الف ، ٧٦ : الف ، ١٠٨ : ب ، ١٢٣ : الف ، ١٥٠ : الف ، ١٦٦ : الف ، ١٦٨ : الف ـ الخ (راجع الفهرس) .

(٢) روما أو رومه ـ انظر ٢٥ : الف ، ٣٣ : الف .

(٣) مرادفها باللغة اللاتينية Caesaries .

و لاثنتين و أربعين سنة من ملكه ولد المسيح عليه السلام ، و سيأتى خبر ولادته – إن شاء الله تعالى .

ثم ملك أغسطس و هو القاتل للملك انطونيوس اليونانى زوج قلابطره[1] الملكة اليونانية ، فتحيلت عليه قلابطره حتى كادته و قتلته ، و لها قصة عجيبة فى قتلها إياه بحية جعلتها له فى الرياحين ، فلما اشتم تلك الرياحين قفزت عليه الحية ، قتلته بعد أن قتلت هى نفسها بنهش الحية لها ، حتى لا تصير أسيرته يتحكم فيها باختياره ، و كانت هذه الملكة قلابطره آخر من ملك من اليونانيين . ثم ملك طباريوس[2] و لثلاث سنين من ملكه رفع المسيح ، و كان جالينوس[3] [٢٤ : ب] الطبيب فى زمن المسيح عليه السلام ، و لما بلغه أن نبيا ظهر يسمى عيسى بن مريم يبرئ الأكمه والأبرص فقال : ليس ذلك بكبير أمر ، إن كان يبرئ من الحمى المثلثة فى زمن الشتاء فهو نبى ، فقيل : إنه يحيى الموتى ، فقال : هذه درجة عالية ليس لى قدرة عليها ، و لا على المثلثة فى الشتاء ، و شرع على لقائه و التمسك بهديه فسار إليه فمات فى طريقه قبل الاجتماع . قال المؤلف غفر الله

(١) Cleopatra و فى الأصل دائما : قلابطره .

(٢) Tiberius و فى الأصل : طهاريوس .

(٣) جالينوس اشتهر عند العرب فى الطب ، و قد جاء ذكره فيما بعد (٤٢ : ب) عند الكلام عن الزنوج ، عاش فى عصر الأمبراطور سبتموس سناويرس (Septimus Severus) ١٩٣ – ٢١١ م . و على ذلك يكون تاريخه المضبوط أحدث بكثير مما ذكره النويرى بالنص .

له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : وقفت على كتاب اسكندف[1] الفيلسوف فرأيت فيه أن جالينوس كان بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة ، و ذكر فيه حليته فقال : كان جالينوس أسمر اللون ، حسن التخاطيط ، عريض الأكتاف ، واسع الرجلين ، طويل الأصابع ، حسن الشعر ، معتدل المشية ، ضحوك السن ، نقي الثياب ، طيب الرائحة ، و كان محبا للتنزه مداخل للملوك و الرؤساء ، مات و له سبع و ثمانون سنة - انتهى .

نعود - ثم اختلفت بعد الملك طباريوس الروم و تحزبت فأقاموا على اختلاف الكلمة و التنازع في الملك نحو ثلاثمائة سنة و هم في ذلك لا يعرفون غير عبادة الأصنام ، ثم ملكوا على أنفسهم بعد تلك المدة ملكا يقال له : قلودس[2] ، و هو قاتل بطرس الحواري و بولس[3] المذكورين في سورة يس ، و لم يزل هذا الملك قاتلا للنصارى و أتباع المسيح و كان أكفر من مضى قبله و أجمعهم لخلال الشر ، و في زمنه تفرقت [4]الاثنى عشرة[4] في البلاد و تلاميذه الاثنين و سبعين . ثم أفضى الملك إلى بشبانس[5] فأرسل ابنه طيطيس[6] إلى حرب بني إسرائيل ثلاثمائة ألف ، و تفرقت

---

(١) لم نعثر على ما يدلنا على شخصية هذا الكاتب .

(٢) في الأصل : قاورس .

(٣) انظر فيما (بعد ٩٠ : ب) .

(٤-٤) في الأصل : الاثني عشر .

(٥) بشبانس أى فسپسيان (Vespasianus) وحكمه من ٦٩ الى ٧٩ ميلادية و بعدئذ في النص : بشبشيان ، خطأ مكان : دومشيان (Domitianus) وحكمه من ٨١ الى ٩٦م . و بشبسيان اصح المرادفات العربية للاسم اللاتيني .

(٦) في الأصل : طيطلس . و في هامش الصفحة : خراب بيت المقدس .

بنو إسرائيل فى البلاد و خرب طيطيس بيت المقدس و محا أثره و عفا رسمه ، فعاقب الله الروم من يوم تخريبهم لبيت المقدس بأن جعل يُسبَى منهم فى كل يوم سبي إلى من طاف ببلادهم من الأمم ، فلا يوم من أيام السنة إلا و السبي واقع بهم قل ذلك أو كثر ، و فعل ذلك ببيت المقدس لتمام أربعين سنة من رفع عيسى ، و الله أعلم . ثم ملك دمشيان[1] فكانت دولته جامعة لكل شر و نفى يُحنّا الحوارى إلى بعض الجزائر . ثم ملك قيصر أنطونيس فأصلح ما أفسد الذى قبله و أخرج يحنا من الجزيرة و صرف النصارى إلى كورهم . ثم ملك طريان[2] وكان أندلسيا ، و قيل : إن الذى بنى الأندلس يقال له اندلس بن سام بن [٢٥ : الف] نوح عليه السلام .

ثم أفضى الملك بعد ملوك كثيرة إلى دقيانوس[3] فأمعن فى قتل النصرانية ، و منه هرب أصحاب الكهف[4] لما آمنوا بربهم ، قال الله تعالى : " إنهم فتية آمنوا بربهم و زدنٰهم هدى[5] " فسماهم الله تعالى "فتية" لأنهم أطاعوا الله بغير واسطة .

---

(١) فى الأصل : بشبشيان (راجع الحاشية رقم ٣ من هذه الصفحة) .

(٢) فى الأصل وبن : وطريان ـ انظر ايضا (٢٧ : ب) والمقصود الأمبراطور تراچان (Trajanus) وحكمه من ٩٨ الى ١١٧ م .

(٣) مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٣٠٦ : دقيوس (Decius) و حكمه من ٢٤٩ إلى ٢٥١ م .

(٤) انظر أيضا فيما بعد ٣٥ : ب ، ٧٧ : ب ، ٢٠٦ : ب .

(٥) قرآن كريم ١٨ : ١٣ .

ثم ملك قسطنطين[1] المؤمن بعيسى عليه السلام، و هو الذى بنى مدينة سرقسطة[2] بالأندلس، و مدينة مارِدَه[3] و مدينة إشبيلية و مدينة قرمونه[4] فى ذلك العصر، و هو الذى يحكى عنه فى الإنجيل: ان أكثر أهل الدنيا خضعت له ملوكها كخضوعها للإسكندر، و أمه يقال لها: هلانى، خرجت إلى الشام فبنت البيع و الكنائس و طلبت الخشبة التى صلب عليها عيسى بزعمهم، و عذبت على إظهارها اليهود، حتى خبّرها شيخ منهم عنها تحت سباطة هناك - و السباطة المزبلة - فاستخرجتها فحلّتها بالذهب و الفضة و اتخذت لوجودها عيدا و هو عيد الصليب و سمتها "ضليب الصلبوت" و استخرجت المصلوب[5] من مكان مزبلة و حملته إلى القسطنطينية، و إنه بالقسطنطينية إلى الآن. و يقال: إن اليهود طلبت عيسى عليه السلام، فدلهم عليه أحد الحواريين، و أخذ منهم ثلاثين درهما،

(١) اعتاد كتاب العرب أن يتبعوا ملوك روما بملوك بيزنطه من غير تمييز بينهما، أما نسبة تأسيس المدن المشار اليها للامبراطور قسطنطين فهو نسج من خيال المؤلف و لا اصل له من الصحة.

(٢) فى الأصل: سرقطه - و يعادلها باللاتينية Caesaria Augusta و معناها جماعة عسكرية او حامية منسوبة الى اغسطس.

(٣) فى الأصل: رمادة - و هى مدينة قديمة انشئت سنة ٢٣ ق. م، و اسمها اللاتينى Augusta Emerida أو Emerita.

(٤) باللاتينية Carmo و هى مدينة قديمة وكان بها قصر عظيم فى عهد يوليوس قيصر.

(٥) كذا فى الأصل، و المقصود «الصليب» طبعا.

فألقى الله تعالى شبهه على الذى دل عليه، فأخذوه فمثلوا به و قتلوه و صلبوه و صلبوا عن يمينه و شماله لصّين، و قد صلب حيا حتى مات، فأخذت هلانى ذلك المصلوب تزعم أنه عيسى - و ليس هو كما زعمت - و حملته إلى القسطنطينية، و استخرجت هلانى الكنوز و الأموال من بلاد مصر و الشام و ذخائر الملوك، فصرفتها إلى بناء الكنائس و تشييدها، فكل كنيسة بالشام و مصر و بلاد الروم فمن بنائها، و اجتمع فى ملك قسطنطين ثلاثمائة و ثمانية عشر أسقفا و أربعة بطاركة[1]، و تناظرا على مقالات النصارى، و قننوا القوانين و أقاموا دين النصرانية، و كان دخول قسطنطين فى النصرانية لرؤيا رآها، و ذلك أن ملك برجان[2] كان مظفرا عليه، فرأى فى منامه أن يرفع الصلبان فى رماحه، ففعل ذلك فظفر بملك برجان، و قيل: إنما تنصر لأنه كان به جذام فأبرأه منه أسقف رومه[3] فبنى القسطنطينية و إليه تنسب و كان اسمها[4] بزنطية، و لم يزل الأمر فى بيت قسطنطين بن هلانى إلى أن وليهم ثيداسيس[5] الأكبر، و فى [٢٥ : ب] زمنه استيقظ أصحاب الكهف[6] من نومهم

(١) مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م واول المجامع المسكونية (انظر ايضا ٢٣١: الف) .

(٢) يعنى ملك بلغار او البلغار .

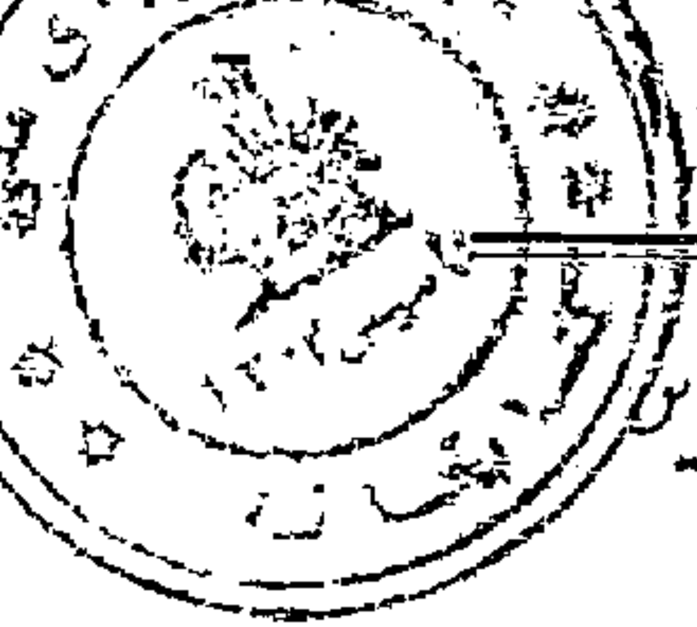
(٣) رومه و وردت روما ايضا (انظر ٢٤ : الف) .

(٤) فى الأصل : اسمه .

(٥) فى الأصل : بيداسيس ؛ و صحته : ثيداسيس ، و هى أقرب الأوضاع الى ثيودوسيوس الأول او الكبير Theodosius I (٣٧٩ - ٣٩٥ م)

(٦) كان اضطهاد اهل الكهف فى عهد الأمبراطور دقيوس Decius ٢٤٩ - ٢٥١ م =

بعد



بعد أن ناموا ثلاثمائة سنة و تسع سنين كما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز فقال "و لبثوا فى كهفهم ثلث مائة سنين و ازدادوا تسعا"[1] .

ثم ملك ثيداسيس[2] الأصغر، و فى زمنه افترقت النصارى و بدّلوا دين عيسى عليه السلام و غيروا ما جاء به . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب[3] ذكر فرق النصارى و سبب تبديلهم و تغييرهم و ذكر الأناجيل الأربعة، و رسالة أبى الفرج الراهب المقدسى للشيخ عبد الرحمن الفارس الأسلمى يوبخه فيها على تركه لدين النصرانية و دخوله فى الملة الحنيفية و جواب الشيخ عبد الرحمن الفارس عن رسالة أبى الفرج الراهب[4] و ذكر مناظرة الشيخ[5] عبد الله المسلم الأسير للقسيس و لبشير ، و إطلاق سبيله بقوة دليله إلى غير ذلك من أكاذيب[6] الذين أضلهم بولس اليهودى بدخوله فى

= وصحوهم فى عهد ثيداسيس سالف الذكر، ولكن عدد السنين التى نص عليها هنا و قدرها ٣٠٩ سنة تتعارض مع ذلك التاريخ .

(١) قرآن كريم ١٨ : ٢٥ .

(٢) فى الأصل : بيدياسيس ـ و صحته بالعربية : ثيداسيس ، أى Theodosius II (٤٠٨ ـ ٤٥٠ م) ـ راجع حاشية سابقة .

(٣) انظر و : الف، ٩٤ : الف ـ ب، ١٣١ : ب ـ و يلاحظ أن المؤلف لم يعالج الموضوع فيما يرد من كتابه على حد قوله .

(٤) الراهب ابو الفرج هو المؤرخ ابن العبرى Bar Hebraeus جرجس أو غريغوريوس أبو الفرج (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦) السريانى اليعقوبى و هو من اصل اسرائيلى .

(٥) زيد فى بن : جمال الدين بن محمد .

(٦) زيد فى بن : النصارى .

دينهم و قبولهم منه ذلك – انتهى .

نعود – و لم تزل[1] الروم يتوارثون الملك إلى أن أفضى الأمر إلى هرقل، و لسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه و سلم [و بقي هرقل حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم –[2]] و خلافة أبي بكر و عمر . ثم ان المسلمين غزوا[3] الشام ففتحه الله عليهم، و هرب هرقل منهم إلى جزر[4] البحر . و سيأتي خبر ولده قسطنطين ابن هرقل و إتيانه بالمراكب طالبا الشام[5]، فكسرها الله تعالى بالريح العقيم .

فاذا كان[6] المسلمون كسروا[7] الفرس و الروم و أخرجوهم من ديارهم و أوطانهم و ملكوا بلادهم[8] فما ذا عسى فعل القبرسي الملعون الكلب الدون بالإسكندرية التي[9] دخلها لصًّا و خرج منها لصًّا، فلو قابل عساكر الديار المصرية لابتلى[10] بأعظم البلية[11] .

(١) من بن، و في الأصل : لم يزالوا .
(٢) زيد من بن .
(٣) وقع في الأصل و بن : غزت .
(٤) في بن : جزيرة .
(٥) زيد في بن : لحرب المسلمين .
(٦) في الأصل و بن : كانت .
(٧) من بن، و في الأصل : كسرت .
(٨) زيد في بن : و اموالهم .
(٩) من بن، و في الأصل : الذي .
(١٠) زيد في بن : منهم .
(١١) في بن : بلية، و زيدت بعده [١١ : الف] العبارة : و كان فتح المسلمين الشام في سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعّب و تسلسل إلى أن خرجنا عمّا قصدناه من خبر[1] الإسكندرية - فلنذكر الآن المنامات التى رؤيت قبل الوقعة [2]بها إن شاء الله[2] .

ذكر المنامات[3]

التى رؤيت قبل وقعة الإسكندرية

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين :

أخبرنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن صالح التاجر المصرى قال : كنت

---

(١) زيد فى بن : وقعة .

(٢-٢) فى بن بمدة يسيرة . وإلى هنا تنتهى مقدمة النويرى بما فيها من المستطردات الطوال ، و فيما يلى كلامه و مشاهداته القيمة عن سير الحرب الصليبية التى تزعّمها بطرس الأول ملك قبرس ضد الإسكندرية فى سنة ١٣٦٥ ميلادية وما تلى ذلك منه تطورات و أحداث .

(٣) ليست هذه السلسلة من المنامات (٢٥ : ب إلى ٢٦ : ب) هى الوحيدة بالكتاب ، و إن القارئ ليجد غيرها فيما بعد ، مثال ذلك منام الملك هوج والد بطرس لوسجنان (انظر ٧٩ : ب ، ٨٠ : الف) ، و منام سيدى شطا (انظر ٩٦ : الف - ب) و عدة منامات أخرى فى مواضع متفرقة (انظر ١٣ : الف ، ٣٤ : الف ، ٣٥ : الف ، ٣٦ : ب ، ١٢٢ : الف ، ٢١٨ : الف و ب) عن مختلف الأحداث الواردة فى النص - راجع فى موضوع تعبير الرؤيا وحساب الأرقام و رموزها :

J. de Somogyi : *The Interpretation of Dreams in Damīrī's Hayat al-Hayawān*, JRAS, January 1940, pp. 1–20.

و فى هذا البحث يوضح المؤلف أن الدميرى اعتمد فى ذلك على الكتاب المعروف باسم "Oneirocritica" تأليف Artemidoros Daldianos.

بالإسكندرية قبل الوقعة بأيام قلائل ، فرأيت فى المنام أن رحبة الجامع الغربى[1] صارت بحرا طافحا ، و إذا بالسماء قد مطرت جمرا يتوقّد ، فشرب الجمر ذلك البحر[2] بكماله و صار الجمر على حاله يتقد ، ثم مطرت[3] [٢٦ : الف] السماء بعد ذلك ماء فأطفىء ذلك الجمر فصار فحما أسود[4] ، قال : فمددت يدى إلى فحمة لأتناولها فانفلقت فلقتين : الواحدة كبيرة و الأخرى صغيرة ، فتناولت الصغيرة ، فلو لا ألقيتها سريعا احترقت أصابعى من شدة حرارتها ، قال : فاستيقظت من نومى فزعا مما رأيت ؛ فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

و أخبرنى[5] الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد المؤدب قال : رأيت فى المنام قبل وقعة الإسكندرية بأيام قلائل كأن سبابتى[6] احترقتا بالنار ،

(١) انظر ٥ . ١ : الف فى ذكر ما فعلت الإفرنج بالإسكندرية ، و كان هذا الجامع يسمى ايضا الجامع الأخضر و هو جامع عمرو بن العاص أو جامع الألف عمود — راجع مجلة الجمعية الملكية للآثار بالإسكندرية :

Bulletin de la Socie'te' Royale d' Arche'ologie d 'Alexandrie'

المجلد ٣٤ (سنة ١٩٤١) ص ٩٨ و ٩٩ .

(٢) فى بن : الماء .

(٣) فى بن : امطرت .

(٤) فى الأصل : اسودا ، وموضعه بياض فى بن .

(٥) هذا القسم من « و أخبرنى » الى « بالإسكندرية » ساقط من « بن » .

(٦) احتراق السبابتين له دلالته الخاصة فى هذا المقام لأنهما يستعملان فى الصلاة وعند النطق بالشهادة — راجع رسالة أبى زيد القيروانى طبع بولاق ١٣١٩ ﻫ ص ٤٧ - ٤٨ ، و قد اشار لذلك بعض الرّحالة والكتّاب الغربيون القدامى =

فعبر

فعبّر المنام المذكور بأن الإسلام يحدث فيه حدث[1] ، فحدث أمر القبرسى بالإسكندرية .

و أخبرنى[2] الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد التاجر السفار قال :

= و المحدثون و من بينهم :

SCHILTBERGER, *Bondage and Travels* ed. Hakluyt, pp. 74–75; Von HAMMER-PURGSTALL, *Histoire de l'Empire Ottoman*, vol. XVI, p. 61; Leontius MAKHAIRAS, *Chronicle of the Sweet Land of Cyprus*, ed. Dawkins, II, p. 52, note 23; *Der Islam*, 1932, p. 29 and note 1.

(١) فى الأصل : حدثا – كذا .

(٢) يسبق هذا فى « بن» و هو ساقط من « بر » [١١ : الف و ب] ما يلى : قال أبو سعيد نصر بن يعقوب الدينورى فى كتاب التعبير له : رأى سيف بن ذى يزن الحميرى ملك اليمن فى منامه كأن نارا هوت من السماء إلى ارض عامرة و سقطت فى كل دار من دورها جمرة منها و انطفت فصارت فحمة ؛ وقصها على معبرى مملكته ، فقالوا : إن الحبشة تستولى على بلدك ، فكان كذلك . و سيأتى خبر سيف بن ذى يزن مع الحبشة الذين ملكوا بلاده إن شاء الله تعالى . قال أبو سعيد أيضا : من رأى فى منامه نارا نزلت من السماء فأحرقت كل شىء أتت عليه فى موضع ليس لها دخان أصاب أهلها ضرر وخوف من قبل سلطان بقدر ما أحرقته ، و ربما كانت مصيبة و ضررا فادحا ، فان أخذ جمرا من وسط النار فانه يصيب مالا حراما من قبل السلطان ، فان رأى مع النار ريحا فانه قتال وحرب بالسيوف ، فان أصابه حريق فانه غم ينساله فى الشتاء و الصيف ، فان وقعت فى بيته فانه مصيبة فى أهله . رأى رجل فى منامه كأن نارا أوقدت فى بلدته فقص رؤياه على معبر ، فقال : تقع فتنة وحرب بين الناس لقوله تعالى : كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله : [قرآن كريم ٥ : ٦٤] فعرض ان حربا وقع فى بلدته . سأل رجل ابن سيرين فقال : رأيت كأنى أصلى خُفَىّ بالنار ، فوقع أحدهما فى النار فاحترق (وفى بن : فاحترقت) و أصاب النار من الآخر سفعا ، =

كنت بالإسكندرية فرأيت فى المنام قبل الوقعة بخمسة عشر يوما كأنى فى قصر عظيم على ساحل البحر الملح و جماعة كثيرة من الرجال و النساء خارج القصر و كأنهم أحسوا بعذاب[1]، فصارت النساء يلطمن خدودهن و يقلن: واه واه! قال: فقلت لهن: قولوا: يا رسول الله! نحن فى حسبك، نحن فى جيرتك. ثم قال: و رأيت طائفة من الفرنج مسلسلين داخلين الإسكندرية و فيهم جنس لهم أذناب كأذناب القرود، قال: فانتبهت من نومى مذعورا مما رأيت، فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية.

= فقال ابن سيرين: ان لك بأرض فارس ماشية قد غير عليها و ذهب نصفها و بقى من النصف الآخر شىء قليل فكان كذلك فى أمثال العرب، مضى فلان و ليس معه إلا خف حنين، و حنين كان إسكافا من اهل الحيرة ساومه اعرابى بخفين فاختلفا حتى اغضبه، فأراد حنين ان يغيظ الأعرابى فلما ارتحل الأعرابى على ناقته أخذ حنين الخفين فألقى فردة فى طريق الأعرابى ثم مضى فألقى الفردة الثانية على طريقه ايضا، فلما رأى الأعرابى فردة الخف الأولى قال: ما أشبه هذه بخف حنين و لو كان معه آخر لأخذته، فرماه، فلما مر بالفردة الأخرى ندم على ترك الأولى، و قد كمن له حنين فلما نزل الأعرابى ابصر (و فى بن: بمصره كذا) الفردة الأخرى وثب حنين على راحلته و ذهب بها و ليس معه غير فردة خف حنين. و من رأى فى منامه شررا متناثرا عليه فانه يسمع كلاما قبيحا - انتهى. يتلوذلك: « نعود و اخبرنى الشيخ الصالح ابو عبد الله - الخ » و قد نقلنا الفقرة السابقة حرفيا من المجلد المنسوخ فى الهند عن مخطوط « بن » و قد لا يكون لهذا النص علاقة مباشرة بالموضوع فاكتفينا بذكره فى الحاشية.

(١) فى « بر » [٢٦ : الف]: بعذا، و فى « بن »: بعذاب.

و أخبرنى علىّ بن راشد الحجازى المقيم بالإسكندرية و المدير برُقع التجار على الدواوين[1] يكتبون عليها خطوطهم ، قال : رأيت فى المنام قبل الوقعة بنصف شهر نسوة طوال القامات ، عليهن الأزر[2] البيض ، فسألت إحداهن عنهن ، فقالت : إنهن أولاد الأنبياء و الشهداء و الصالحين ، ضمهن[3] آباؤهن خارجين بهن من الإسكندرية ، فقلت : ما سبب ذلك ؟ قالت : إن الإسكندرية مسخوط عليها ، قال : فضربت بيدى الواحدة على الأخرى و إذا أنا أسمع حسّ رجال و لا أراهم ! ثم إن[4] النسوة اختفين عنى و كن بشارع قاعة رماة القرافة[5] و مدرسة البلبيسى[6] ، قال : فانتبهت من نومى مرعوبا ، فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

و أخبرنى الشيخ الصالح ريحانى الحبشى و ذكر أن له سبع غزوات فى الفرنج ، قال : بينما أنا نائم بدمشق فى شهر رمضان سنة ست و ستين

(١) هذا اصطلاح غريب و ربما كان المقصود أن عليا هـذا كان القائم على الوثائق (رقع) التجارية التى يوقع عليها التجار .

(٢) فى الأصل و بن : البزر .

(٣) فى الأصل و بن : ضمتهن .

(٤) زيد فى بن « تلك » .

(٥) « القرافة » اسم معروف و هو يدل على المقابر الواقعة فى جنوب مدينة القاهرة ، و لكن هذا الاسم ايضا ورد ذكره فى الإسكندرية فى « المراصد » ج ٢ ص ٣٩٠ و « المشترك » ص ٣٤١ دون اشارة الى موضعها من المدينة ـ و النويرى يحقق هـذا المكان بدقة فى العبارة الواردة بالنص ، فقرافـة الإسكندرية على ذلك تقع بين سور المدينة و جزيرة المنارة ـ انظر ايضا ١٠٤ : الف ـ ب ، ١٠٥ : الف ، ١٠٩ : ب .

(٦) هذا الاسم غير معروف ، و لعل المقصود مدرسة النابلسية التى ورد ذكرها فيما بعد ١٠٩ : الف .

و سبعمائة و إذا بقائل يقول[1] : قم و امض إلى الإسكندرية لتصلى على أهلها ، قال [٢٦ : ب] : فانتبهت من نومى و أنا متعجب من ذلك فسافرت منها إلى القاهرة ، فأقمت بها أياما و توجهت إلى الإسكندرية فى أول المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ، فلما علمت أن الفرنج ظفروا بالإسكندرية اختلطت بهم لمعرفتى بلغتهم بعد أن تزييت بزيهم و توصلت إلى الملك القبرسى ، فصرت مع جملة خدمه ، فاختلست[2] أحد مهاميز[3] الذهب ، فصار عندى إلى أن بعته بثلاثمائة درهم[4] نقرة ، ثم قال : و كانت الفرنج تستخدم رجال المسلمين فى النهب يحملونه لهم و قالوا لهم : نعتقكم بعد ذلك ، فلما فرغ النهب أخذوا سبعين رجلا منهم و ربطوهم بالسلاسل فى صارى مركب كان ملقى بالجزيرة و أطلقوا فيهم النار فاحترقوا و ماتوا شهداء - رحمة الله عليهم أجمعين .

ذكر ما قيل فى الملحمة من قدوم الفرنج إلى الإسكندرية و الشام بسبب الحرب[5]

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : وقفت على ملحمة الشيخ الفاضل جمال الدين يوسف الباجربقى[6] ،

---

(١) زيد فى بن : لى .

(٢) زيد فى بن : ففهموا عنى انى من نصارى الحبشة حيث نرا سا . . . لهم على المسلمين و اختلست .

(٣) من بن ، و فى الأصل : مهاميزه .

(٤) فى الأصل و بن : درهما .

(٥) زيد فى بن : و القتال .

(٦) فى الأصل : بجربقى و بجربقه - و صحته فى معجم ياقوت ، و فى المراصد =

و هذه

و هذه النسبة لبلدة بالعراق يقال لها "باجربقة" فرأيته ذكر فيها الملوك وكنى عنهم بالحروف و ما يكون فى المستقبل من وقائعهم فأشكلت على الحروف فحدست بعضها و تركت الباقى ، و سأذكر بعض أبياتها فمنها قوله[1]:

فى شهر شعبان من عام لثالثه   تراه يخلع ميم الملك فى الزمن

= (ج ١ ص ١١٤) حيث ترد باجربق بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وقاف قرية بين النهرين كورة بين البقعاء و نصيبين .

(١) يشتمل النص هنا على ١٩ بيتا من تلك الملحمة (انظر ٢٦ : الف ، ٢٧ : الف ، ٣٧ : الف - ب ، ٤٠ : الف ، ٥٧ : الف ، ٥٨ : ب ، ٦٨ : الف ، ٩٩ : الف) . وهى إحدى الملاحم المعروفة بين الكتّاب ، فابن خلدون مثلا فى « المقدمة » (طبعة كاترمير Quatremère ج ٢ ص ١٩٣ - ٢٠١ من النص وكذلك ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٣٧ من الترجمة يتعرض لموضوع التنبؤ و يقتبس عدة أبيات من هذه الملحمة كما يذكر بعض المعلومات عن مؤلفها استخرجها من «تاريخ» ابن كثير ، و يسجل فيها أنه مات فى ليلة الأربعاء ١٦ ربيع الثانى سنة ٧٢٤ ، وقد جاء هذا التاريخ أيضا فى « الدرر الكامنة » لابن حجر ج ٤ ص ١٢ - ١٤ كذلك يؤرخ لحياته محمد بن شاكر الكتبى ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ (طبعة بولاق ١٢٩٩ ﻫ) أو ج ٢ ص ٢٧٩ (طبعة ١٢٨٣ ﻫ) تحت اسم : محمد بن عبد الرحمن ابن عمر الباجربقى الجزرى الشيخ الزاهد ابن المفتى الكبير جمال الدين . و المقريزى فى « السلوك » ج ٢ ص ٢٥٨ يشير إلى الملحمة الباجربقية . و قد ورد فى « شذرات الذهب » ج ٦ ص ٦٤ ما يلى : « و فيها (ربيع سنة ٧٢٤) توفى شمس الدين محمد بن الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجربقى الشافعى ؛ قال الذهبى : الضال الذى حكم القاضى المالكى بضرب عنقه مدة بعد اخرى لثبوت امور فظيعة وكلمات شنيعة فتغيب عن دمشق وأقام بمصر بالجامع الأزهر و تردد إليه جماعة وكان الشيخ صدر الدين يتردد إليه و يبهت فى وجهه و يجلس بين =

يعنى بمـيم الملك - و الله أعلم - الملك المنصور بن الملك المظفر حاجى[١] ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون فانه خلع من ملك مصر فى شعبان ثالث سنة من توليته و ملك بعده الملك الأشرف شعبان[٢] بن

= يديه وكان يرى الناس بوارق شيطانية وكان له قوة تأثير وشهد عليه ايضا بما ابيح دمه به منهم مجد الدين التونسى فسافر إلى العراق ثم سعى اخوه بحماة حتى حكم الحنبلى بعصمة دمه فغضب المالكى و جدد الحكم بقتله وكان اولا فقيها بالمدارس ثم حصل له كشف شيطانى فضل به جماعة وكان يتنقص بالأنبياء و يتفوه بعظائم ثم قدم القابون مختفيا و سكن بها إلى ان مات فى ربيع عن ستين سنة ».

و يتضح من كل ذلك ان الباجربقى كان معروفا بين اهل عصره بعلم الغيب وعلم سر الحروف كما يظهر فى ملحمته عن الإسكندرية. ويذكر النويرى آخر من اصحاب الملاحم اسمه ابن ابى جمعة فى مخطوط القاهرة ١٢٣ : ب و ملحمته فى ٧٨ بيتا. - و فيما يتعلق بالإسكندرية على وجه اخص يمكن الرجوع الى «كتاب محاضرة الأبرار» تأليف محيى الدين ابن العربى ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٩ «فصل : ذكر خراب البلاد الذى يكون فى آخر الزمان» و قد درس المستشرق الألمانى هرتمان هذا الفصل فى البحث الآتى :

R. Hartmann, *Eine Islamische Apocalypse aus der Kreuzzugzeit.* Ein Beitrag zur Gafrliteratur, 1924.

قارن فى هذا الصدد ايضا النبوات العربية التى انتقلت الى الصليبيين فى اثناء حصار دمياط سنة ١٢٤٩ م فى المراجع اللاتينية الآتية :

Quinti Belli Scriptores Minores, ed. Rochricht, pp. 202-203.

(١) السلطان الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى (٧٦٢ - ٧٦٤ هـ) - انظر ٢٢٦ : الف .

(٢) السلطان الملك الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) - انظر ٢ : ب : ١٠٣ : الف ، ١٧٠ : الف ، ٢٣٦ : الف - الخ ، و يرد اسمه كثيرا فى النص لا سيما فى مخطوط القاهرة ١٢٩ : ب وما يتلوها حيث يصف الكاتب زيارته الإسكندرية .

الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون - كما قال الباجربقى :

من [١]بعد ما[١] خلعوا المنصور واحربا
و أجلسوا الشين فى شعبان ذى الفطن

و قوله :

شين و شين و ياء الملك يعضده نعم و ميم أتاه لز[٢] فى قرن
و ينصب الشين ابن الحاء موضعه يكنى بعم أبيه فاتح الحصن

يعنى - و الله أعلم - بالشين و الشين الملك الأشرف شعبان ، و الياء يلبغا الخاسكى[٣] ، و الميم منكلى بغا[٤] الشمسى رأس الميمنة ، و الشين بن الحاء - يعنى به شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد ، فانه ولي ملك مصر بعد [٢٧ : - الف] الملك المنصور محمد المخلوع ، و قوله :

(١ - ١) فى الأصل : بعدهم - و صحته فى « بن » بعد ما .

(٢) كذا .

(٣) يلبغا الخاسكى و هو من أشهر امراء المماليك ، ورد ذكره سابقا فى ٢ : ب ، و تردد اسمه كثيرا فيما بعد (راجع الفهرس) .

(٤) الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى نائب الشام فى بداية حكم الأشرف شعبان سنة ٧٦٤ (راجع ابن اياس ج ١ ص ٢١٣) و تنقل فى حكم مدنها حيث عين أميرا على صفد و طرابلس و حلب و دمشق ، ثم اصبح أتابك العساكر (ابن إياس ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى طبعة Popper ج ٦ ص ٧٩٨ ، ٨١٧ ، و خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٩٩) و قد كان الأمير سيف الدين من انسباء السلطان الأشرف شعبان .

يكنى بعم أبيه فاتح الحصن

يعنى به الملك الأشرف صلاح الدين خليل[١] بن الملك المنصور قلاوون وهو عم الحسين والد الملك الأشرف شعبان فاتح اعكا سنة تسع وثمانين، وقيل سنة تسعين وستمائة. وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب فتحه لها وكم أقام عليها بعساكره حتى فتحها - إن شاء الله تعالى. وفتح أيضا صور وصيدا وبيروت وعدة قلاع بسواحل الشام، وقتله الأمير بيدرا بأرض تروجة[٢] كما قال الباجربقى :

(١) السلطان صلاح الدين خليل (٦١٩ - ٦٩٣) - انظر ٢٢٤ الف الى ٢٢٥ ب ؛ ٢٣٧ : الف .

(٢) هذه الناحية من البحيرة معروفة فى كتب التاريخ لحدوث مقتل السلطان بها ، وعلى مقربة منها قبض العثمانيون فيما بعد سنة ١٥١٥/٩٢٢ على طومان باى ، كما تردد ذكرها فى مناسبات اخرى، منها أن الروم (البيزنطيين) زحفوا من الساحل حتى بلغوها فى جمادى الثانية ١١٧ (Kindi, Governors, ed. Guest, p. 79)

وفى ربيع الأول سنة ٢٥٣ حدث قتال عند تروجة (النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٧٣) وكذلك فى سنة ٢٩٢ - ٢٩٣ (نفس المرجع ص ١٥٨ - ١٥٩) وذكر الكندى (ص ٢٨٨) ان المغاربة انهزموا عندها سنة ٣٢٤ . وإنه قبل فتح مصر يقف القائد جوهر الصقلى عندها (النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٠٧) . وفى القتال الذى نشب بين ابن رزيق وشاور يظهر الأخير فجأة فى تروجة قبيل استيلائه على القاهرة فى ٢ محرم سنة ٥٥٨ (ابن خلكان ، ترجمة دى سلان . ج ١ ص ٦٠٨) ، وفى حملة اموري الثالثة على مصر سنة ١١٦٧ م يتعقب اموري جيش شركوه وصلاح الدين الأيوبى ويعسكر ما بين تروجة ودمنهور كما جاء فى تاريخ غليوم الصورى :

(Toroge et Demenehur) (Guillaume de Tyr, ed. P. Paris, II, liv, XIX, ch. 27, p. 297.)

خاء

خاء و لام و الباء[1] يقتله   يرى مجدّل بين السهل و الحزن

كان قتل الأمير بيدرا للملك الأشرف صلاح الدين خليل فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر مقتل بيدرا بسبب قتله للملك الأشرف[2] إن شاء الله تعالى ، و قول الباجربقى :

و بعد هذا ستأتى الروم يقدمهم   علج عنيف بفلك البحر متمكن

العلج من الفرنج[3] هو الوغد الشديد البأس و جمعه علوج ؛ يعنى به ـ و الله اعلم ـ ربير بطرس صاحب قبرس فانه عمّر المراكب الحربية و قدم بها إلى الإسكندرية حارب أهلها و ظفر بها ، كما قال الباجربقى :

= وفى سنة ٦٦١ ه بينما كان السلطان بيبرس فى رحلة للصيد بالبحيرة يقف عند تروجة ويأمر بحفر أبيار للمياه فيها (السلوك للمقريزى ج ١ قسم ٢ ص ٤٩٨ ـ ٥٠٠) ثم نعود إليها من جديد سنة ٦٦٢ (نفس المرجع ص ٥٢٠) كما يمر بها السلطان الناصر محمد سنة ٦٩٩ (زيترستين Zettersteen ص ٩٠ وكترمير Quatrem'ere ج ٣ ص ١٨١) و يقف عندها سنة ٧٠٣ (كترمير ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥١ . ويذكر ابو الفداء فى الكلام عن حياته (ص ١٨٢) أنه مر بتلك البلدة فى طريقه من الإسكندرية إلى مصر ، وقد زارها و وصفها ابن بطوطة فى رحلة (ص ٤٨ و ٤٩) و خراجها وارد فى « التحفة السنية » (ص ١٢٤) ـ راجع زيادة على ذلك ياقوت فى طبعة وستنفلد (Wüstenfeld) ج ١ ص ٨٤٥ وخطط على باشا مبارك ج ١٠ ص ٣٢ و ما يتلوها .

(١) كذا .

(٢) زيد فى بن « المذكور » .

(٣) فى بن : الروم .

و وقعـة ثم بالإسكنـدريـة فى وقت الصلاة فـيا للدين من وهن
يا صيحة عمت الإسلام واحربا يوم العروبة فى وقت الغروب كن

أتى صاحب قبرس[1] بأسطوله فى يوم الخميس الحادى و العشرين من المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة فأرسى ببحـــر السلسلة و هى المينا الغربية[2] بظاهر الإسكندرية ، فلما كان يوم الجمعة ثانيه زحف الملعون إلى الساحل و نزل البر بعسكره و قاتل أهل الإسكندرية و ظفر بها فى اليوم المذكور، و يوم الجمعة يقال له فى لغة العرب : العروبة، قال الشاعر :

يوم العروبـة لا تخفى فضائلهـا لأن ذلك بـين الناس مشهور

و المراكب الحربيـــة المجتمعة يقال لها : أسطول، و يقال لها أيضا[3] افروطة، قال الشاعر :

اسطول غربان و افروطة[4] تـهيأ -[5] للحرب ثم القتال[6]

(١) زيد فى بن : الى الإسكندرية .
(٢) المينا الغربية أو بحر السلسلة ـ انظر أيضا ٩٥ : الف ، ١٠٢ : الف و بصفة خاصة ١٨٦ : ب ، ١٨٧ : الف و مخطوط القاهرة ٢٧٦ : ب ، ٢٧٩ : الف .
(٣) زيد فى بين : غربان و .
(٤) من المعلوم أن كلمة « اسطول » مشتقة من الكلمة اليونانية στολος ، أما « أفروطة » فاشتقاقها من لغة الفرنجة "flotte" كما جاء فى معجم السفن العربية تأليف كندرمان ص ١ (Kindermann, Schiff in Arabischen) ولكن يجب إن نضيف إلى ذلك ملاحظة هى ان استبدال الراء باللام و العكس بالعكس فى نطق بعض الألفاظ أمر جائز فى لغة العامة و أمثلة ذلك كثيرة منها (مندلينه = Mandarina) وفى كتابات بعض الرحالة الغربيين نجد Matalie مرادفة للطرية و Sansal بمعنى =

[٢٧: ب] غربان بين انذرت بالفراق   يا ويلها كم اهلكت من رجال

فلم يكن ظفر القبرسى بالإسكندرية بحوله و قوته، بل بقضاء الله و قدرته، لمــا سبق ذلك فى علمه، حتى أنفذه بحكمه، و إلا القبرسى أضعف الملوك[١] و أذلها و أقلها و الصقلى الجبار الذى[٢] لا يكون[٢] القبرسى فى رجله إلا كقلامة الأظفار، أتى قبله إليها فنكست أهلها أعلامه بخيلها و رجلها، و سيأتى ذكر[٣] فعلهم به[٤] إن شاء الله تعالى . و سأذكر أيضا ذلة القبرسى بين ملوك النصرانية و جبابرة الرومانية و ضعف مملكته و بلاده بين ممالكهم و مدنهم إن شاء الله تعالى .

اعلم أن صاحب قبرس ليس هو بين ملوك النصرانية إلا فى الدرجة السفلى الحقيرة و ما هو بينهم إلا كراعى قردة فى جزيرة . و ليس هو كقيصر طريان[٥] الذى أذل أجناسا كثيرة، و عبر الفرات و غلب على كور العراق و الحيرة، و ليس هو كملوك نصارى الأندلس

= سمسار حيث نقلوها بالسباع ــ الخ، انظر أيضا ٢٧: ب، ٤٠: الف، ٥٩: الف.

(٥) فى بن: قدهيأ (٦) فى بن: للقتال .

(١) فى بن: ملوك النصرانية .

(٢-٢) فى بن: لم يكن .

(٣) فى بن: صفة .

(٤) زيد فى بن: فيما يرد من هذا الكتاب .

(٥) فى الأصل و بن: وطريان ــ انظر ايضا ٢٤، ب ــ وهو الامبراطور الرومانى Trajan و الإشارة هنا إلى حملته على العراق سنة ١١٤ م .

اللذارقة[1] الذين[2] إذا ركب الملك منهم صارت[3] الشواهين فى الهواء[4] تظله[5]، و مع ذلك قهرهم[6] المسلمون و فتحوا أرضهم و سكنوا معهم فى جزيرة الأندلس و صاروا [7]يحاربونهم و يقتلونهم و يأسرونهم[7]، و ملكوا مدنهم و أموالهم و صارت نساؤهم إماء لهم، كما سيأتى ذكر ذلك فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و ليس صاحب قبرس كهرقل ملك الشام و مصر قبل [8]ظهور الإسلام و بعد ظهوره[8]، و مع ذلك قهره[9] المسلمون و ملكوا منه الشام بأجمعه و مهد الله لهم أرضه و هرب[10] منهم[11] إلى جزر البحر بعد

(١) «لذارقة» جمع «لذريق» اى «رذريق» أو Roderic بن ثيوفريد Theofred آخر ملوك القوط فى اسبانيا هزمه العرب بقيادة طارق بن زياد ٩٢ هـ/٧١١ م — لاحظ أيضا قلب الراء لاما مع الإشارة الى حاشية سابقة — كذلك انظر ٢٧ الف، ٩٥: الف.

(٢) فى الأصل: الذى، و فى بن: التى.

(٣) فى بن: سارت.

(٤) فى بن: الجو.

(٥) زيد فى بن: بأجنحتها.

(٦) فى الأصل و بن: قهرتهم.

(٧-٧) من بن، وفى الأصل: يحاربوهم ويقتلوهم ويأسروهم.

(٨-٨) من بن، و فى الأصل: و بعد ظهور الاسلام.

(٩) فى الأصل و بن: قهرته.

(١٠) فى بن: فر.

(١١) زيد فى بن: هرقل.

أن

أن أفنى[١] المسلمون جنوده، و نكسوا أعلامه و بنوده، و ليس صاحب قبرس كالمقوقس [٢]صاحب مصر[٢] و الإسكندرية و كان المقوقس وجهه هرقل أميرا على مصر و جعل له حربها و جباية خراجها، فكان ينزل الإسكندرية صيفا و مصر شتاء، و كان رجلا عاقلا مصدقا بأن نبيا[٣] من العرب اسمه أحمد سيظهر لما صح عنده بما وقف عليه من الكتب القديمة[٤] فلذلك صالح المقوقس لعمرو بن العاص على مصر بسبب القبط، و لم ترض[٥] الروم[٦] بالإسكندرية توافق المقوقس على الصلح استضعافا لرأيه فى مصالحته العرب، فلذلك قتله ولده رسطوليس خفية[٧]. و كان النبي

---

(١) فى الأصل و بن: افنت.

(٢-٢) فى بن: ملك القبط بمصر.

(٣) فى بن: نبينا.

(٤) فى بن: المتقدمة.

(٥) من بن: و فى الأصل: لم ترضى - كذا.

(٦) زيد فى بن: التى.

(٧) كذا فى «بر» و فى «بن»: [١١٣ الف] زيدت الفقرة الآتية فى هذا الموضع: «و جرى لرسطوليس بعد ذلك مع المسلمين أمور عجيبة و سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى. و قيل بأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما قدموا إلى مصر يريدوا (كذا) فتحها جمع المقوقس أرباب دولته و قال: ما ترون فى أمر هؤلاء العرب؟ قالوا: نرى أن تجمع لهم من كل جانب و مكان و لا نعطيهم اللين فيطمعوا فى ملكك كما طمعوا فى الشام و غيره، فلما انتهى كلامهم قال لهم: يا أهل دين النصرانية و بنى ماء المعمودية ليس الملك بالكثرة و الغلبة بل بالسياسة و التدبير، فمن ملك عقله ملك امره، و من ملك امره امن من حوادث الدهر، و الله و الله =

صلى الله عليه و سلم فى زمن حياته كتب كتابا و أرسله إلى كسرى ملك فارس، فلما وقف على الكتاب و رأى ما فيه [٢٨ : الف] من الإذعان و الانقياد إلى الإسلام و تركه عبادة النيران غضب و مزّق الكتاب، فلمّا بلغ النبى صلى الله عليه و سلم تمزيقه لكتابه دعا عليه بتمزيق ملكه، ٥ فكان تمزيق ملك فارس على يد سعد بن أبى وقاص فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ذلك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، و فى تلك السنة فتحت دمشق و كورها إلى حمص[١]، و لما أتى عمر رضى الله عنه بتاج كسرى و سواريه جعل يقلبها بعود و يقول: و الله! ان

= لقد كان هرقل اكثر منى جندا و اوسع منى بلادا فما قدر أن يردّ القدر، و تعلموا (كذا) ان محمدا بعث فى ايامه فدعاه الى دينه فاستدل على صدقه بما ظهر من معجزاته، و اول من عاداه قومه بمكة فأخرجوه من بين أظهرهم، فأظهره الله عليهم، فلما سمعت القبط كلامه أطرقوا رؤسهم و قالوا: الأمر ما اشار به الملك. فكان خلاصة ذلك بعد أمور يطول شرحها أن صالح العرب على مصر فلذلك قتله ولده رسطوليس خفية، و كان النبى صلى الله عليه وسلم - الخ ».
(١) زيد بعد «حمص» فى « بن » [١٣ : الف ، ب] ما يلى : « و قال الإمام فخر الدين فى كتاب الأربعين فى أصول الدين أن النبى صلى الله عليه و سلم لما كتب إلى كسرى ملك العجم كتابا مزق الملك كتابه و بعث إليه حفنة من تراب، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: اللهم! مزق ملكه، ثم قال للصحابة: إنه بعث إلينا من تراب بلدته و هذا يدل على أنا نملك بلاده؛ ثم كان الأمر كما قال صلى الله عليه و سلم. قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى: و الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة! ما اعتمدت فى خبر فتوح الشام و أرض الأكاسرة إلا الصدق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه لأرغم بذلك أهل الغرض =

الذى أدى هذا لأمين . فقال[1] رجل : يا أمير المؤمنين ! إن[2] أمين الله يؤدّن[3] إليك ما أديت إلى الله فاذا رتعت رتعوا ، قال : صدقت .

و لما بعث النبى صلى الله عليه و سلم[4] إلى قيصر عظمه و بجله ، فلما بلغ النبى صلى الله عليه و سلم تعظيمه و تبجيله لكتابه قال : ثبت الله ملكه ! فكان كما قال .

فان قيل ما معنى قول النبى صلى الله عليه و سلم : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . و قد وجد قياصرة كثيرة و أملاكهم باقية ، و وعد رسول الله صلى الله عليه و سلم فتح فارس و الشام ، فأغزى أبو بكر رضى الله عنه من أغزى حتى فتح الله لعمر الشام كله ؟ قيل معنى قوله : فلا قيصر بعده - يعنى بأرض الشام كله ، كما هلك قيصر المخبر بهلاكه و انقطع ذكره .

= و الخارجين عن الإسلام إذ لولاهم بمشيئة الله عز وجل لم تكن بلاد المسلمين و لا انتشر علم الدين ، فلله درهم أنهم جاهدوا و صبروا و ثبتوا للقاء العدو و بذلوا جهدهم و ما قصروا حتى زحزحوا جند الشر و الطغيان و تهيأ (كذا) لمسيره . وأذلوا كسرى و قيصر و الجلندى بن كركر حتى علا الإسلام و ظهر ، لا جرم أن الله تعالى قال : فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر [قرآن كريم ٣٣ : ٢٣] و لما أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - الخ » .

(١) فى « بن » كالآتى : « قال رجل يا أمير المؤمنين أنت أمين الله تودّ أن يؤدوا إليك الذى أدى هذا الأمين » .

(٢) فى بن : انت .

(٣) فى بن : يودون .

(٤) زيد فى بن « كتابه » .

و لما بعث النبي كتابه إلى المقوقس[1] صاحب مصر تلقى كتابه بالقبول و أهدى للنبي صلى الله عليه و سلم هدية سنية ، و كان فى أول الكتاب الذى كتبه النبي صلى الله عليه و سلم : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى صاحب مصر ، أما بعد ، فان الله تعالى أرسلنى رسولا ، و أنزل علىّ قرآنا مبينا ، و أمرنى بالإعذار و الإنذار و مقاتلة الكفار حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و قد دعوتك إلى ملتى و الإقرار برسالتى ، فان أنت فعلت سعدت ، و إن أبيت شقيت " فلما قرأه المقوقس كتب كتابا أوله : " باسمك اللهم ، من المقوقس إلى محمد ، أما بعد ، بلغنى كتابك و فهمته ، و أنت تقول : إن الله أرسلك رسولا ، و فضلك تفضيلا ، و أنزل عليك قرآنا مبينا ؛ فكشفنا يا محمد عن خبرك فوجدناك أقرب داع إلى الحق ، و لو لا أنى ملكت ملكا عظيما لكنت أول من آمن بك ، لعلمى أنك خاتم النبيين ، و إمام المرسلين و السلام عليك و رحمة الله و بركاته إلى يوم الدين " و أرسل إليه هديته ، و ذلك فرسا[2] [٢٨ : ب] من خيول مصر الموصوفة مسرجا ملجما وهو فرسه المأبون[3] و حمار يقال

(١) بشأن المراسلات المتبادلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وملك الفرس وهرقل ملك الروم و المقوقس صاحب مصر - راجع :

Hamidullah, *Documents sur la Diplomatie Musulmane,* Paris 1935, pp. 40 et s.

و للكتاب ترجمة عربية طبعت بالقاهرة سنة ١٩٤١ (انظر ص ٢٩ و ما يتلوها) و موضوع هذه الرسائل وارد فى كل الكتب التاريخية العربية .

(٢) كذا .

(٣) فى بن : المابور .

له

له يعفور[1] و بغلة يقال لها الدلدل و جارية سوداء اسمها بريرة و جارية بيضاء من أجمل بنات القبط يقال لها مارية معها أختها، فتسرى النبى صلى الله عليه وسلم بمارية فأولدها إبراهيم، و أهدى أختها لحسان بن ثابت الأنصارى فأولدها حسان عبد الرحمن، و عاش حسان بن ثابت هذا مائة و عشرين سنة منها ستين[2] سنة فى الجاهلية و ستين[2] فى الإسلام، و عاش أبوه و جده كل واحد منهما مائة و عشرين سنة، و مات حسان سنة خمسين من الهجرة - انتهى.

نعود - و كان فى الهدية التى أهداها المقوقس للنبى عليه السلام عسل[3] فأعجبه فسأل عنه فقال: من أين هذا العسل؟ فقيل له: من قرية يقال لها: بنها، فقال: اللهم بارك فى بنها و فى عسلها! فعسلها إلى يومنا هذا خير عسل أهل مصر، و صارت تعرف ببنها العسل، و هى بالشرقية من أعمال بلبيس.

و كان من جملة الهدية أيضا غلاما[2] - اسمه [4]مأبور و كان[4] مجبوبا[5] - و طيبا[2] وعودا[2] رندا[6] و أفاويه (!!) و مسكا[2] و عمامة و قباطى[7].

---

(١) كذا فى «بر» و فى «بن» [١٤: الف]: اليعفور؛ و قد يكون «عفير».

(٢) كذا.

(٣) فى الأصل و بن: عسلا - كذا.

(٤-٤) سقط من بن، و فى الأصل: مابورا - مكان: مابور.

(٥) فى «بن» [١٤: الف]: محبوبا.

(٦) كذا، و فى الأصل: وندا.

(٧) القباطى هى الثياب المنسوجة فى طراز مصر، و قد جاء فى الواقدى (ص ١٠): عمائم و قباطى.

١ وكان النبي صلى الله عليه و سلم يبدأ كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم .

(١) سقط من « بر » و ورد قبل هذه الفقرة فى « بن » [١٤ الف ، ب] ما يلى : « و قيل إن النبي صلى الله عليه و سلم دعا للقبط فى دنياهم فقد عرفوا الصواب ، و اوضحوا الخطاب ، و للقبطيين أخبار عجيبة من احداث البنيان و اتخاذ المدن ، و انقادوا الى العدل و أحبوه و الى حسن الأحدوثة و الذكر الجميل بالثناء الحسن . وكانت الملوك الذين ملكوا البلاد و اطاعتهم الأمم و حكموا على الطوائف يخافون ملوك مصر و يهادونهم هيبة و مخافة منهم . و لقد بلغ من عدل الملوك القبطيين بمصر أن أحد ملوك النوبة عدى على ملك من ملوك النوبة أسره و سجنه ونهب ماله فأرسل النوبى المسجون إلى سريان ملك مصر كى ينصره و يأخذ له بحقه ممن ظلمه فمضى ملك القبط مع وزيره وكان وزيره عالما عاقلا حسن الرأى جيد الحدس فدخل مدينة النوبة متنكرا فكتب الى ملك النوبة أن ببابك إنسانا مظلوما قد عدى عليه وخصمه معه ، فقال ملك النوبة : أدخلوه هو (كذا) وغريمه، فدخل ملك مصر و وزيره، فلما وقع عين ملك النوبة عليه هابه و قال: لك الخير! من ظلمك؟ فأشار ملك مصر الى وزيره الذى أتى معه و قال : أيها الملك ! هذا ظلمنى و عدى على و أخرجنى من بلدى و جعل مالى نهبا فما زلت اطلبه فى البلاد إلى أن بلغنى أنه وافى مدينتك هذه فاتبعته لما علمت من حسن عدلك و حبك فى الحق و أهله ، فقال الملك النوبى لغريم الملك سريان و هو لا يعرفهما : انصف من نفسك و ارجع الى الحق و إلا نكلت بك ، فقال له الوزير : لا أنصف من نفسى حتى تنصف أنت من نفسك ايها الملك و تعطى الحق و تأمر به ، فقال له : ويلك ! ومن ظلمت حتى تخاطبنى بهذه المخاطبة؟ لو لا جلالة الذى معك لنكلت بك وعاقبتك بالمعاقبة التي يعاقب بها أمثالك ، فقال الوزير : لا تعجل أيها الملك فانك قد ذهبت الى ملك النوبة فنزعت عنه ملكه و استبحت اهله و أورثته الذل =

و قد روى أنه كان يكتب أولا: "باسمك اللهم" حتى نزل قوله تعالى "بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَ مُرْسَاهَا[١]" فكان يكتب: "بسم الله" حتى نزل

= و أودعته السجن و جعلت ماله نهبا و اشمت به اعداءه و لا حكم لملك يجور على ملك مثله. فقال له ملك النوبة: ما كلفتك انت فى هذا و نحن الملوك نعزّ من اردنا عزّه و نذل من تكبّر علينا. فقال له الوزير: لا أنصف من نفسى لغريمى هذا او تنصف أنت من نفسك و ترد من ظلمت ابلاده و ملكه. فقال لقهارمته: دونكم لهذا المخالف الطاعة المارق من الحق الذى اقرّ على نفسه لغريمه و لم ينصف منها و تعرّض لأحكام الملوك . . . على جحوده الضرب المبرّح و نكلوا به التنكيل الذى ينكل به من كان مثله. فقال سريان القبطى ملك مصر ما احوج العقوبة ان تحل بك و احراك بالتنكيل المؤلم و العقاب الشديد لأنك. . . حق الواجب علينا قمع الظالم و نصر المظلوم، أ تعلم من انا؟ انا سريان الملك اتيت بوزيرى هذا لأنظر بنفسى ما عندك من العدل و الحلم فأمرت بنكاله دون بينة شهدت عليه و ذكر (سوء) اعمالك و قبيح افعالك فلم تعبأ به و ليس يكون مثلك ملكا يحكم فى العامة و يدخل تحت حكمه الخاصة لأن لك بطش الجهالة وحدّة الأعمار و غضب العامة. فلما سمع ذلك ملك النوبة سجد بين يديه و قال له: حكمك ايها الملك فانى عائذ بك منك. فقال له: منذ كم سجن هذا الملك المظلوم؟ قال: منذ مدة مديدة. فأمر سريان ملك مصر بالملك الظالم ان يسجن فى بلاد المظلوم، فاذا تم الأجل و انقضت المدة صرفه الى ملكه و رده الى حالته بعد ذل و هوان يرتحل راجلا الى مدينة المستجير به؛ فكان الحكم فى ايام الملك سريان أن لا يتعدى احد على احد فكانت ملوك مصر القبطيين (ليس عندهم) ظلم و ان يعدلوا فى رعيتهم — انتهى.

نعود، و كان النبى صلى الله عليه و سلم — الخ »

(١) قرآن كريم ١١ : ٤١.

قوله "قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ[١]" فكان يكتب: "بسم الله الرحمن" حتى نزل قوله تعالى "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ[٢]". و الأصل فيها قوله صلى الله عليه و سلم: من قال "بسم الله الرحمن الرحيم" دخل الجنة. و قال ابن مسعود: من أراد أن يقيه الله من التسعة عشر زبانية فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فان فيها تسعة عشر حرفا، كل حرف يقيه من زبانية. و قال الثعلبي: لما نزل قوله "بسم الله الرحمن الرحيم" ذهب الغيم من المشرق [إلى المغرب - [٣]] و سكنت الرياح و هاجت البحار و صغت البهائم بآذانها و رجمت الشياطين من السماء، فقسم رب العزة ألا يذكر اسمى هذا على شيء إلا بورك فيه و لا [على-[٣]] عليل إلا شفى. و قال صلى الله عليه و سلم: كان الله و لا شيء قبله، و خلق النور فخلق منه اللوح و القلم، فأمر القلم أن يكتب، فقال: و ما أكتب؟ قال: اكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" فكتبها، فجعلها الله أمانا لخلقه [٢٩: الف] فجرى[٤] القلم بما هو كائن، و أنزلت على آدم، فقال آدم: الآن علمت أن ذريتي لا تعذب بالنار ما داموا يقرؤن "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم رفعت و أنزلت على إبراهيم فقرأها فنجاه الله من النار و كانت[٥] عليه بردا و سلاما كما قال الله تعالى،

(١) قرآن كريم ١٧: ١١٠.

(٢) قرآن كريم ٢٧: ٣٠.

(٣) زيد من بن.

(٤) في الأصل: بجزى.

(٥) زيد في بن: النار.

ثم

ثم رفعت و أنزلت على سليمان فقالت الملائكة: الآن تم ملك[1] ابن داود فأمره الله تعالى أن ينادي في الأسباط و هم بنو يعقوب و يقرأ عليهم كلمة الإيمان التي هي البسملة، فجمعهم و قرأها عليهم، ثم رفعت و أنزلت على عيسى، ثم رفعت و أنزلت على النبي صلى الله عليه و سلم.

و روى أن عيسى عليه السلام مرّ بقبر و فيه دخان و عليه ملائكة العذاب فلما كان بالغد مرّ عليه فرأى عليه ملائكة الرحمة و بأيديهم مناديل من نور فصلى ركعتين و دعا الله تعالى فقال: يا رب! ما هذا؟ يعذب أمس و اليوم يرحم! فأوحى الله إليه: يا عيسى! كان الرجل كثير المعاصي فترك ولدا في بطن أمه فاليوم أدخلته المكتب فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فاستحييت أن أعذب أباه في بطن الأرض و ولده يذكر اسمي على وجه الأرض.

و روى عن بعض العارفين و قيل له: بما ذا ترى ظهر اسم الإمام الشافعي و غلب ذكره؟ فقال: إن ذلك باظهاره اسم الله في المسألة[2].

و أما قول جبريل عليه السلام لما أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم في غار حراء و قال "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ[3]" على أنها أول ما أنزلت من هذا القرآن، قال أبو الحسن القصار: هذا رد على الشافعي في قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة" و هذا أول سورة نزلت عليه

(١) زيد في بن: سليمان.
(٢) و في بن: البسملة ... و في اول كل سورة في الصلاة.
(٣) قرآن كريم ٩٦: ١.

لم يذكر فيها بسم الله الرحمن الرحيم .

و اعلم أنه ما من شيء يخرج من العدم إلى الوجود إلا ببركات اسم الله تعالى حركة كانت أو سكينة نظرة كانت أو خطرة فى السماء و الأرض فعلا كان أو ذاتا فالغيب مغلقا على الأشياء، حتى يفتح بابه بقدرة الله تعالى و عظم تدبيره كما قال تعالى " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ [1] " فأعلمك [2] تعالى أن [2] مفاتيح الغيب هذه [3] يفتح بها أبواب غيبه فيخرج ما يشاء من العدم إلى الوجود و قد سمى نفسه الفتاح العليم . و قد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى فى حزب البحر له: باسم الله بابنا ، أى باسم الله تعالى نستفتح كل شيء من حركاتنا و سكناتنا و أفعالنا و إرادتنا و ما يفتح علينا [4] .

---

(١) قرآن كريم ٦ : ٥٩ .

(٢-٢) فى بن : بذلك الى .

(٣) فى بن : عنده .

(٤) زيد فى بن : من أمر ظاهر و باطن يكون ذلك مقرونا باسم الله تعالى وعلى ألسنة العوام يقولون : افتح اللهم لى باب هذا الأمر ، وافتح لى باب خير و باب علم وباب سفر ، ولا يريدون الباب المشهور . . . وجاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل المسجد: اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، و اذا خرج قال : اللهم افتح لى ابواب فضلك ، وقد قال تعالى « بسم الله مجريها و مرسيها » اى بسم الله تجرى و ترسى ، واعلم ان كل آية . . . عن تضمين لم يذكر باسم او صفة فمن ذلك بسم الله الرحمن الرحيم قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على جهة التبرك به والتعليم لله عز و جل بذكره و انه ادب من آداب=

[٢٩ : ب] نعود إلى ذكر وصية[١] النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه بالقبط - روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله عز و جل يستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة و رحما - أما الرحم فهاجر أم إسماعيل [٢]بن إبراهيم[٢] من القبط من قرية نحو الفرما[٣]، يقال لها: أم العرب، و أما الذمة فان[٤] رسول الله صلى الله عليه و سلم تسرّى من القبط مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه و سلم لأن أزواج النبي صلى الله عليه و سلم أمهات المؤمنين كما ذكر عز و جل في كتابه "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ[٥]"، و القبط أخوالهم من قبل مارية، فصارت العرب كلهم من مصر بأمهم[٦] هاجر لأنها أم إسماعيل و إسماعيل فهو أبو العرب، [٧]و كان مولد إسماعيل لست و ثمانين سنة من عمر إبراهيم الخليل عليهما السلام، و اختتن إبراهيم عليه السلام و هو ابن تسع و تسعين سنة، و كانت هاجر جارية سمراء شعلاء كحلاء مفلجة الثنايا عربية اللسان؛

= الدين و شعار المسلمين و انه اقرار بالعبودية و اعتراف بالنعمة التي في أجل نعمه و انه كملجأ الخائف و معتمد المستنجح .

(١) في الهامش : وصية النبي بالقبط .

(٢-٢) في بن : و كانت .

(٣) الفرما انظر أيضا ٩: ب، ١٢٣ : ب، ٢١٠: ب ، ٢١٦: الف فيما يلي من النص .

(٤) في بن : قال .

(٥) قرآن كريم ٣٣ : ٦ .

(٦) في الهامش : هاجر أم العرب .

(٧) زيد في بن : قال المؤرخون .

قال وهب بن منبه : و إبراهيم أول من أضاف الضيف ، و أول من ثرّد الثريد و أطعمه المساكين ، و هو أول من قص شاربه و استحد و اختتن و قلم أظفاره و استاك و فرق شعره و تمضمض و استنثر و استنجى بالماء ، و هو أول من شاب و هو ابن مائة و خمسين سنة ، و ذلك لأن سارة زوجته لما ولدت إسحاق قال الكنعانيون : ألا تعجبون لهذا الشيخ و العجوز وجدا غلاما لقيطا فتبنياه ، فصور الله إسحاق على صورة إبراهيم فلم يكن يفصل بينهما ، فوسم الله إبراهيم بالشيب ، فعلم[1] الكنعانيون أنه ولده بالشبه و إبراهيم والده بالشيب .

و اختلف فى الذبيح[2] من هو ، فقال ابن عباس : الذبيح إسماعيل لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال : أنا ابن الذبيحين ، و قال ابن عمر : هو إسحاق . قيل : إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أرسل [٣٠ : الف] إلى رجل كان عنده بالشام يهودى أسلم فحسن إسلامه و كان عند عمر من علمائهم فسأله عن الذبيح : هل هو إسحاق أو إسماعيل ؟ فقال له : إسماعيل بلا شك و الله يا أمير المؤمنين ! إن اليهود لتعلم ذلك و لكنهم يكتمونه و يحسدونكم عليه معاشر العرب أن يكون أبوكم إسماعيل هو الذى كان من أمر الله فيه ما كان و صاحب الفضل الذى ذكر الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدونه ذلك و يزعمون أنه إسحاق لأنه أبوهم ، و قد كان كلا منهم مطيعا طيبا ، "وَ فَدَيْنٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ[3]" فجعلها له آية و فينا سنة ، و عجبا لليهود تدّعى

(١) فى الأصل و بن : فعلمت .
(٢) فى الهامش : الذبيح .
(٣) قرآن كريم ٣٧ : ١٠٧ .

فى

فى ذلك لإسحاق ذلك و لو كان كذلك لذبحوا أولادهم فكيف مواشيهم! و إنما هى للعرب الذين امتثلوا[١] - انتهى.

نعود - و صاهر إلى القبط من الأنبياء عليهم السلام يوسف بن يعقوب، تزوج زليخا ابنة صاحب عين شمس التى ذكرها الله عزّ و جلّ فى القرآن فقال "وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ[٢]" و كانت زليخا من أجمل نساء أهل زمانها مع ما تزينت به من زينة الملوك و يوسف عليه السلام فى عنفوان شبابه، فامتنع منها حراما فزوجه الله بها حلالا؛ و العنفوان بداية الشباب - انتهى.

نعود إلى ذكر ذلة صاحب قبرس بين ملوك النصرانية و وضاعة[٣] قدره بين أقدارهم العلية، فليس هو كرسطوليس بن المقوقس الجبار و جنوده الفجرة الكفار، و مع ذلك قهرهم[٤] المسلمون و ملكوا منهم[٥] مصر و أعمالها و الإسكندرية و بلادها، و هرب منهم رسطوليس المذكور فى المراكب و من تبعه إلى جزر البحر، و ذلك بعد قتله لأبيه المقوقس خفية لمصالحة أبيه للسلمين[٦]، و جرى له بعد قتله لأبيه أمور يطول شرحها تركتها خشية الإطالة، و الدليل على مصالحة المقوقس للسلمين[٦] أن عمرو بن العاص

(١) فى بن: امتثلوها.
(٢) قرآن كريم ١٢: ٢٣.
(٣) فى بن: وضع.
(٤) فى الأصل و بن: قهرتهم.
(٥) فى بن: منه.
(٦) زيد فى بن: على مصر.

رضى الله عنه بينما هو سائر فى سفح الجبل المقطم[١] و معه المقوقس فقال له عمرو : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام؟ و لو شققنا فى سفحه نهرا من النيل و غرسناه أثلا ! فقال له المقوقس : وجدنا فى الكتب أنه كان أكثر الجبال أشجارا و نبتا[٢] و فاكهة و كان هو منزل المقطم بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كان الليلة التى كلم الله فيها موسى أوحى الله إلى الجبال إنى مكلم نبيا من أنبيائى على جبل منكن ، فسمت الجبال و تشامخت إلا [٣٠ : ب] جبل بيت المقدس فانه تضاءل[٣] ، و هبط ، فأوحى الله تعالى : لِمَ فعلت ذلك - و هو به أعلم؟ فقال : إعظاما و إجلالا لك يا رب ، فأمر الله الجبال أن يحبوه كل جبل مما عليه من النبت[٤] و جاد له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقى كما ترى ؛ فأوحى الله إليه : إنى معوضك على فعلك بشجر[٥] الجنة أو غراس[٦] الجنة ، فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب إليه عمر : إنى لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين فاجعله لهم مقبرة ، ففعل ، فغضب المقوقس من ذلك و قال لعمرو : ما هكذا صالحتنى ، فقطع له عمرو قطيعا ، فدفن فيه النصارى . و روى أسد بن موسى قال : شهدت

(١) انظر فيما بعد ١٨٩ : الف - ب « فصل فى المقطم » .
(٢) فى بن : نباتا .
(٣) فى بن ١٦ : الف « تضاحك » .
(٤) فى بن : النبات .
(٥) فى بن : بشجرة .
(٦) زيد فى بن : من .

جنازة مع ابن لهيعة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل فقال: إن عيسى [بن –[1]] مريم مرّ بسفح هذا الجبل و عليه جبة صوف و قد شد وسطه بشريط[2] و أمه إلى جانبه فالتفت إليها فقال : يا أمه! هذه مقبرة أمة محمد عليه السلام – انتهى .

نعود – و إن رسطوليس بن المقوقس لما قتل والده بسبب صلحه للمسلمين توجه إلى الإسكندرية فجرى له بها أمور[3] خلاصتها هروبه خوفا من المسلمين إلى جزر البحر، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب هروبه منهم إن شاء الله تعالى ، فانتفت ملوك النصارى و بطارقتهم و جنودهم من الشام و مصر و الإسكندرية و الصعيد و البحيرة إلى الجزر ، و أقام من أقام من النصارى تحت الذمة و الجزية يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون[4]. و سأذكر ما قيل في الصعيد و البحيرة إن شاء الله تعالى.

---

(١) زيد من بن .

(٢) في بن : بشريطة .

(٣) زيد في بن : يطول شرحها .

(٤) زيد هنا في «بن» [١٦ ، الف – ب] و هو ساقط من « بر » ما يلي : قال القاضي عبد الوهاب : و تؤخذ الجزية من الكفار البالغين الأحرار كانوا اهل ذمة ام لا لقوله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر» الى آخر الآية [قرآن كريم ٩ : ٢٩] ، فأوجب اخذها ممن يقاتل و ذاك في البالغين الأحرار و لا تؤخذ من النساء . قال ابن عمر و لا من الصبيان ، و لأن كل من جاز لنا قتالهم فلنا اخذ الجزية منهم اذا قدرنا إلا كفار قريش فانهم يقاتلون حيث وجدوا و لا جزية عليهم . و اختلف لم ذلك ، قيل لمكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم و قيل لأنهم اسلموا يوم فتح مكة ثم ارتدّوا بعد ذاك فأينما =

سمي الصعيد صعيدا لأنه أعلى وادي مصر . و قيل: الصعيد وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن ، قال الشاعر[1] :

فأصبح نُور نَور النبت زاه[2] يدبّج رقمه وجه الصعيد

و قيل: سمي الصعيد لأنه نهاية ما يصعد إليه[3] من باطن الأرض و لا خلاف
٥ بين أهل اللغة أنه وجه الأرض . و أصل التيمم القصد يقال: تيممت - أي قصدت له . قال الله تعالى: "فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"[4] أي اقصدوا الصعيد الطيب ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه

= وجدوا قتلوا ولا جزية على مرتد . وقال الشافعي: لا جزية الا على اهل الكتاب خاصة ، و احتججنا بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر » (انظر عاليه) . و دليلنا قوله عليه السلام : سنوا بهم سنة اهل الكتاب ، واخذها عليه السلام من مجوس هجر ، و أخذها عثمان [رضي الله عنه] من البربر . قال ابن العربي : الجزية فعلة من جزاء . قال الشافعي : يتعين عليهم الجزاء كأنها تجزى عليهم فيما لزمهم من كراء القرار اذا نزلوا بدار الإسلام يتعين عليهم الكراء ، و الصحيح فيها أنه بدل عن القتل . قال الله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صغرون (انظر عاليه) . و إذ قد تقدم ذكر الصعيد و البحيرة فلنذكر ما قيل فيهما ، و قيل الصعيد وجه الأرض - الخ .

(١) في الهامش : الصعيد .
(٢) كذا .
(٣) في بن : اليها .
(٤) قرآن كريم ٤ : ٤٣ .

و اليدين

و اليدين بالتراب . و التيمم بالتراب عند مالك على غير وجه الأرض جائز مثل أن يرفع إلى المريض[1] طبق أو إلى الراكب على المحمل أو يكون مريضا يتيمم جدارا إلى جانبه [٣١ : الف] و إن كان من طوب بناء . و قال أبو حنيفة و الشافعي : لا يجزئ إلا التراب[2] .

و كان صعيد مصر[3] فى قديم الزمان مجمع السحرة ، قيل إنه ٥ اجتاز مركبا[4] ببلد من بلاده على ضفة النيل صاعدا و ساحرا من سحرة

---

(١) زيد فى بن : فى .

(٢) زيد هنا على النص فى «بن» [١٦ ، ب] مايلى : قال بعضهم فان قيل : لأى شيء امر بالتراب عند عدم الماء؟ فنقول : لأن ابن آدم خلق من ماء و تراب فكانت عبادته تتردد بين الماء و التراب إذا عدم احدهما وجد الآخر . و قال الزجاج : الصعيد وجه الأرض كان عليه تراب اولا . و قال الشافعي : الصعيد التراب ، و مالك يجوز التيمم بالتراب و ما كان من نوعه كالرمل و الحجارة و السبخة لأن ما حال بينك و بين الأرض فهو منها اذا كان غير [التراب] . و الشافعي لا يجيز التيمم على الحجارة . و أجاز ابن القصار التيمم على الحشيش . و اجاز فى مختصر الوقار التيمم على الخشب . و لم يجز مالك التيمم على الرخام و هو مثل الزمرد والياقوت ، و كذلك الشب و الزجاج و الملح و الكبريت و شبههما لأن الملح طعام و هذه عقاقير . و فى المدونة إذا : تيمم بالحل و الحصى و هو واجد التراب اعاد فى الوقت . و ظاهر المدونة لا اعادة ، و عند مالك التيمم بالتراب اذا وضع فى طبق لمريض اومحمل للراكب جاز ذلك و كذلك التيمم بجدار فيه طوب ـ انتهى . نعود ـ و كان صعيد مصر ـ الخ .

(٣) فى الهامش : نكتة .

(٤) فى بن : مركب .

ذلك البلد يتطلع من طاق غرفة له تشرف على النيل فقال لأصحاب المركب: أعطونى من الدراهم كذا وكذا درهما[1] وإلا منعت مركبكم من السير، فامتنعوا من العطاء، فسحر الذى بالطاق المركب فوقفت عن السير، وكان فى المركب ساحر فسحر الذى بالطاق فنبت له قرنان[2] فى رأسه وأطلق المركب بقوة سحره وعلمه الزائد على سحر صاحب الطاق، فأراد الساحر الذى بالطاق إدخال رأسه منها فمنعته قرونه من ذلك، فأمر بهدم ناحية الطاق ليتخلص فحين هدمت تلك الناحية طال قرنه الذى عليها، فهدموا الناحية الأخرى، فطال القرن الثانى فهدموا ما فوق القرنين، فطالت القرون إلى أن هدموا الحائط بكماله، فطالت القرون بطول حائط الغرفة وصار بتلك القرون الطوال فى أسوإ حال لا يقدر يأوى بيتا من طولها وصار مقيما بظاهر البلد مضحكة لكل أحد؛ فقيل له: أنت ساحر والذى سحرك ساحر فاسحر هذه القرون لتزول[3] عنك وتستريح منها، فقال: هيهات! ليس كل ساحر على منوال الآخر يجرى بل سحره غلب على سحرى من حيث لا أعلم سحره ولا به أدرى ولو لقيته لصرت تلميذا بين يديه لأشتغل بتعلم السحر عليه. فلم يزل بتلك القرون فى ذلة وهون إلى أن رجع الساحر من قصده. فرآه على تلك الحالة المضحكة حائرا فى أمره فأخذ منه مالا حتى صرفها عنه بسحره، فقال له: أريد أن أكون لك تلميذا أيها العالم! فقال: لو أقمت مائة سنة لى ملازما[4] يا أيها الجاهل المجنون

(١) فى الأصل وبن: درهم ـ كذا.
(٢) من بن، وفى الأصل قرتين ـ كذا.
(٣) من بن. وفى الأصل: تزول.
(٤) فى الأصل، ملازم ـ كذا، وفى بن فلازمنى مائة عام.

ما أفدتك علم القرون ؛ فتركه و انصرف[1] .

و قيل :[2] السحر[3] لا يقلب الصور بل يقلب النظر كما يرى النائم بحرا فيكون سلطانا – أعنى تأويله ، و لهذا قيل : سحروا أعين الناس ، فخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى ، و قيل : السحر له حقيقة و يؤثر فى إيلام الأجسام و إتلافها ، و يحرم فعله و تعلمه ، فمن اعتقد إباحته مع العلم بتحريمه فقد كفر[4] .

و كانت السحرة الذين[5] حشرهم فرعون من مدن مصر لموسى عليه السلام خلق كثير ، [٣١ : ب] فلما رأوا آيات موسى من إلقائه العصا التى صارت حية تسعى و قد ابتلعت حبالهم و عصيّهم التى سحروها حتى صارت حيّات تسعى استيقظوا من غفلتهم و لم يلبثوا أن آمنوا و سجدوا لله عز و جل و قالوا : "آمنا برب العٰلمين" ، قال فرعون بجهله : أنا رب العالمين ، فقالوا "رب موسى و هٰرون" قال فرعون "آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علّمكم السحر فلأقطعن ايديكم و ارجلكم من خلاف

(١) زيد فى بن : و لم يفد ذلك .

(٢) زيد فى بن : ان .

(٣) فى الهامش : السحر لا يقلب الصور بل يقلب الأبصار .

(٤) سقط من «بر» و زيد فى «بن» [١٦ : ب] ما يلى : و قيل ان علم السحر يستفاد منه ما لاذ نفسه (كذا !!) و يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية ، و منفعته أن يعلم ليحذر منه لا ليعمل به و لا نزاع فى عمله . أما مجرد علمه فظاهر الإباحة بل قد ذهب بعض النظار على أنه فرض كفاية لظهور ساحر يدعى النبوة فيكون فى الأمة من يكشفه و يقطعه ، و أيضا يعلم منه ما يقتل ... فاعله قصاصا .

(٥) من بن ، و فى الأصل : التى .

و لأُصلبنّكم فى جذوع النخل" و أمضى فيهم [ذلك - [1]] فكانوا أول النهار سحرة كفرة و آخره شهداء بررة ، ففازوا بالجنة الخالدة بسجدة واحدة ، فسبحان من لطف بهم و أخرجهم من الظلمات إلى النور و أورثهم دار النعيم و السرور ! يا عجبا كل العجب ! قوم فى حداد الكفر يرفلون و الولائم تنصب لهم فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ! أسارى فى دهليز "لهم قلوب لا يفقهون بها" و مراتبهم منصوبة فى عراص[2] [الجنة - [3]] " فاولئك لهم الدرجات العلى "[4] ، إبليس و برصيص و بلعام رافلون فى سندس "اولئك الذين هدىٰهم الله" "فبهدىٰهم اقتده" و قد ظهرت عورة " الذين ضل سعيهم فى الحيٰوة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا " ، خرج رسول المشيئة و قال : عرجوا بهذا الركب إلى طريقة " قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا " . يا عجبا كل العجب ! هذا بلعام جالس على بساط الانبساط و القدر ينادى " اتينٰه ايٰتنا فانسلخ منها " صفعته يد الركون إلى الدنيا فأخلد إلى الأرض و اتبع هواه فسُلب

(١) ساقطة من « بر » و واردة فى « بن » [١٦ : ب] .
(٢) فى « بن » عراض .
(٣) زيد من بن .
(٤) زيد فى بن : قال ابن الجزرى جاءت السحرة تحارب و خلع الصلح قد جيبت و تيجان الرضى قد رصعت و شراب الوصال يروق مدوا أيديهم الى ما أعتمد من خمر الهوى فاذا به قد استحال خلا ما قطروا عليه وا عجبا لسكارى من شراب الحب فزيدت عليهم . . . فصلبوا فى جذوع النخل ارتقى سلطان هزيمتهم الى سماوات قلوبهم فأوحى فى كل سماء امرها .

حلاوة نجواه، إنما مثل الواقف بين يدى مولاه بلا قلب يلعب و يعبث "كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث" . و هؤلاء السحرة فى شرك الشرك أسارى، و فى ظلمة الباطل حيارى، و يد السعادة قد دكت جبال شقوتهم دكا . القدر يناديهم من الملأ الأعلى "لهم جنّت تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها" "و ذلك جزؤا من تزكى[1]" . فلما[2] قتلهم أجمعين و قطع أيديهم و أرجلهم و صلبهم و هم يسبحون و يقدسون و يهللون و يكبرون و يستغفرون حتى ماتوا - رحمة الله عليهم و رضوانه لديهم .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر العلامات و الآيات التى جاء بها موسى لفرعون - إن شاء الله تعالى .

و قال النبى صلى الله عليه و سلم : إذا أراد الله بالعبد السعادة يسره إلى [٣٢ : الف] الطاعة فيعمل بها حتى يموت فيأمر به إلى الجنة، و إذا أراد الله به الشقاوة يسره إلى المعصية فيعمل بها حتى يموت فيأمر به إلى النار .

و قيل كان عدة[3] سحرة فرعون اثنى عشر ألف ساحر رؤساء، تحت يد كل رئيس منهم عدة عرفاء، تحت يد كل عريف ألف من السحرة، فكانت جميع السحرة مائتى ألف ألف و أربعين ألف ألف و مائتين

(١) جمع المؤلف هنا بين جزئى آيتين من سورتين متباعدتين - راجع القرآن الكريم ٥ : ١١٩ ، ٢٠ : ٧٦

(٢) كذا فى الأصول .

(٣) فى هامشه : عدة سحرة فرعون .

و اثنين و خمسين ساحرا بالرؤساء و العرفاء .

و أجمعت الرواة على أنه ما يعلم [من -[1]] جماعة أسلمت فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط .

و يروى أنه لم يفتن واحد منهم حين افتتن بنو إسرائيل لما فرق الله لهم البحر و فتح لهم فيه اثنى عشر طريقا حتى نجوا من فرعون ، و أغرق الله فرعون و جنوده بانطباق البحر عليهم و بنو إسرائيل على الساحل ينظرون ففرحوا بنصر الله لهم على عدوهم ، و مضى موسى لمناجاة ربه بعد أن وصّى أخاه[2] هارون عليهم ، فرأوا هناك ناسا يعبدون الأصنام[3] ، فاتخذ لهم السامرى العجل صاغه من حليّهم و قال : "هذا إلهكم و إله موسى فنسى" يقول : ترك موسى إلهه هنا و ذهب يطلبه ، ثم انصرف موسى من عند ربه و لم يستطع أحد[4] أن ينظر فى وجهه لما تغشاه من النور حتى كان يلبس وجهه بخرقة حرير ، و أنزل الله عليه الألواح بطور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابة بالذهب ، فلما رأى ما أحدث قومه من عبادة العجل ارتعد فسقطت الألواح من يده فتكسرت فجمعها و أودعها تابوت السكينة ، ثم انهم أظهروا من توبتهم لقتلهم أنفسهم ما ذكره الله تعالى من قوله "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ[5]". ثم أمره الله سبحانه أن يأتى فى ناس من بنى إسرائيل

(١) زيد من بن . (٢) من بن ، و فى الأصل : اخوه .
(٣) فى الهامش : عباد العجل . (٤) من بن ، و فى الأصل : احدا - كذا .
(٥) قرآن كريم ٢ : ٥٤ .

يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا، ثم كان من أمر سؤالهم أن يروا الله جهرة، فأماتهم الله ثم أحياهم، فذلك قوله ثم[1] اخذتهم الرجفة ثم أمرهم الله بالمسير إلى أريحا وهى أرض بيت المقدس فساروا حتى قربوا منها، بعث موسى اثنى عشر نقيبا من أسباط بنى إسرائيل فلقيهم رجل من الجبارين فأخذهم فحطهم فى حجرته وعلى رأسه حزمة حطب، فانطلق بهم إلى امرأته وقال: انظرى إلى هؤلاء القوم الذين يريدون[2] أن يقاتلونا[2]، فطرحهم بين يديها وقال: الآن أطحنهم برجلى، فقالت امرأته: لا، خلّ عنهم حتى يخبروا [٣٢: ب] قومهم بما رأوا، فذلك قول بنى إسرائيل: "إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝" فقال موسى: "رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝"

(١) قرآن كريم ٧: ٧٨ و ٩١ كذلك ٢٩: ٣٧ (فاخذتهم الرجفة)، ٧: ١٥٥ (فلما اخذتهم الرجفة).

(٢ – ٢) فى بن: قتالنا.

قال تعالى "فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ[1]" - الآية فخرج بهم موسى إلى التيه و عددهم ستمائة ألف بالغ و أتاهم بالآيات المشهورة و كانت آياته فى عصاته و غيرها .

قال أبو إسحاق الثعالبى[2] فى تفسيره : قوله عز و جل "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ"[3] . قال : و كانت لها شعبتان و فى أسفلها سنان و اسمها نبعة ، و قوله "أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا" أى أعتمد إذا مشيت و إذا عييت و عند الوثبة و القفزة "وَأَهُشُّ بِهَا [4]عَلَى غَنَمِي[4]" و أخبط بها الشجر ليتناثر ورقها لتأكل غنمى . و قوله "وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۞" حوائج و منافع .

قال ابن عباس : كان موسى عليه السلام يحمل على عصاه زاده و سقاه فجعلت[5] تماشيه و تحادثه ، و كان يضرب بها الأرض فتخرج له ما يأكله يومه ، و يركزها فتخرج الماء ، فاذا رفعها ذهب الماء ، و كان يرد بها غنمه و تقيه الهوام باذن الله ، و إذا ظهر له عدو حاربت و ناضلت عنه ، فاذا أراد الاستسقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر و صارت شعبتاها كالدلو حتى يستقى ، و كان يظهر على شعبتيها كالشمعتين بالليل

(١) قرآن كريم ٥ : ٢٢ - ٢٦ .
(٢) فى الهامش : عصاة موسى .
(٣) قرآن كريم ٢٠ : ١٧ - ١٨ .
(٤ - ٤) زيد من بن ، و قد سقط من بر .
(٥) فى بن : فكانت .

تضيء

تضيء له و يهتدى بها ، و إذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها فى الأرض فتغصنت عن تلك الشجرة و أورقت ورقها و أثمرت ثمرها؛ فهذه المآرب التى كانت فى العصا - انتهى .

نعود إلى التيه[1] - و التيه الذى تاه فيه بنو إسرائيل[2] مقدار أربعين فرسخا و قيل إنه تسع فراسخ فى مثلها، و أول حده ما بين قبر أبى حميد و بطن نخل، و فيه مات موسى و هارون عليهما السلام[3] - انتهى .

نعود إلى ذكر البحيرة التى بأرض[4] مصر[5] - أما البحيرة فكانت كرما لامرأة المقوقس ملك مصر ، وكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم ، فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت : لا حاجة لى فى الخمر، أعطونى دنانير، فلم تجدها [٣٣ : الف] معهم ، فأرسلت على الكرم الماء فغرقتها ، فصارت بحيرة يصاد فيها السمك حتى استخرجها بنو العباس فشدوا جسورها و زرعوها و بقى ذلك اسما[6] عليها ما[7] تعرف إلا بالبحيرة[8]. و قد

---

(١) انظر ايضا فيما بعد ٢٢٧ : الف ، ٢٣٠ : الف .

(٢) زيد فى بن : اربعين سنة ، و فيه : مقداره ، مكان : مقدار .

(٣) فى بن ١٨ : ب « ذكر حدود التيه » .

(٤) فى بن : اسفل .

(٥) فى الهامش : بحيرة سكندرية . وكل ذلك وارد فى تاريخ ابن عبد الحكم ص ٦ ، وخطط المقريزى (طبعة Wier) ج ٣ ص ١٦٦ ، وحسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٣٨ فى الفصل الخاص بذكر بناء الإسكندرية .

(٦) فى بن : اسم . (٧) فى بن : لا .

(٨) فى بن : به .

تغلغل بنا الكلام[1] و تشعب إلى أن أخرجنا [2]عما قصدناه[2] - فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه أولا[3] :

و ليست مدن جزيرة قبرس كمدن نصارى الأندلس مثل إشبيلية و قرطبة و طرطوشة و طليطلة[4] و غيرها من المدن ، و كانت تلك المدن للسلمين ملكوها من النصارى و أقاموا بها مدة سنين ثم غلبهم عليها النصارى[5] ، و هى الآن فى سنة خمس[6] و سبعين و سبعمائة بأيديهم[7] .

[8]و ليست الماغوصة[9] و الأفقسية و غيرهما من بلاد جزيرة قبرس[10] كمدينة رومة و القسطنطينية و عمورية ، عن عمير بن مالك أنه كان عند عبد الله بن عمر فذكروا فتح القسطنطينية و رومة أيهما يفتحان قبل فاختلفوا فى ذلك ، فدعا عبد الله بن عمر بصندوق فيه قراطيس فقال: تفتحون قسطنطينية ثم تغزون بعثا إلى رومة فيفتح الله عليكم .

---

(١) زيد فى بن : و تسلسل .

(٢ - ٢) فى بن : الى البحيرة .

(٣) فى بن : من اخبار مدن النصارى .

(٤) زيد هنا فى بن [١٨ : ب] و مالقة .

(٥) زيد فى بن ايضا : الأقرطبة !

(٦) فى بن : ست .

(٧) زيد فى بن ايضا : و أما قبرس فهى سرير ملك السلطان ابن الأحمر و مالقة هى التى يصنع بها الفخار المنقوش الرفيع المدهون الذى لا يعمل مثله فى غيرها .

(٨) زيد فى بن : نعود .

(٩) فى بن : القبرس .

(١٠) زيد فى بن : الأفقسية .

قال محمد بن هشام: و قد فتح مسلمة بن عبد الملك بن مروان و الأمير عبد الوهاب القسطنطينية[1] و غنما منها غنائم كثيرة، و فتح أمير المؤمنين هارون الرشيد حصن هرقلة و هو حصن كبير من حصون الروم، و كان استفتاحه له سنة تسعين و مائة، و كان رميه لسورها بحجارة المنجنيق عليها[2] الكتان و النفط، فكانت النار تلصق به و تأخذه الحجارة و قد تصدّع فتهافت فقال الشاعر:

هوت هرقلة لما أن[3] رأت عجبا　　حجارة ترمى بالنفط و النار
كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم　　مصبّغات على أرسان قصّار[4]

(١) راجع فى حملات العرب على القسطنطينية البحثين الآتيين:
M. Canard, *Les expe'ditions des arabes contre Constantinople, dans l'histoire et dans la le'gende* J.A., I, 80 et seq.; Md. A. Cheira, *La lutte entre arabes et byzantins* (1947), pp. 180 et seq.

(٢) زيد فى بن: مشاقان.

(٣) سقط من بن.

(٤) فى «بن» [١٨: الف، ب] زيد ما يلى: وفتح المعتصم ... عمورية و غنم منها غنائم كثيرة فقال الشاعر فى ذلك للمعتصم:

تناولت اطراف البلاد بقدرة　　كأنك فيها تبتغى اثر الخضر

و قد كان للخلفاء فتوح، و لكنه لم يتسق لأحد ما للمأمون وعبد الملك بن مروان و المعتصم، الا أن فتوح المأمون وعبد الملك كانت (فى بن: كان) لمن قصد إلى ملكها فبلغا (فى بن: ملكها فبلغنا) فى ذلك ما لم يبلغه احد فى الإسلام من الملوك، وللمعتصم ست فتوحات عظام جليلة لم يحارب فى واحدة منهن الا من قصد المسلمين دون ملكه خاصة، فمن ذلك ما يقال إن ملك طبرستان بعد ما غلب =

= و قتل و تمكن من تلك القلاع والجبال المنيعة والسبل الوعرة حتى قتله وظفر به، و من ذلك بابك ... (!) الذي كسر العساكر و قتل الجنود و قتل القواد واخرب البلاد وملأ القلوب هيبة ومخافة فأخذه اسيرا وقتله وصلبه إلى جنب مازيّار . و من ذلك فتح عمورية و هزيمة الطاغية أمير ياطس صاحب ملطية (في بن : الصواحي - كذا) فأسره و صلبه الى جنب بابك و مازيّار . من ذلك استباحة الزط حتى اجتث اصلهم واباد خضراءهم (لعله : حضرهم) بعد ان منعوا عن بغداد الميرة و قتلوا القواد و غلبوا على البلاد وبعد ان رامهم خليفة بعد خليفة . و من ذلك الأمير جعفر الكردي وأخافته السبل فظفر به و قتله . ومن ذلك ما كان منه في امر الهند، و شق الهند كله حتى ظفر من عدد البروج و رؤساء الهند و ابطال المقاتلة وأخرب السواحل على يدى عمر بن الشهراز . ثم الخليفة المعتضد بالله اتفق له من الفتوح الجليلة الخطيرة مثل ذلك ... بعد ان كان قد تغلب على البلاد و منع الميرة من جميع الأقطار، و من ذلك قصد الى عبد العزيز بن ... حتى اجتث اصلهم و استباح حريمهم . ثم كان من شأن رافع بن هرثمة وخلعه المطاع (!) بمدينة السلام . ثم امر محمد بن زيد العلوى بطبرستان بعد ان تمكن من القلاع و الحصون ... والخطبة انقطعت عنهم ثماني (وفي بن : ثمانية - كذا) و ثلاثين سنة بمقامه ومقام الحسن بن زيد و كان ... في المحرم (!) سنة خمسين ومائتين و تولى في ذي الحجة سنة سبعين و مائتين وصار مكانه اخوه محمد ... بجرجان يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وثمانين و مائتين . ومن ذلك عمرو بن الليث ... اياه، و من ذلك فتح آمد وهي بعض مدينة في بلاد العرب و ايقاعه بابن الشيخ واخذه اياه اسيرا، ثم امر وصيف الخادم وخروجه اليه بنفسه إلى تخوم ارض الروم حتى اوقع به ثم قتله و صلبه . وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يتمثل :

من عاد بالسيف لاقى فرصة عجبا . . . .

لا تركبوا السهل ان السهل مفسدة لن تنالوا المجد حتى تركبوا عنفا =

كذا

= (كذا فى الأصول لكن وزن الشعر لا يستقيم بلفظ : تنالوا ، ولعله : تحصلوا ، او : تأخذوا) وقالوا . . . سلاحك والرضا بالقضاء من افضل اعوانك ، والجد فى طلب الخير من مالك ، وانشدوا :

فلا تحسبن الرزق بابا سددته ولا انني يوما اليك فقير
ففي العيش منجاة وفى الأرض مذهب وفى الناس ابدال . . . .

ولبعضهم :

اصبر لها فالحر صبار او امسكيها ان منك العار (كذا غير موزون)
دائرة دارت على عاقل . . . . . والدهر دوار

ولبعضهم :

نبت بك الدار فسر آمنا فللفتى حيث انتهى دار

ولبعضهم :

تبدل بدار غير دارك موطنا اذا صعبت فيها اليك المطالب
فلا الكره للدنيا وللناس قاسم وفى غيرها للطالبين مكاسب - انتهى

(زيد فى بن : قبل «للناس» لا ، ولا يستقيم به الوزن)

انظر ايضا [٣٩ : ب] ذكر ارجوزة السراج عبد اللطيف التكريتي نزيل ثغر الإسكندرية المحروس فى الأئمة الأربعة ، وقد وردت مقتطعات اخرى من ديوان هذا الشاعر فيما بعد منها ٤٣ : ب فى الهوى العذرى و ١١١ : ب الى ١١٢ الف ارجوزة فيما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذاته» و ١١٢ : الف من قصيدة مدح بها النبي يذكر فيها وقعة بغداد فى زمان المستعصم بالله ، وفى جزء الإلمام المخطوط بدار الكتب فى القاهرة ١٧٥ : الف خمسة ابيات من هذه القصيدة ايضا . وقد ذكر بروكلمان (GAL) فى المجلد الثانى من الملحق ص ٨٩٧ رقم ٤ هذا الشاعر بين المؤلفين الذين لا يعرف تاريخهم ولا يمكن تحديد بلادهم ، واشار الى ان لعبد اللطيف التكريتي ديوانا به قصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم =

و سيأتى ذكر فتح حميد بن يعقوب لجزيرة قبرس[1] فى دولة الرشيد إن شاء الله تعالى. و كان هارون الرشيد تام الخلقة[2] طويلا أبيض مسمنا قد وخطه الشيب، له وفرة إذا حجّ حلقها، و كان كامل الأخلاق سمحا شجاعا كثير الحجّ و الجهاد، و حجّ فى خلافته ثمانى حجج، و لما أراد أن يسمع الموطّأ على الإمام مالك[3] بن أنس بالمدينة أراد أن يكون مالك عنده، فقال مالك: يا أمير المؤمنين! حدثنى نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: إن العلم [4]يؤتى و لا يأتى[4]، فقال الرشيد: إذًا نأتى [٣٣: ب] منزلك. فقدمت له دابة ليركبها فقال مالك: يا أمير المؤمنين! حدثنى نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم

= و هو محفوظ فى ليدن تحت رقم ٧٠٥، ولاشك ان المعلومات الواردة فى النويرى تصحح هذا الوضع و تكمله، اولا فى تحديد بلد المؤلف واصله من تكريت بالعراق ثم نزوله بالإسكندرية مع آخرين من بغداد بعد ان ظفر بها هولاكو فى سنة ٦٥٦ﻫ، ثانيا يتضح مما تقدم انه نظم قصيدته فى مدح الرسول بعد تلك الوقعة الشهيرة التى يشير اليها فى شعره، و قد قضى بقية حياته بالديار المصرية فى القسم الثانى من القرن السابع للهجرة او الثالث عشر الميلادى.

انظر ايضا ٣٩: ب إشارة إلى الإمام الشافعى: و قبره بالقرافة من أرض مصر يزار، و على قبره قبة كبيرة على رأسها صفة شختور من نحاس» — راجع ١٢٤: الف، ١٢٧: ب عن «شختور» و هو نوع من السفن.

(١) ليس فى بقية الكتاب تفصيل لفتح قبرس فى هذا العصر.

(٢) زيد فى بن: جميلا.

(٣) فى الهامش: الإمام مالك.

(٤ - ٤) من بن، و فى الأصل: يأتى و لا يؤتى.

أنه قال: من خطا خطوة فى طلب العلم كتب الله له بها ألف حسنة، و إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع؛ فقال الرشيد: إذا نمشى إلى منزلك، فمشى فلما أراد الجلوس وضع له كرسى جلس عليه، فقال مالك: يا أمير المؤمنين! حدثنى نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من تواضع لله رفعه الله، فنزل الرشيد عن كرسيه و جلس مع الناس كلهم، فلما فرغ قال: يا شيخ! ما سميت هذا الكتاب؟ قال: ما سميته إلى الآن شيئا و لكن أسميه الموطأ لأنك تواطأت لنا يا أمير المؤمنين[1].

---

(١) زيد هنا فى «بن» [١٩ : ب] ما يلى: قال المؤلف رحمه الله تعالى وسأذكر الآن كتب الحديث منها كتاب الموطأ للامام مالك بن أنس الأصبحى و كتاب الجامع الصحيح للبخارى و كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيرى و كتاب الصحيح لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى و كتاب مسند أحمد ابن حنبل و كتاب مسند أبى عبدالله بن سفيان و كتاب مسند أبى عوانة يعقوب ابن إسحاق و كتاب مسند أبى العباس محمد بن إسحاق . . و كتاب مسند أبى يعلى أحمد ابن على بن المثنى الموصلى و كتاب مسند عبد الله بن وهب بن مسلم و كتاب مسلم بن إبراهيم الأزدى و كتاب مسند أنس بن مالك و كتاب مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعى و كتاب مسند أهل البيت جمع الإمام احمد بن حنبل زيادات ابن عبد الله و كتاب الإكليل كتاب الإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم العتبى و كتاب سنن أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن على بن بحر النسائى و كتاب السنن للامام ابى الحسن على بن عمر بن مهدى النعمان بن دينار الدار قطنى و كتاب السنن للامام الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين ابن على البيهقى، كتاب المتفق للامام الحافظ ابى [بكر] محمد بن عبد الله بن زكريا الشيبانى الجوزقى و كتاب شمائل النبى صلى الله عليه وسلم للامام الحافظ ابى عيسى =

و كان مولد الإمام مالك بن أنس[1] سنة ثلاث و تسعين للهجرة ، و حمل به فى بطن أمه ثلاث سنين ، و توفى بالمدينة سنة تسع و سبعين و مائة ، و صلى عليه عبيد الله بن محمد بن [2] إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس و هو يومئذ وال على المدينة ، و دفن بالبقيع ، و قبره بباب البقيع عليه قبة . و قال عند وفاته "لله الامر من قبل و من بعد" .

روى عن مالك رحمه الله من حسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كان لا يركب فى المدينة بغلة ، فقيل له فى ذلك فقال: لا أطأ راكبا لمكان وطئه النبى صلى الله عليه و سلم ماشيا ، و كان لا يرفع صوته فى مجالس العلم بمسجد النبى صلى الله عليه و سلم و يقول : حرمة الرسول

= الترمذى وكتاب المعجم الكبير للامام الحافظ ابى القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير الطبرانى وكتاب معالم السنن للامام ابى سليمان احمد بن محمد الخطابى وكتاب شرح السنة للامام الحسن بن مسعود البغوى وكتاب الجمع بين الصحيحين للبغوى ايضا و كتاب الرقائق لعبد الله بن مبارك و كتاب الترغيب لحميد بن زنجويه و كتاب الرغائب لأحمد بن سيار القرشى وكتاب الزهد لهناد بن السرى وكتاب غريب الحديث لأبى عبد الله بن مسلم بن قتيبة وكتاب غريب الحديث لأبى سليمان احمد بن محمد بن ابرهيم الخطابى و كتاب ابى محمد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بابن الشيخ و كتاب مسند ابى القاسم البغوى و كتاب فضائل مكة لأبى سعيد الشعبى - انتهى .

(١) زيد فى بن: نعود .

(٢) زيد فى بن: على بن .

حيا

حيا و ميتا سواء، و قد قال الله تعالى "يٰأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض[١]".

و سأل رجل مالكا[٢] عن اللعب بالشطرنج فقال مالك: أمن الحق هي؟ قال: لا، قال: "فما ذا بعد الحق إلا الضلل". و قال مالك: طعام المؤمنين في اليوم مرتين[٣] و تلا قول الله عز و جل "و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا[٤]" و عوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء ليقووا به على عبادة ربهم، و من أراد صحة جسمه فليقلل من الطعام و الشراب و الوطى فان الإقلال منها ينشط الهبوب من المنام و تدوم معه سلامة الأجسام، و لله در القائل حيث يقول:

قلل لنفسك ما أكلـت و ما شربت و ما وطئت

و أنا الضمين بأن تعا في ما حييت و ما بقيت

[٣٤: الف] و أخذ مالك رحمه الله عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين و ستمائة من تابعيهم، و هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن [٥]مالك بن أبي عامر بن عمرو بن[٥] الحارث بن غيمان[٦] - بالغين المعجمة و الياء

---

(١) قرآن كريم ٤٩: ٢.

(٢) في بر و بن: مالك.

(٣) كذا.

(٤) قرآن كريم ١٩: ٦٢.

(٥ - ٥) في بن: ابي عمرو بن.

(٦) و في متن تهذيب التهذيب ١٠/٥: عثمان، و بهامشه: غيمان.

المثناة من تحتها - ابن خثيل[1] بالخاء المعجمة المضمومة و فتح الثاء المثلثة - ابن عمرو بن الحارث، و هو ذو أصبح الأصبحى المدنى إمام دار الهجرة و أحد أئمة المذاهب المتبوعة. و هو من تابعى[2] التابعين، و قال أبو مصعب: مالك بن أنس من العرب صليبه و حلفه من قريش فى بنى تيم بن مرة.

قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد صاحب الربيع بن سليمان: و روى حديث ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الأرض علما، ثم قال: و فى هذا الحديث علامة بينة إذا تأمله الناظر المميز علم أن المراد به رجل من علماء هذه الأمة من قريش يظهر علمه، و تلك صفة لا تصلح إلا للشافعى، فانه عالم من قريش قد بين العلم و مهد الطريق و شرح الأصول و بين الفروع و صنف المصنفات التى سارت بها الركبان و انتشرت فى سائر البلدان.

قال أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذى: تفقهت لأبى حنيفة فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى منامى و أنا فى مسجد النبى صلى الله عليه و سلم عام حججت فقلت: يا رسول الله! قد تفقهت بقول أبى حنيفة و[3] آخذ بقوله؟ قال: لا. قلت: فآخذ بقول مالك بن أنس؟ قال: خذ منه ما وافق

---

(١) فى « بن » [٢٠ : الف] : ابن خثتك و الكلمة مشتبهة فى الأصل، و فى تهذيب التهذيب: ابن جثيل، و فى تاج العروس ٧/ ٣٠٠: (و) خثيل (كزبير جد للامام مالك) بن انس الفقيه قاله ابن سعد (أو هو بالجيم) و الباقى سواء قاله الحافظ فى التبصير - اه.

(٢) من بن، و فى الأصل: تابع.

(٣) زيد فى بن: أنا.

سنتي، قلت: فآخذ بقول الشافعي؟ قال: ما هـو له بقول إلا أنه أخذ بسنتي و رد على من خالفها.

قال محيي الدين النواوي: سمع مالك نافعا مولى ابن عمر و خلائق أخر[1] من التابعين، و روى عنه يحيى الأنصاري و الزهري و هما من شيوخه، ثم روى عنه ابن جريج و يزيد بن عبد الله بن الهادي و الأوزاعي و الثوري و ابن عيينة و شعبة[2] و الليث بن سعد و ابن المبارك و محمد بن إدريس الشافعي و غيرهم، و أجمعت طوائف العلماء على إمامته و جلالته و عظم سيادته و تبجيله و توقيره و الإذعان له في الحفظ و التثبت[3] و تعظيمه لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و كان هارون الرشيد يعظم النبي صلى الله عليه و سلم تعظيما كثيرا و يعظم الإمام مالك بن أنس، و إذا سمع من مالك أو غيره حديث رسول [٣٤ : ب] الله صلى الله عليه و سلم يخضع خضوعا زائدا. و حضر مائدة الرشيد يوما بعض قوّاده فأخذ من[4] الطعام بيده[4] و قال: ليت شعري يا أمير المؤمنين ما كان ابن عمك محمد يحب من هذا[5]! فغضب الرشيد و قال: ابن عمي تقول و لا تقول: رسول الله صلى الله عليه و سلم!

(١) من «بن» [٢٠ : الف]، و في «بر»: اخذ - كذا.
(٢) في «بن» [٢٠ : ب]: شيبة.
(٣) في «بن»: الثبت.
(٤ - ٤) في بن: المائدة يدا.
(٥) زيد في بن: الطعام.

يا غلام! السيف و النطع! فما ردت يده إلى طعامه حتى ضربت عنقه و رفع من بين يديه قتيلا.

و مدح أبو نواس الرشيد بقصيدة أولها:

لا أذود الطير عن شجره قد بلوت المر من ثمره

إلى أن قال فيها:

كيف لا يرقى إلى شرف من رسول الله من نفره

فلما سمع الرشيد هذا البيت قال له: وجب سفك دمك! تقول عن[1] رسول الله: من نفره، جعلته من نفرى و أنا لا أساوى تراب نعله! فشفع[2] الحاضرون فيه، فأمر بسجنه و قال: كان ينبغى له[3] أن يجعلنى من نفره لا هو من نفرى؛ فلم يزل أبو نواس مسجونا إلى أن ولى الأمين الخلافة فأخرجه من السجن[4].

و لما رحل الإمام الشافعى[5] من مكة إلى العراق دخل على الرشيد

---

(١) من بن، و فى الأصل: من.

(٢) وقع فى الأصل و بن: فشفعت - كذا.

(٣) فى بن: لك.

(٤) زيد فى بن ما يلى: و قد انكر الرشيد ايضا على ابى نواس:

فان يك باق سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فقال له: يا ابن اللخناء! أنت المستهزئ بعصا موسى عليه السلام! و أمر باخراجه من عسكره من ليلته. و قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه: ما قطع ظهرى فى الإسلام الا رجلان: عالم فاجر ومبتدع ناسك، فالعالم الفاجر يزهد الناس فى علمه لما يرون من فجوره، و المبتدع الناسك يرغب الناس الى بدعته ... نسكه.

(٥) فى الهامش: الإمام الشافعى.

فعظمه الرشيد و أجلسه مكانه ، و اسم الشافعي محمد بن إدريس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم جد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و أمه فاطمة بنت عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن الشهيد السبط ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ابن عبد الله ، و عبد الله و أبو طالب ابنا[1] عبد المطلب بن هاشم ؛ فالإمام الشافعي شريف الأبوين و مولده بغزة ، ثم حملته أمه طفلا رضيعا إلى عسقلان ، ثم حملته إلى بلاد آبائه مكة المشرفة فربى بها و نشأ ، و كان أسمر اللون ، أسود الشعر فاحم ، أقنى الأنف ، سهل[2] الخدين ، ربعة من الرجال ، خفيف العارضين ، خفيف اللحم ، كأنه غمس في المسك و العنبر و هما يفوحان منه ، و كان صوته جهوريا ذا زجل ، و كان لا يحلق رأسه ، و كان أول رجل حفظ الموطأ و عرضه على الإمام مالك بن أنس ، فمدحه حينئذ الإمام مالك إمام دار الهجرة فقال : إن يك أحد[3] يفلح فهذا الغلام ! و كان يقرئ الناس العلم بمكة و هو ابن ثلاث عشرة سنة بالمسجد الحرام ، ثم لزم مسلم بن خالد الفقيه فقرأ عليه الفقه و أذن له في الفتوى ، و قال : افت أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتي ! و كان عمره إذ ذاك [4]خمس عشرة[4] سنة[5] ،

---

(١) من بن ، و في الأصل : ابنى - كذا .

(٢) في بن : اسهل .

(٣) من بن ، و في الأصل : احدا - كذا .

(٤-٤) في الأصل و بن : خمسة عشر - كذا .

(٥) زيد هنا على النص في "بن" [٢١ : الف] ما يلي : قال الشافعي رحمه الله تعالى كنت صبيا فرأيت في النوم رجلا ذا هيئة يؤم الناس يعلمهم فدنوت منه =

ثم توجه إلى اليمن فرأى بها رجلين ملتصقين لهما [1]رأسين [٣٥ : الف] مفترقين[1]، فكلم كل واحد منهما فجاوباه عن كلامه، فلما كان بعد مدة طويلة رآهما و أحدهما يابس كالقد و الآخر طري البدن فقال له: ما بال صاحبك؟ قال: مات و هو معلق معي.

و روى عن قاسم بن أصبغ عن أبيه أنه رأى بالعراق خنثى[2] ولد له من صلبه و بطنه، قال أبو عبد الله بن قاسم: و رأيت لمالك في بعض التعاليق ان مثل هذين لا يتوارثان لأنهما لم يجتمعا في بطن واحد فليسا بأخوين[3] لأب و لا أم - انتهى.

و من شيوخ الشافعي في العلم بمكة سفيان بن عيينة و عبد الرحمن بن أبي مليكة و مسلم بن خالد و الفضيل بن عياض، و من أهل المدينة مالك ابن أنس و إبراهيم بن سعد، و من أهل اليمن هشام بن يوسف و مطرف ابن مازن.

و أما تلامذة الشافعي فمنهم الإمام أحمد[4] بن حنبل المروزي

= فقلت: علمني، فأخرج ميزانا من كمه فقال: هذا لك. فقص الشافعي رؤياه على معبر فقال: انك تبلغ و تصير اماما في العلم و تكون على السبيل و السنة لأن امام المسجد الحرام فوق الأئمة كلهم و أفضل الأئمة و كذلك تكون إمام الأئمة، و أما الميزان فانك تعلم حقيقة الشيء في نفسك؛ فكان كما قال. و قيل: لما توجه الإمام الشافعي إلى اليمن رأى رجلين - الخ.

(١ - ١) كذا، و الظاهر: رأسان مفترقان.

(٢) في الهامش: مسألة.

(٣) من بن، و في الأصل: بالأخوين.

(٤) في الهامش: الإمام أحمد.

الأصل، خرجت أمه من مرو وهى حامل به فولدته ببغداد فى ربيع الأول سنة أربع و ستين و مائة، و توفى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى و أربعين و مائتين ببغداد، و دفن بمقبرة باب[2] حرب، و قبره مشهور يزار، حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف، و من النساء ستون ألفا[3]، و أسلم يوم مات عشرون ألفا من اليهود و النصارى و المجوس، و كان رجل فى جنازته يقول:

و أظلمت الدنيا لفقد محمد و أظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

و رئى على بن بشر الحافى فى النوم بعد وفاته و فى كمه شىء يتحرك فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى و أكرمنى، قال: فما ذا الذى فى كمك يتحرك؟ قال: قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر و الياقوت فهذا ما التقطت. و كان أحمد بن حنبل من أصحاب الإمام الشافعى و خواصه. قال الشافعى: خرجت من بغداد و ما خلفت بها أتقى و لا أفقه من ابن حنبل، و كان أحمد بن حنبل إمام المحدثين، صنف كتابه المسند و جمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، قيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، و دعى إلى القول بخلق القرآن فلم يجب، و ضرب و حبس و هو مصر على الامتناع.

قال أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى فى رسالته: و إن القرآن

---

(١) زيد من بن، و قد سقط من الأصل.
(٢) فى بن: باب.
(٣) من بن، و فى الأصل: الف - كذا.

كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد. قال الجزولى: والدليل على أن القرآن ليس بمخلوق من النقل والعقل، أما العقل فما ذكره أبو محمد، ومن النقل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله تعالى [٣٥ : ب]: "قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ"[١] معناه غير مخلوق. ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وقول على رضى الله عنه: ما حكمت مخلوقا وإنما حكمت قرآنا، ومعنى حكمت أى حفظت؛ وقول ابن عباس حين سمع رجلا قال: يا رب القرآن! فنهاه عن ذلك وقال له: القرآن ليس بمربوب وإنما المخلوق هو المربوب، فهذا دليل على أن القرآن ليس بمخلوق. ومن قال: القرآن مخلوق، اختلف فيه، قيل: يقتل، وقيل: لا يقتل وانما يؤدب وينكل، فاذا قلنا: يقتل، هل بعد الاستتابة أم لا قولان، فاذا قلنا أيضا: يقتل أو يضرب، هل يستفصل قولان، ومعنى الاستفصال أن يقال له: ما أردت بقولك: مخلوق؟ هل أردت العبارات أو[٢] غيرها؟ وهذه المسألة امتحن بها كثير[٣] من الفقهاء، وذلك أن المعتزلة حين تولوا واستولوا على الأرض جمعوا الفقهاء وأرادوا أن يحملوهم على أن يقولوا: القرآن مخلوق، فأبوا عن ذلك وعنفوا، أما ما كان من بعضهم فولوا هاربين، فأما البخارى فهرب لأنه روى أنه فرّ عند ذلك وهو

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٢٨.

(٢) من بن، وفى الأصل: والا - كذا.

(٣) فى الأصل: كثيرا - كذا، وفى بن مطموس.

يقول

يقول: اللهم! إذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون، فرئى بالصحراء بعد ذلك بثلاثة أيام وقد مات. والبخارى[1] هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف[2] الجعفى بالولاء، الحافظ الإمام فى علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح، رحل فى طلب الحديث إلى أكثر محدثى الأمصار، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر وبغداد، وقال رحمه الله: صنّفت الجامع لست عشرة سنة، خرّجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بينى وبين الله عز وجل، وكانت ولادة البخارى لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء وكانت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ودفن بعد صلاة الظهر، وكان شيخا نحيف الجسم لا بالطويل ولا بالقصير، وهو منسوب إلى بخارى وهى من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام - هذا ما ذكره القاضى عياض فى كتاب المدارك، والقول الأول للجزولى بأنه مات بالبرية - انتهى.

وأما ما كان من عيسى بن دينار فانه لما امتنع من القول بخلق القرآن سجن عشرين سنة. وأما ما كان من بعضهم فأجبروا [٣٦: الف] كرها على أن قالوا: القرآن مخلوق - وأرادوا به العبارات.

---

(١) فى الهامش: البخارى.

(٢) هكذا فى «بن» [٢١: ب] وقد ضرب عليه فى الأصل، وفى تهذيب التهذيب ٩/٤٧: بن بردزبه وقيل بزرويه وقيل ابن الأحنف.

وكان الزمخشرى[١] من مشايخ المعتزلة وجاور بمكة سنين كثيرة، وكان يقف على باب الكعبة ويمسك حلقة بابها بيده ويقول: أنا الشيخ المعتزلى! القرآن مخلوق، هل من مُناظر - انتهى.

وكان الإمام أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعه، يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى، فى لحيته شعرات سود، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل كالبخاري ومسلم. وتوفى مسلم بن الحجاج المحدث بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين[٢]، وكان من تلامذة الشافعى. ومن تلامذة الشافعى أيضا من المصريين أبو يعقوب يوسف البويطى، اختص بالشافعى فى حياته وقام مقامه فى التدريس والفتوى بعد وفاته. وكان أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله يذهب مذاهب[٣] المأمون بن الرشيد، وشغل[٤] نفسه بمحنة الناس فى الدين فأفسد قلوبهم. وكان أبو يعقوب البويطى ممن امتنع من أن يقول بخلق القرآن، وكان قد حمل فى خلافة الواثق من مصر إلى بغداد فى أيام المحنة وأريد[٥] على القول بخلق القرآن فامتنع من الإجابة لذلك، ولم يزل فى القيد والسجن حتى مات - رحمه الله! وكان رجلا صالحا متنسكا عابدا، وكان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة وهو فى السجن يغتسل ويلبس ثيابه ويمشى حتى يبلغ باب السجن

(١) فى الهامش: الزمخشرى.

(٢) فى بن: مائة.

(٣) فى بن: مذهب.

(٤) فى بن: اشغل.

فيقول له السجان: أين تريــد؟ فيقول: أجيب داعي الله، فيقول له: ارجع - عافاك الله! فيقول البويطي: اللهم! إني قد أجبت داعيك فمنعوني. قال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي أنا و أبو يعقوب البويطي فقال للبويطي: أنت تموت في الحديد! فكان كذلك. و كان أبو مسهر عبد الأعلى الغساني الدمشقي عالم الشام و فقيههم و عابدهم، أخرج عنه البخـاري، و روى عن الإمام مالك بن أنس و غيره من المسائل و الحديث الكثير، و من محنته رحمه الله قال موسى بن الحسن: سمعت أبا مسهر و قد وجه فيه أمير المؤمنين المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم من بغداد إلى دمشق فأحضر له إسحاق جماعة ليقر بكتاب المحنة الذي كتبه المأمون في خلق القرآن و نفي الرؤية و عذاب القبر و أن الميزان ليس له كفتان[1] و أن الجنة و النار ليستا بمخلوقتين، فلمّا قرأ الكتاب على أبي مسهر قال: أنا منكر لجميع ما في كتابكم [٣٦: ب] هذا، أ بعد مجالسة ابن أنس و سفيـان الثوري و مشايخ العلم أكفر بالله تعالى بعد إحدى و تسعين سنة؟ لا أقول: القرآن مخلوق، و لا أنكر عذاب القبر و لا الموازين بأن ليس لها كفتان، و لا أن الله لا يرى في القيامة بل يرى فيها كما جاء في الحديث، و لا أن الله تعالى على عرشه و علمه قد أحاط بكل شيء؛ يدل بذلك القرآن و جاءت به الأخبار التي[2] نقلها أهل العلم، فان كانوا متهمين بما نقلوا فهم متهمون في القرآن لأنهم الذين[3] نقلوه و نقلوا الكثير عن النبي

(١) وقع في بر و بن: كفتين - كذا.

(٢) من بن، و في الأصل: الذى.

صلى الله عليه و سلم؟ فجُرّ برجله لما قال ذلك و طرح فى أضيق المحابس، فما أقام إلا يسيرا حتى توفى، فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيهم إلا الله تعالى[١]. و من أصحاب الشافعى أبو إسحاق المزنى - و قيل: أبو إبراهيم - و ستأتى ترجمته عند ترجمة القاضى بكار إن شاء الله تعالى. و كان مولد الإمام الشافعى سنة خمسين و مائة، و كانت وفاته ليلة الجمعة، و صلى عليه يوم الجمعة. فلما فرغ من دفنه رئى هلال شعبان سنة أربع و مائتين، و لما مرض الشافعى قال له بعض زواره: كيف أصبحت يا إمام؟ قال: أصبحت عن الدنيا راحلا و خلإوانى مفارقا و لسوء عملى قارفا[٢] لكنى

(١) فى هامش الأصل: المزنى. و فى بن [٢٢: الف و ب] زيد ما يلى: سؤال، فى الصدقة على العالم نصيب أم لا؟ الجواب: قال مالك رحمه الله تعالى حدثنى... قال حدثنى الزهرى عن كثير بن مرة عن حذيفة بن اليمان قال قالت عائشة أم المؤمنين: يا رسول الله - صلى الله عليه و سلم! لو كان العالم بالمغرب و الصدقة بالمشرق فهل يحمل للعالم أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عائشة! و الذى بعثنى بالحق بشيرا و نذيرا! لو كانت الصدقة بالمشرق و حامل القرآن بالمغرب لمشت اليه. فقالت: يا رسول الله! أ يحملها للعالم الفقير أم للعالم الغنى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى بعثنى بالحق بشيرا و نذيرا! لحملتها للعالم الغنى و لو كان معه مال قارون و لو كان يكتب بقلم من ذهب، أ ما علمت يا أم المؤمنين لو لا العلماء من بعدى لأشركت أمتى؟ أ ما علمت يا عائشة أن مداد العلماء خير من دم الشهداء؟ أ ما علمت يا عائشة أن عالما واحدا أشد على إبليس من ألف عابد؟ أ ما علمت يا عائشة أن خير الدنيا و الآخرة للعالم و شر الدنيا و الآخرة للجاهل؟ أ ما علمت يا عائشة أن الدنيا لو كانت كلها قيحا و دما لكان للعالم فيها نصيب - انتهى.

(٢) فى بن [٢٢: ب]: نادما.

على

على رب كريم قادما[1] فليت شعرى أ روحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزّيها - ثم لبث بقية نهاره و مات، و قبره بالقرافة من أرض مصر يزار، و على قبره قبة كبيرة، على رأسها صنجة شختور من نحاس، فقال بعضهم فيه:

أتينا لقبر الشافعى نزوره   وجدنا به فلكا و ما عنده بحر
فقلنا تعالى الله هذى إشارة   تدل بأن البحر قد ضمه القبر

روى عبد الله بن الحكم قال: رأيت الشافعى بعد وفاته فى النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمنى و غفر لى و زففت فى الجنة كما تزف العروس، فقلت: بما بلغت هذه الحالة؟ فقال لى قائل يقول لك: بما فى كتاب الرسالة من الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم، فقلت: و كيف ذلك؟ قال: و صلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون و عدد ما غفل عن ذكره الغافلون؛ قال: فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فرأيت الأمر كما رأيت[2].

و سأذكر ما قيل فى الأربعة الأئمة من أرجوزة للسراج عبد اللطيف التكريتى نزيل ثغر الإسكندرية المحروس إن شاء الله تعالى:

[٣٧: الف] فمالك و الشافعى إماما   عدل و من مثلهما يساما
و أحمد محى منار السنة   و قامع البدعة عند المحنة
و الرابع الحبر أبو حنيفة   ذو الفضل و المرتبة الشريفة

(١) كذا، و فى بن: على باب كريم قائم.
(٢) فى هامش الصفحة: أرجوزة فى الأئمة الأربعة.

أربعـة أئمـة الإسلام　　شادوا مبانى الدين فى الإسلام
و الله ما مـالوا و لا استحالوا　　عن منهج الحق و لا استمالوا
و قال كل منهـم إذ عابوا　　زخارف القول و لم يرتابـوا
علم الـكلام و المراء و الجدل　　ليس من الدين و لا علم عمل
و الشافعى فعـلى الخصوص　　يوجعهم ضربا على النصوص
و هو يرى الإشهار فى الإشهاد　　لينتهى حاضرهـا و البـادى
فالتزم الرشد و فُـه بالصدق　　فانـه مـنهـج أهل الحق
واسلك هداك الله مناهج السلف　　تنال فى الدارين غاية الشرف
و جانب الخوض و علم الجدل　　و الحق بأهل الحقّ فالحقّ جلى
و لا تقل بالدور و التسلسل　　و اهجر أخا التعطيل و المعتزل
عضّ على السنـة بـالنواجذ　　فالحقّ وضّـاح لكل آخـذ

و أمّا الإمام أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت[١] بن زوطى بن ماه ، مولى تيم الله بن ثعلبة ، ولد سنة ثمانين ، و مات ببغداد سنـة خمسين و مائة و هو ابن سبعين سنة . قال الشافعى : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال : رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته – انتهى .

نعود لذكر فتح عمّورية[٢] كما تقدم ذكر فتح القسطنطينية – و ذلك أن أمير المؤمنين المعتصم[٣] بن الرشيد فتحها فى خلافته ، و هى من أعظم

(١) زيد فى الأنساب للسمعانى ٦/٦٤ : بن النعمان بن المرزبان .
(٢) انظر ١٣٦ : الف ، ٢٣١ : الف فى فتح عمورية .
(٣) المعتصم بالله أبو إسحاق محمد و حكمه ٢١٨ – ٢٢٧ هـ/٨٣٣ – ٨٤٢ م .

مدائن الروم . فقتل و سبى و خرّب ما قدر على خرابه فيها و فيما مرّ من قراها ، و كان فتحه لها سنة ثلاث و عشرين و مائتين .

و سيأتى ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . و قد تشعب بنا القول و تسلسل إلى أن أخرجنا عما كنا فيه من ملحمة الباجربق ، فلنرجع إليها ، قال رحمه الله :

يا وقعتين و بالأجفار ثالثها[1] من بعد وقعة ترك القوم فى الزمن

قال المؤلف غفر الله له و للمسلمين أجمعين : وقفت على نسخة كتاب القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى وزير السلطان صلاح الدين يوسف [٣٧ : ب] ابن أيوب فرأيته ذكر فيه وقعة الصقلى[2] بالإسكندرية ، و جرت أيضا وقعة القبرسى بعدها بسنين كثيرة ، فكانت وقعة الصقلى فى آخر سنة تسع وستين[3] و خمسمائة و وقعة القبرسى فى أول سنة سبع و ستين و سبعمائة ، فكان ما بين الوقعتين مائة سنة و سبع[4] و تسعون سنة .

و سأذكر ما ذكره القاضى الفاضل فى كتابه فى صفة الوقعة المذكورة ،

(١) فى بن : ثالثها .

(٢) فى الهامش : وقعة الصقلى بالإسكندرية ـ راجع فى هذا الموضوع موسوعة مؤرخى الحروب الصليبية :

Recueil des Historiens des Croisades : Historiens Orientaux

ابن الأثير فى المجلد الأول ص ٦١١ و ما يتلوها ، و ابو شامه فى المجلد الرابع ص ١٦٤ و ما يتلوها . و يسجل الأخير (ص ١٧٧) تحت سنة ٥٩٩ هـ أن القاضى الفاضل ذكر هذه الوقعة فى رسالة بعث بها الى الأتابكة فى سوريا .

(٣) فى بن : خمسين (٤) فى الأصل : سبعة ، و فى بن مطموس .

و أذكر أيضا وقعة الفرنسيس بدمياط ، ثم أذكر بعدهما وقعة القبرسى بالإسكندرية .

قوله – أعنى الباجربقى : يا وقعتين ، يعنى بهما والله أعلم وقعة الصقلى و وقعة القبرسى . و قوله : و بالأجفار ثالثها ، لعلها الوقعة التى كانت عند الباب الأخضر[1] بميناء الإسكندرية الغربية مع سنجوان دمرف بن ريوك[2] القبرسى المتقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب ، و سيأتى ذكرها مفصلة فى آخره إن شاء الله تعالى . و الأجفار لعلها أجفار القصارين[3] المجاورين

(١) الباب الأخضر ، انظر ٩٥ : الف ، ٩٧ : الف ، ١٠٢ : الف ، ١٠٣ : الف ، ١٠٩ : ب ، ١٨٦ : ب ، ١٨٧ : الف و ب ، خبر عن حريق و تشديد و تجديد هذا الباب قريبا من الميناء الغربية .

(٢) راجع عاليه ٢ : ب و الحواشى فى ضبط الأسماء .

(٣) فيما يتعلق بتحديد مكان « اجفار القصارين » ذكر ابن رُشيد الأندلسى عند ما زار الإسكندرية سنة ٦٨٤ ﻫ انه توجد مقابر دفن بها عدد من مشاهير شيوخ الإسلام ، و ان قبر عبد الرحمن بن هرمز الأعرج يقع على مقربة من الأجفار الغربية . و بما أنه يذكر أيضا أن ذاك القبر واقع بين قبر الحافظ أبو طاهر السلفى داخل سور المدينة بجانب الباب الأخضر و قبر أبى بكر الطرطوشى فى قبور وعلة جنوب الباب المذكور ، فيستنتج من ذلك أن اجفار القصارين كانت و لا بد واقعة فى هذا الموضع (راجع ابن رُشيد : ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الرحلة الى مكة و طيبة ـ مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٣٩ ورقة ١٩ : ب) ـ (انظر أيضا عن قبور وعلة : اتيين كومب Et . Combe فى مجلة الجمعية الملكية لآثار الإسكندرية ، عدد رقم ٣٤ ص ٩٥ و ما يتلوها) . و يحتمل أيضا ان تكون اجفار القصارين واقعة بقرب الميناء الشرقية اذا راجعنا فى ذلك كتاب الف ليلة و ليلة (طبعة برسلاو ج ١٠ ص ٣٥٤ – ٣٥٥ تحت : ليلة =

للباب الأخضر - و الله أعلم .

أما قول القاضى الفاضل عبد الرحيم فى كتابه فهو هذا : الكتاب مرسل القاضى الفاضل عن[1] السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف إلى السلطان إسماعيل بن محمود بن زنكى يذكر وصول الأسطول المخذول و عوده منهزما مكسورا و ذلك فى أواخر سنة تسع و ستين و خمسمائة و هى وفاة نور الدين محمود و أيام ابنه الصالح بدمشق فقال فيه : أجدر ما أشيع ذكره بين البوادى و الحواضر ، و تحدث فيه بنعم الله التى بالحديث بها كل ذاكر شاكر ، ما كان السرور به لأهل الإسلام جامعا ، و النصر فيه لألويته رافعا ، لا سيما ظفرا استفتحت به أيامه ، و خفقت به أعلامه ، و ذلك أنه لما كان يوم الأحد السادس و العشرين من ذى الحجة سنة تسع و ستين و خمسمائة ، وصل العدو المخذول الصقلى إلى الإسكندرية فى وقت الظهر ، ثم لم يزل متواصلا متكاملا إلى وقت العصر ، و كان ذلك على حين غفلة من المتوكلين بالنظر لا على حين خفاء من الخبر ؛ فان هذا الأسطول توالت به الأخبار ، و عظمت الشناعات عنه فى الآفاق و الأقطار ، و روّع به ابن عبد المؤمن فى البلاد المغربية ، و هدّد به فى الجزائر الرومية صاحب القسطنطينية ، فشوهد فى

= ٨٥٣) عند ما قاربت السفينة الميناء « رأوا (اى ركابها) أعلامها (أى المدينة) المأذنة المسماة بعامود الصوارى فلما وصلوا الى الميناء نزل نور الدين من وقته وساعته فى تلك الحرّاقة و ربطها فى حجر من الأحجار بتوع القصارين » .

(١) فى الأصل : عز ، و فى بن [٢٣ : الف] : مرسل الفاضل من .

الثغر من وفور[١] عدته و كثرة عدده ، [٣٨: الف] و عظم الهمة به ، و فرط الاستكثار منه ، ما ملأ البحر ، و اشتد به الأمر ، و ناوش[٢] من فيه القتال للثغر و بات الفريقان[٣] على القتال ، و حمى عليه البحر عن النزول و عن النزال ، و كان عسكر الوالى غائبا عنه و لم يحضر فى ذلك اليوم إلا العدد القليل و أصبحوا فى يوم الاثنين الذى يليه على ما هم عليه من انتشار رجال الثغر من أهله ، و كثرة العدو الذى يجب الاحتراز على[٤] مثله ، فأشارت جماعة من عقلاء الأتراك بأن يرد الناس من المكان البعيد ، و يقفوا من السور بالمكان القريب ، فخلى البر ، و أمكن الأسطول الصقلى الأمر ، و استنزلوا خيولهم من الطرائد و راجلهم من المراكب ، فأما الخيل فعدتها على ما حققته أخبار الأسارى على الانفراد ، و علم بالارجاف المتقدم إلى البلاد ، ألف و خمسمائة فارس ، منها راحة ألف و تركبلية خمسمائة إلا أنهـا عدد رائعة و أسلحة محلاة و سروج مذهبة و مسامير[٥] مستحسنة و كانت عدة رجالهم فى كل شينى مائة و خمسين راجلا ، فتكون ثلاثين ألف مقاتل عن مائتى شينى و كانت عدة الطرائد ستا و ثلاثين طريدة تحمل الخيل ، و كانت عدة السفن التى تحمل آلات الحرب و الحصار من الأخشاب الكبار[٦] و غيرها ست سفن ، و كانت

(١) فى الأصل : وفود ، و صحته فى « بن » .
(٢) فى بن : تناوش .
(٣) فى الأصل و بن : الفريقين .
(٤) فى بن : عن .
(٥) فى بن : تشاهير ـ كذا .
(٦) كذا فى الأصل و بن ؛ و فى مسودة المصحح : و الكبارى .

المراكب الحمّالة برسم الأزواد و الرجال أربعين مركبا ، و فيها من الرجال المتفرّقة و غلمان الخيّالة و صنّاع المراكب و أبراج الزّحف و دبّاباته و المنجنيقة[1] ما يتم خمسين ألف راجل . و لما تكاملوا على البر و خارجين على[2] البحر حملوا على المسلمين حملة لم يكن حاضرها من أصحابنا سوى محمود بن البصار[3] فاستشهد[4] فى سبيل الله ، و استتمت الحملة على المسلمين إلى أن أوصلتهم إلى السور و شغل أصحاب ابن البصار[3] به لأن استشهاده كان بسهم جرح ، و حذفت[5] مراكب الفرنج داخل المينا و كانت به[6] من مراكبنا مراكب مقاتلة و مراكب مسافرة ، فسبقتهم أصحابنا إليها فخرقوها ، و غلبوهم على أخذها ، و أحرقوا[7] ما احترق منها ، و فقد من أهل الثغر وقت الحملة مائتا نفر و سبعة[8] نفر ، و استمرّ القتال و دام الاشتعال إلى وقت العشاء من يوم الاثنين المذكور ، و نزلوا بخيامهم و ضربوها على البر ، و كانت عدتها ثلاثمائة خيمة ، و كثر الاهتمام بآلات الحصار و الدبّابات الكبار ، فلمّا أصبحوا يوم الثلاثاء زحفوا

(١) فى الأصل و بن : المنجنيقية .

(٢) فى بن : عن .

(٣) فى الأصل و بن : البصاروا .

(٤) فى بن : فاشتد .

(٥) كذا .

(٦) فى بن : معه .

(٧) فى بن : واحترقوا .

(٨) فى الأصل و بن : سبع - كذا .

و قاتلوا و ضايقوا و تقدّموا و نصبوا ثلاث [٣٨ : ب] دبابات بكباشها و ثلاث مجانيق كبار المقادير تضرب بحجارة استصحبوها[١] من صقلية و تعجب الناس من شدة أثرها و عظم حجرها ، و أمّا الدبّابات فانّها تشبه الأبراج من جفاء أخشابها و ارتفاعها ، و كثرة مقاتلتها و اتساعها ، و زحفوا إلى أن قاربت السور ، و لحوا فى القتال عامّة النهار المذكور ، و وردنا الخبر إلى منزلة العساكر إلى الثغرين إسكندرية و دمياط احترازا عليهما و احتياطا فى أمرهما و خوفا من مخالطة العدو لهما ، و كان الأمير بدر الدين بن أيوب و فارس الدين تمرك أحد المماليك قد سبقا[٢] إلى الإسكندرية برجالهما ، و انضاف إليهما من كان فى أقطاعه بالبحيرة المجاورة للإسكندرية من المغاربة[٣] و غيرهم فى يوم الثلاثاء و الأربعاء ، و عاد بعض عسكر تقى الدين من برقة يوم الأربعاء و استمرّ القتال و قدّمت الدبابات و ضربت المنجنيقات و زاحمت السور إلى أن صارت منه بمقدار اماج ، فاتفق أصحابنا على أن يفتحوا أبوابا قبالتها من السور و يتركوها مغلقة بالقش ، و اجتمع هناك من الأتراك و الأكراد و الكنانيين و أهل الثغر ، و فتحوا الأبواب على غرة[٤] ، و ركب من هناك من الأمراء الخيل و خرجوا غائرين من الأبواب و تكاثر صائح أهل الثغر من كل الجهات ، فأحرقوا الدبابات المنصوبة

(١) فى بن : استحضروها .

(٢) من بن ، و فى الأصل : سبقتا .

(٣) فى بر و بن [٢٤ : الف] : المغاريد . و القراءة الصحيحة هى : المغاربة .

(٤) فى بن : شدة .

و صدقوا

و صدقوا عندها القتال، و أنزل الله على المسلمين النصر و على الكفار الخذلان و القهر، و ما زالت المكافحة بالسيوف و المصافحة و المضاربة من الأيدي المتقاربة إلى وقت العصر من يوم الأربعاء و قد ظهر فشل الإفرنج و رعبهم و قصرت عزائمهم و فتر حربهم و أحرقت آلات قتالهم و استجرهم القتل و الجراح في رجالهم، و دخل المسلمون الثغر لقضاء فريضة الصلاة و أخذ ما [به - ١] يقوم قيام الحياة، و هم على نية المباكرة و العدو على نية الهرب، و كنا قد سيرنا أحد المماليك و هو أقوش فركب فرسا و جنب فرسين فأوقف الثلاثة طاردا و أخذ الرابع من ضيعة و دخل الثغر بعد العصر بعد أن علم كل من لقيه من الأتراك و غيرهم أنه قد فارقنا على المعدية[2] و سبق من بين أيدينا بالبشارة، فارتفعت الضجة و علت، و خرجت الخلائق التي كانت للصلاة و العشاء [3] دخلت، و ثابت[3] إليها عزائمها بعد الكلال[4]، و تداعت رجالنا و قبائل [٣٩ : الف] الثغر إلى القتال، و أوقع الله في قلوب المسلمين و صدورهم و أنا[5] في أواسطهم

(١) « به » ساقط من الأصول.

(٢) « المعدية » يعني فم أو أشتوم (اليوناني ستوما στομα) في بحيرة ادكو بين أبي قير و رشيد؛ انظر مجلة الجمعية الجغرافية الملكية المصرية ج ١٦ (سنة ١٩٢٨) ص ١١٤ - ١٥١، و مجلة الجمعية الملكية لآثار الإسكندرية بالعدد رقم ٣٦ ص ١٢٣ - ١٢٥ (بحثان من قلم اتيين كومب).

(٣ - ٣) في الأصل: و دخلت، و في بن: وخرجت ونابت.

(٤) في بن: الخلال.

(٥) في الأصل: أنا، و قد تكون صحته بواو العطف في « بن » [٢٤ : الف] =

و بين ظهورهم ، و صار الخارج من بيته يروم أن يتسرع ليجاهد بين أيدينا ، و لنرى اثره الذى كان يرجو أن يصل إلينا ، و قضى الأمر ، و نزل النصر ، و أوقعوا الفرنج فى الخيام ، و هاجموهم و قد كاد يختلط الظلام ، و تسلم أهل الثغر الخيام بما فيها من الهمم العالية ، و بتجملاتهم الهائلة ، و فتكوا فى الرجالة أعظم فتك و أوجاه ، و لم ينج منهم إلا من تعرّض دونه أجله فنجّاه ، و تسلّم أصحابنا الخيّالة فلم يسلم إلا من نزع لبسه ، و رمى [فى ـ[1]] البحر نفسه ، و تفرّقت مراكب العدوّ لتلتقط من طلبها عائما من أصحابها ، و نجا نحوها هاربا من طلابها ، فتقحّم أصحابنا البحر على بعض المراكب فخسفوها و أتلفوها فتولّت بقيّة المراكب هاربة ، و جاءت أحكام الله الغالبة ، و بقى العدو بين قتل و غرق ، و أسر و فرق ، و احتمى منهم ثلاثمائة فارس على رأس تلّ[2] و أخذت خيلهم و بات أصحابنا يقاتلونهم إلى بكرة و تماسكوا إلى أن تضاحى النهار على أن يعاطوا أمانا ، فغلب أهل البلد عليهم فقتلوا ، و ممن أسر منهم رجل كبير صاحب حال مشهور الأمر كان قد عمّر من الشوانى خمسين شينيا ، و أما المأخوذ من اليرك[3] و المتاع و المصاغ و الآلات فذكر لنا أنه مما لا مثل له ، و لا يعرف نظيره ،

= و الجملة بها : و أنا بين ظهورهم و فى اوساطهم .

(١) زيد من بن .

(٢) انظر فيما بعده ١٠١ : ب ، ١٠٣ : الف و فيهما إشارة إلى كيمان مدينة الإسكندرية .

(٣) كذا فى الأصل ، و فى « بن » [٢٤ : الف] : البرك ، و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

و لا يوجد لفرنج الشام أيسره ، و أمّا الخيل فانها أكاديش و فحول كلها، و لم يعد معهم فرس واحد منها إلا من كانت له عدة فاقتصر فى النزول على أخذها . و أقلع هذا الأسطول عن الثغر يوم الخميس سلخ ذى الحجة و لا يعلم أين يقصد من البلاد و الأعمال ، على أنه لا بقية فيه لقتال و لا حرب ، و كان عدوا ثقيلا ، و كان خطبه جليلا ، إلا أن أصحابنا ذكروا أن مكيدتهم فى اللقاء ضعيفة ، و طمعتهم فى البلاد قوية . و عند الانتهاء إلى هذا الحد حضر من عقلاء خيّالتهم المأسورين ، استخبروا مرتين[١] من يصدق فيما يخبر، فذكروا أن النفقة كانت فى الفارس لخمسة أشهر و هم ألف فارس ، منهم سبعمائة ، من ثلاثين دينارا إلى خمسة و عشرين مشاهرة ، أقل من فيهم من له خمسون[٢] مثقالا و فيهم من له مائة مثقال من مشاهيرهم مضافا إلى المؤونة الأقطاعية ثلاثمائة رجل ، و إلى التركبلية خمسمائة لكل منهم خمسة [٣٩ : ب] دنانير و مؤونته على ملكهم على أن له فرسا لا يموت ، و منهم من له عشرة دنانير و للقائد و الرائس عشرون[٣] دينارا السفرة طالت أم قصرت مع المؤونة ، و لهم نفقات على البلاد و أن العدد يناهز أربعين ألف رجل خارجا عن جرخية[٤] و سرخندية عدتهم خمسة آلاف رجل و صناع و لهم نفقات تطرح على البلاد التى[٥]

(١) فى الأصل و بن : مرتان ـ كذا .
(٢) فى الأصل و بن : خمسين ـ كذا .
(٣) فى الأصل و بن : عشرين ـ كذا .
(٤) فى بن : سرخية .
(٥) من بن، وفى الأصل : الذى .

يخرجون[١] منها و على الملك مؤونتهم و حقوق[٢]، عدد المراكب مائتا[٣] شيني [٤]و اثنتان و ثمانون[٤] طريدة و غيرها و أن الخيل ألف و خمسمائة فرس، و معهم من المجانيق عشرة و من الدبابات عشر[٥] و معهم من الحديد و الخشب ما يكفى عشرة أبراج[٦] و أن مقدميهم ثلاثة: أحدهم ابن عمّ ملك[٧] صقلية و هو المقدم على جميع عساكره، و الحمد لله الذى رفع بالنصر للاسلام علما، و أحلّهم مع الصيانة حرما، و جعل أشهرهم بالأمن حرما، "و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى" أنهى ذلك و الرأى أعلى[٨] — هذا ما ذكره القاضى الفاضل عبد الرحيم[٩] فى وقعة الصقلى[١٠] وكان مولده سنة ست و عشرين و خمسمائة و وفاته سنة ست و تسعين و خمسمائة.

و أما وقعة دمياط فان الفرنسيس[١١] أتى إليها على ما قيل فى سنة

---

(١) فى الأصل و بن: يخرجوا.

(٢) من بن، و فى الأصل: حقق.

(٣) فى الأصل و بن: مائتى.

(٤ - ٤) فى الأصل و بن: و اثنين و ثمانين.

(٥) فى الأصل وبن: عشرة.

(٦) زيد فى بن: وكانت خيامهم ثلاثمائة خيمة اخذتها بما فيها.

(٧) من بن، و فى الأصل: الملك.

(٨) الجملة من « انهى » الى « اعلى » ساقطة من « بن » و هى كذا فى « بر ».

(٩) زيد فى بن: البيسانى.

(١٠) زيد فى بن: بالاسكندرية.

(١١) على هامش الصفحة: وقعة دمياط. و فى « بن » [٢٤: ب] الجملة: وأما واقعة دمياط فرنسيس أتى إليها.

ست

ست عشرة و ستمائة ، و كان سور دمياط يمشى عليه خمسة من الخيل بعرض حائطه ، فحاصرها الملعون بنصف جيشه ، و النصف الثانى يقاتل من يأتى من مصر ، فلم يقدر عليها إلا بهلاك أهلها بالجوع و الحمى و البرد بسبب طول الحصار حتى قيل : إن الفرنج لم يجدوا فيها من أهلها غير ثمانمائة نفس أحياء و الباقى موتى ، ثم إن الفرنج زحفت بخيلها و رجلها إلى جهة بلد المنصورة القريبة من أشمون الرمان ، فقاتلتهم جيوش مصر قتالا شديدا فصارت عوام المسلمين و الحرافيش يسرون عليهم فى الليل فى معسكرهم معهم خناجرهم يختلسون أسلحتهم و أمتعتهم و يذبحون حتى أنه بلغ كل سيف من سيوفهم الذين اختلسوها منهم بدرهم[1] واحد لكثرة ما أخذوا منها ، فأمر السلطان بحفر بحر المحلة فحفر و دخلت فيه الحراريق كمنت لهم فيه ، فصارت الفرنج تأتى بالميرة من دمياط قاصدين بها أصحابهم الفرنج فيقطع[2] المسلمون عليهم الطريق ويذبحونهم و يأخذون ميرتهم ، و الميرة الطعام[3] ، فجاعت الفرنج المقاتلة بسبب قطعها عنهم ، فلمّا علمت الفرنج المقاتلة أن الميرة انقطعت عنهم ، و رجالهم فى الليل تذبح [٤٠ : الف] و سلاحهم يسرق ، خندقوا على أنفسهم ثلاث خنادق لأن المسلمين حيّروهم وقت راحتهم فى الليل من تعب القتال بالنهار ثم أن خولة الجسور قالوا للسلطان[4] : هذا العدو الثقيل

(١) فى الأصل و بن : درهم ـ كذا .
(٢) فى الأصل و بن : فتقطع .
(٣) زيد هنا فى « بن » [٢٥ الف] : مثل البقسماط و الكعك و ما يؤكل من الأدواء التى جلبوها معهم من بلادهم فجاعت ـ الخ .
(٤) زيد فى بن : الملك الكامل .

ليس له دفع و كسر و خذلان إلا بالغرق فقال: و كيف ذلك؟ قالوا: نكسر عليهم الجسور فى الليل يغرقون[1] سريعا و يهلكون[2] جميعا، فقال[3]: افعلوا[4]، فلمّا كان الليل كسّروها فسال الماء فبينما الفرنج رقود داخل تلك الخنادق الثلاثة و قد كلت أبدانهم[5] من القتال مع قلة الزاد الذى يقتاتون به و إذا بماء النيل ساح عليهم فصار الواحد منهم يركب فرسه لينجو من الغرق فيقع به فرسه فى الخنادق التى احتفروها بأيديهم و المحيطة عليهم المملوءة ماء، فكان هلاكهم فيما فعلته أيديهم، فانقضّت المسلمون عليهم[6] تقتلهم و تأسرهم، فكثر من الفرنج الصياح و العياط، و ما نجا منهم إلا من كان مقيما بدمياط مع من كان له فى أجله فسحة، فسلم من الغرق و قلبه بما شاهد من الغرقى فى فرق، فأسر[7] المسلمون منهم المحتشم و الخسيس، حتى سلطانهم الفرنسيس، فلمّا علم من فى دمياط أن طائفتهم كسرت، و جيوشهم بماء النيل غرقت و أسرت، طلبوا الصلح بأن يسلّموا دمياط للمسلمين، يفدوا[8] بها أصحابهم المأسورين[9]، فصالحهم السلطان

(١) فى بن: فيغرقوا.
(٢) فى بن يهلكوا.
(٣) زيد فى بن: لهم.
(٤) زيد فى بن: ذلك.
(٥) فى بن: ايديهم.
(٦) فى: حينئذ على الناجين من الغرق.
(٧) فى الأصل و بن: فأسرت.
(٨) فى بن: يفادوا.
(٩) زيد فى بن، و كانت عدتهم سبعين الفا.

عليها فتسلّمها[١] المسلمون منهم من غير قتال، ولا حرب ولا نزال، فحينئذ رسم السلطان بهدم سورها فهدم وتردى، ولا صار للفرنج فيها طمع[٢] أبدا، لأنهم لا يؤويهم فيها غير السور، وإذا لم يكن سور لا يحصنهم غير المراكب فى البحر المسجور[٣]، فان هجموها لا يجدوا فيها غير الدور [٤]والشوارع والجرذان واليرابيع[٤]، وذلك لان أهلها إذا رأوا افروطة[٥] قادمة إليهم جمعوا أموالهم[٦] وخرجوا منها سريعا[٦] فيسلموان[٧] من معرّة الفرنج فلا تجد الفرنج فيها ما تأخذه ولا سورا يمتنعون به، وكان الملك الفرنسيس الرجس الخسيس لمّا استأسر قيّد وسُجّن بدار ابن لقمان و[٨]وكّل به طواشيا[٩] يدعى صبيحا[١٠] فصار صبيح يضربه فيستغيث ويصيح ويقول: [١١]ما هذه الذلة التى أوقعتنى فى هذه الوحلة وأورثتنى بعد العزّ الذلة فينقضّ الخادم عليه كالعقاب، ويذيقه أليم العذاب، فصار معه الفرنسيس فى ضيق وحصر والخادم يقول له: أنت كلب والكلب لا يقدر على أخذ

(١) فى الأصل و بن: فتسلمتها - كذا.
(٢) فى الأصل و بن: طمعا - كذا.
(٣) فى بن [٢٥: الف]: البحر الملح.
(٤-٤) فى بن: قائمة و وقع فى الأصل: اليرابع - مكان: اليرابيع - كذا.
(٥) انظر الحاشية السابقة على الورقة ٢٧: الف.
(٦-٦) فى بن: واثاثهم منها جميعا سريعا ويركبون فى شختاتير الصيادين التى لا يقدر مراكب الفرنج تدخلها ....
(٧) من بن، وفى الأصل: فيسلموا.
(٨) زيد من بن.
(٩) كذا فى الأصل وبن.
(١٠) زيد فى بن: عبوسا لا فصيحا.
(١١) زيد فى بن: من شدة الألم.

مصر و صار كلما ضربه صبيح [٤٠ : ب] يقول: أخطأت، لا أعود إن أطلقت[1] من هذه القيود. ثم ان الفرنسيس أطلق بعد أن قرّر عليه جزية يحملها فى كل سنة لسلطان مصر، فقال: بل أحملها على سبيل الهدية لئلا تعنّفنى بارسال الجزية نصارى الرومانية لما فيها من الذلة[2] و إخراق سياج المملكة النصرانية، فلمّا انطلق الفرنسيس من وثاقه، و مضى إلى بلاده منع ذلك[3] بنفاقه، و داخله الوسواس[4] وخطر بباله العودة إلى مصر فى غير زيادة النيل ليسلم من هذه المكيدة التى لم تكن له فى حساب و لا خطرت له على بال و هى كسر الجسور [5]عليه فى ذلك الأوان[5]، حتى[6] حل[7] بدار ابن لقمان فى أسر صبيح غير مستريح فأتى الخبر لمصر بذلك فأمر السلطان بأن يكتب له كتابا يعرفه فيه بأسره فى سالف الزمان، و سجنه بدار ابن لقمان و القيد برجليه، و صبيح يضربه و يبصق عليه، فكتب له كتابا يتضمن ما اتفق له بمصر و فيه أبيات[8] من الشعر و هى[9]:

(١) من بن، وفى الأصل: انطلقت – كذا.

(٢) زيد فى بن: المنكبة.

(٣) زيد فى بن: بكفره.

(٤) زيد فى بن: الخناس.

(٥–٥) فى بن: التى غرق ... عند ذلك الابان.

(٦) زيد فى بن: اسر و قيد.

(٧) فى بن: وجعل.

(٨) من بن، و فى الأصل: ابياتا – كذا.

(٩) هذه قصيدة طويلة مشهورة و مؤلفها الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح – راجع فى ذلك كتاب السلوك للمقريزى (ص ٣٦٣ – ٣٦٤)، أو ابن شاكر =

قال

قل للفرنسيس إذا جئته   مقال صدق عن لسان فصيح
أخزاك[1] ألله على ما جرى   من قتل عُبّادِ يسوع المسيح
أتيت مصرا تبتغي ملكها   حسبت أن الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين على أدهم   ضاق به عن ساعديه الفسيح
تسعون ألفا لا يرى منهم   إلا غريقا أو قتيلا طريح
إن كان باباكم بذا راضيا   فربّ غشّ قد أتى من نصيح
فقل لهم أن اضمروا عودة   لأخذ ثار أو لقصد قبيح
دار ابن لقمان على حالها   و القيد باق[2] و الطواشي صبيح

فلمّا وقف عليها الفرنسيس تذكر ما جرى عليه من اللجاجة فارتعب و قال: ما[3] لنا بدار ابن لقمان من حاجة . ثم لحقه لتذكره الدار[4] الطيش فانفلّ عنه[5] الجيش ، فقال: إقامتي بمملكتي خير لى من غزوتى[6] .

= الكتبى فى فوات الوفيات (ج ١ ص ٨٣ - ١٠٦/٨٤ - ١٠٨) .

(١) من بن ، و فى الأصل : اجرك .

(٢) فى الأصل و بن : باقى - كذا .

(٣) فى بن : ليس .

(٤) فى بن : للدار .

(٥) فى بن : منه .

(٦) زيد على هذا القول فى بن [٢٥ : ب] : « الرأى الصحيح المعاشر الصبيح - انتهى » . و سقوط العبارة من بر أصح و لكن ورد هنا فى بن [٢٥ : ب - ٢٦ : الف] ما لم يرد فى بن من مستطردات المؤلف ما يلى : « فلنذكر الآن ما جاء فى فضل المرابطة بدمياط . . . المرابطة بدمياط فيها فضل =

و أما وقعة القبرسى[1] فسيأتى ذكرها مفصلا إن شاء الله تعالى. فلنرجع إلى ملحمة الباجربقى :

حتى بنى أصفر قد قام قائمها يا ويح شام من الأوجال و المحن

قال أبو عبيد القرطبي فى كتاب المسالك و الممالك : إن بنى الأصفر من الأصفر بن نفرايم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. و ولد لعيصو ثلاثون ولدا منهم الأصفر فنسل الأصفر[2] فصاروا بنو الأصفر

= كبير ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة الجن : عليكم السلام و رحمة الله و بركاته قال قلنا يارسول الله على من تسلم ؟ قال على من تحصن من المرابطين بدمياط بلد لها قدر ، قال اللهم ارزقهم بركة عن يمينهم و شمالهم فى أمن من الدنيا ليس لهم عدو إلا علج أو علجة ، قال قلنا : يارسول الله أيهما أفضل الرباط بعسقلان (أم) بالاسكندرية أم بدمياط قال اتدرى يا ابن عباس لم سميت دمياط ، قلنا الله ورسوله اعلم ، قال .... عليه الصحف كان اول ما انزل عليه فيها انا الله ذوالجبروت انا مدبر المدبرين بأمر ... العذب و الملح و الثلج و النار كل ذلك بعلمى ليتم بذلك الدال و الميم و الطاء : قال ابو الحسن دمط بالسريانية دمط معناه قدرتى . وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز و جل سيفتح لكم ثغرا هو بلد القدرة يسكن فيه الأوابون من امتى رباط ليلة فيه كعبادة الف شهر هو بلد القدرة للمحتسب فيه نفسه . قال و ما بلد القدرة يا رسول الله ، قال بلد الدال والميم و الطاء . وسيأتى خبر فتحها بسيوف الصحابة ان شاء الله تعالى . وسيأتى ايضا ماجاء فى فضل المرابطة بالإسكندرية ان شاء الله تعالى » .

(١) فى بن [٢٦ : الف] : واما وقعة الإسكندرية فيأتى ذكرها .

(٢) « فنسل الأصفر » ساقطة من بن .

ملوك [٤١ : الف] الروم و منهم الإسكندر فى قول بعضهم ، و من عجيب ما ذكر فى نسب الإسكندر أنه من ولد دارا الأكبر فهو أخو دارا الأصغر ، و ذلك أن دارا الأكبر تزوج بنت ملك الزنج هلانى ، فلما حملت إليه استخبث ريحها فأمر أن يحتال لذلك ، فكانت تغتسل بماء السندروس فأذهب ذلك كثيرا من ذفرها[1] ، ثم عافها و ردّها إلى أهلها و قد علقت منه بالإسكندر فقيل له : الإسكندروس ، و قد اختلف فى مدته ، فذكر الخوارزمى فى تاريخه أنه قبل الهجرة النبوية بتسعمائة سنة و ثلاث و ثلاثين سنة . و ذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف أن بينه و بين الهجرة أربعمائة سنة ، و كان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا و تسع سنين بعد قتله لدارا ، و ملك و هو ابن إحدى و عشرين سنة و ذلك بمقدونية و هى مصر ، و مات و هو ابن ست و ثلاثين سنة ، و سيأتى فى رواية أخرى أنه ملك و هو ابن تسع سنين - انتهى[2] .

(١) فى بن : زفرها .

(٢) زيد هنا فى بن [٣٦ : الف] : و ملك من ابن العيص ملك يقال له طبراناس بن بكلاكون بلاد الروم جميعا و كان اول من بنى بيته فى بلاد رومية الكبرى و فتحت له المطالب واثر فى الأرض العجائب وانه دعته نفسه بفتح جميع الأرض لكثرة الأموال التى وجدها فانتهى فتحه الى بلبقية (!!) وسرقسية و كان له ولد اسمه اسطنبول فقال لأبيه طبراناس اريد ابنى ههنا مدينة اذكر بها فقال افعل و امده بالأموال والرجال فبناها و عمل دور سورها ست فراسخ و سماها باسمه ثم ملك . . . و لدا اسمه قسطنطين فكمل بناءها فسميت باسمين احدهما اسطنبول على اسم ابيه و اسم الآخر على اسم والده فقيل لها قسطنطينية - اسطنبول - انتهى» .

نعود إلى خبر عيصو و كان منزل عيصو بالشام فكثر ولده و صاروا إلى البحر و ناحية الإسكندرية و غلبوا الكنعانيين . و قيل : إن العيص سمى آدم لأدمته و صفرته ، و لذلك سمى ولده بنى[1] الأصفر . و قيل : إن زنجيا غلب على الروم فى الزمن الأول فنكح فيهم فولد أولاده صفرا[2] فسمى الروم بنى الأصفر . قال ابن الأنبارى : و إنما قيل للروم بنو[3] الأصفر ، لأن حبشيا غلب على ناحيتهم فى بعض الدهور فوطئ[4] نساء منهم فولدن[4] أولادا[5] فيهن من بياض الروم و سواد الحبشة فنسب الروم إلى الأصفر لذلك .

و لما حضر أبو سفيان صخر بن حرب عند هرقل ملك الروم[6] و سأله عن النبى صلى الله عليه و سلم ، و ذكر أبو سفيان ما صدق فيه عنده[7] ، فقال له هرقل : ذكرت أنه يأمركم بالصلاة و الصدق و العفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ! و قد كنت أعلم أنه خارج و لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخلص منكم له لتجشمت

(١) فى الأصل و بن : بنو .
(٢) زيد فى بن : بسبب سواده و بياض الروميات .
(٣) من بن ، وفى الأصل : بنى .
(٤) فى الهامش : بنى الأصفر .
(٥) من بن ، و فى الأصل : اولاد ـ كذا .
(٦) زيد هنا فى بن [٢٦ : ب] بأنطاكية .
(٧) زيد فى بن : من خبر النبى صلى الله عليه و سلم .

لقاءه! و لو كنت عنده لغسلت عن قدميه! فقال أبو سفيان لأصحابه[١] بعد خروجهم من عند هرقل و كان إذ ذاك مشركا: لقد صار أمر [ابن -[٢]] أبي كبشة[٣] أنه يخافه ملك بني الأصفر[٤]. قال أبو الحسن النسابة في معنى نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أبي كبشة قال: إنما كان تدعوه العرب[٥] بذلك و تغير [٤١: ب] اسمه عداوة إذ لم يمكنهم[٦] الطعن في نسبه المهذب - صلوات الله عليه.

كان وهب بن عبد مناف بن زهرة أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه و سلم يدعى أبا كبشة، و كان عمرو بن زيد بن أسد أبو سلمى أم[٧] عبد المطلب بن هاشم يدعى أبا كبشة، و كان[٨] أخوه من الرضاعة يدعى أبا كبشة و هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي. و قال ابن قتيبة: إنما نسب النبي صلى الله عليه و سلم إلى أبي كبشة و هو[٩] بعض أجداده

(١) زيد في بن: من.

(٢) زيد من بن.

(٣) في الهامش: لم سمي عليه السلام ابن أبي كبشة.

(٤) زيد في بن: قال المؤلف رحمه الله وسأذكر الآن ما قيل في ابي كبشة.

(٥) من بن، و في الأصل: المشركون.

(٦) في بن: لم يمكن.

(٧) في بن: ابن - كذا.

(٨) زيد في بن: في اجداده من قبل امه ابو كبشة و.

(٩) من بن، و في الأصل: معه.

لأمه لأنه رجل عبد الشعرى و لم تعرف العرب عبادة الشعرى لأحد قبله و جعلوا فعله شذوذا فى الدين، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بما لا يعرفونه فى دينهم و لا دين آبائهم و شذّ عنهم فى ترك عبادة الأوثان و دعا إلى دين الله تعالى و دين إبراهيم عليه السلام شبهوه بأبى كبشة فى عبادة الشعرى - انتهى[1] .

---

(١) زيد هنا فى بن [٢٦ : ب] ما يلى : و لما فتح (فى بن : فتحت - كذا) المسلمون مدينة اعزار من الشام قام مالك الأشتر فمشى فى الحصن فتقدم فرأى مقدم الرؤس داريس مقتولا فقال قتل هذا اللعين، قال لاون ابنه قتله أخى اوقا وهو أكبر منى سنا، فأمر مالك باحضاره و قال قتلته ... و ما سمعنا والدا قط قتل أباه سواك، فقال حملتنى على قتله محبة دين الإسلام و ذلك أن [فى] هذا المصر قسا من المعمرين كنا نقرأ عليه الإنجيل يعلمنا بقلم الروم و انى فى بعض الأيام [كنت عنده] ... ليس عنده سواى فقلت له يا أبا المنذر ألا ترى الى بلاد الشام كيف استولت عليها العرب المسلمون الحجازيون و ملكوا أكثرها و هزموا جيوش الملك هرقل و ما كنا نظن أن العرب [تقدر] على ذلك لأنه ليس فى الأمم أضعف منهم و أن الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت فى كتب الروم اليونانيين شيئا، فقال يا بنى نعم قرأت ذلك و لقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الأمر و البطارقة و غيرهم و أخبرهم أن العرب لا بد أن يملكوا ما تحت قدمى هاتين .. نبى القوم أنه قال : زويت لى الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها .... فقلت له يا أبانا فما تقول فى نبى القوم فقال يا بنى فى كتابنا ان الله تعالى يبعث نبيا من حجاز قد بشر به المسيح و لا ندرى أهو هذا أم لا. فعلمت انه كتم على الأمر، مخافة أن أذيعه عنه فكتمت الأمر إلى البارحة فلما رأيت يوقنا صاحب قلعة حلب و أصحابه أسرى قلت ان يوقنا قتل أخاه يوحنا لما نصحه و أمره بالإسلام و عاند العرب و قاتلهم ثم رجع الى دينهم وما [٢٧ : الف] ذاك الا انه علم الحق مع هؤلاء =

نعود — و قيل : سميت الروم بنى الأصفر؛ لأن ملك الحبشة أهدى لقيصر ملك الروم ابنته الحبشية، و هى على سواد لونها من أجمل النساء صورة و شكلا فى عصرها و زمانها؛ فواقعها قيصر فولدت له ولدا أصفر اللون فكبر و تزوج و نسل، فأطلق على الروم هذا الاسم فقيل لهم: بنو الأصفر.

و سأذكر[1] ما قيل فى أجناس النساء من الأشعار و غير ذلك: اعلم أن كل جنس من الجنوس لا يخلو من الجمال الفائق، و الحسن البديع الرائق؛ ففى الحبشيات[2] من هى فى طيب المخبر، كنفحة[3] المسك و العنبر[4]، و ذلك من السواد اللامع و الجسم الناعم [5]و الريح الطيب[5]، فتلك التى تشتهيها النفوس، و يرغب فيها الرئيس و المرؤوس، من بين سائر الجنوس، و لله در القائل حيث يقول:

و لى حبشيـــة سلبت فؤادى فنفسى لا تميـــل إلى سواها

= العرب. فقلت أقتل أبى و أخلص يوقنا من أسر أبى له بسبب اسلامه و أرجع الى دين محمد، فلما نام أبى و هو ثمل من الخمر قتلته و أنا اقول أشهد ان لا اله الا الله و اشهد ان محمدا رسول الله. قال مالك الأشتر عند ذلك قبلك الله و وفقك للخير — انتهى. نعود و قيل سميت الروم — الخ».

(١) فى الهامش: مدح فى النساء.

(٢) فى الهامش: الحبوش.

(٣) فى بن: كنفح.

(٤) زيد فى بن: و ذلك كالشهد و السكر.

(٥ — ٥) فى بن: من سلامة النعمة و رخامة النسمة و نفحة الطيب و الكلام المشابه (فى بن: المشابهة — كذا) لنغمة البلبل و العنادليب.

كأنّ لعوطها[1] طرق ثلاث تميل[2] به النفوس إلى هواها

و شبّه بعضهم امرأة سمراء بالهلال فقال:

ما يضر الهلال فى حندس الليـ ـل سواد السحاب و هو جميل

و مدح بعضهم سمراء فقال:

سمراء قد أزرت بكل أسمر بلونها و لينها و قدّها
أنفاسها دخان ندّ خالها و ريقها من ماء ورد فمها[3]
لو كتب البدر إلى خدمتها ملطّفا ترجمه بعبدها

و مدح بعضهم السمر فقال [٤٢ : الف]:

و فى السمر معنى لو علمت بيانه لما عاينت عيناك بيضا و لا حمرا
ليانة أعطافٍ و غُنج لواحظ تُعلّم هاروتَ الكهانةَ و السّحرا
و لولا سواد الخال فى خد أبيض لما عَلِم العشّاق يوما له قدرا

و مدح بعضهم امرأة سوداء فقال:

لام[4] العواذل فى سوداء فاحمة للونها بسواد العين تمثال
و هام بالخال أقوام و ما علموا أنى هويت غزالا كله خال

و لبعضهم و كان مجونا بامرأة سوداء:

أحبّ لحبّها السودان حتّى أحبّ لحبّها سُود الكلاب

(١) فى بن: خطوطها.
(٢) فى بن: تسير.
(٣) فى بن: خدها.
(٤) فى الأصل: لاموا – كذا، و فى بن مطموس.

و لبعضهم فى معناه:

و أحبّها و أحبّ منزلها الذى   تنزِلُ به و أحبّ أهل المنزل

اشترى بعضهم جارية حبشية فلم تزل عنده إلى أن صار شيخا فكان إذا خاصمها عيّرها بالسواد فتعيره[١] أيضا بالشيخوخة[٢] فأنشأ يقول:

و جارية من بنات الحبو   ش ذات جفون[٣] صحاح عراض

تعشقتها للتصابى فشبت   غراما و لم أك بالشيب راضى

و كنت أعيّرها بالسواد   فصارت تعيّرنى بالبياض

و كان لبعض المشايخ الطاعنين فى السن جارية حبشية فخاصمها يوما فقال لها: غدا أشترى جارية بيضاء أحسن منك يا سوداء! فقالت له: أشترى قبلها آلة شديدة[٤] ترضيها بها[٥] لئلا تعيرك كما أعلمه منك،[٦] كم أريد أسرّك و أنت تأبى إلا فضيحة نفسك! ثم أنشدت تقول:

لو لم يكن السواد   أعزّ ما فى العباد

ما كان وسط الناظر   و فى صميم الفؤاد

فكان كلامها[٧] مسكتا لجوابه و مع ذلك حيرته و بخته و مدحت نفسها و هجته فخجل منها و سكت.

---

(١) زيد فى بن: هى.
(٢) فى بن: ببياض لحيته.
(٣) فى بن: اجفان - كذا و لا يستقيم به الوزن.
(٤) زيد فى بن: القوة.
(٥) من بن، و فى الأصل: به - كذا.
(٦) زيد فى بن: ثم قالت.
(٧) زيد فى بن: ذلك.

عن يحيي بن أكثم قال: تذاكروا الألوان عند الرشيد فقال بعضهم: أحسنها البياض، وقال آخر: أحسنها الخضرة فى لون الجنة، وقال آخر: أحسنها لون الذهب، ومحمد بن الحسن ساكت فقال له الرشيد: فلم لم تتكلم؟ فقال: لو كان صبغ أحسن من السواد لكتب به كتب الله المنزلة، فاستحسن الرشيد قوله ووصله بصلة من بينهم.

ولبعضهم يذم رجلاً[1] يهوى سوداء:

شكا لى صديق حبّ سوداء أغريت بمص لسان لا تمل له وردا
فقلت له دعها تداوم مصه فماء لسان الثور ينفع للسودا [٤٢: ب]

وهجا بعضهم محبا[2] لسوداء فقال:

عجبت لمن فى الحب قد هام فى سودا وما ذاك إلا أن يكون به السودا
خصائلها عند الكرام ذميمة ويشبه ابن الحر من بطنها العبدا

قوله: هام، من الهيام وهو فى الأصل داء يأخذ الإبل من العطش مشبه بالجنون فهو كالهيام العارض أى عطش إلى لقاء المحبوب. وقيل لأسود: ما اسمك؟ قال: عنبر، قيل وما صنعتك؟ قال كناف، قيل له: تصنع الكنافة[3] قال: لا، بل أكنف المراحيض، قيل له: كل شيء كسبته فى الاسم خسرته فى الصنعة. وهجا بعضهم رجلا يحب سوداء وصفها له[4] فقال:

لصديق لنا صديقة سوء رحم الله من لحاه عليها

---

(١) كذا، وقع فى الأصل و بن: رجل.
(٢) سقط من بن، و وقع فى الأصل: محب ـ كذا.
(٣) فى بن: الأكناف.
(٤) فى بن: فى هجوه.

يقبل الليل حين تقبل لو لا — وضح فى سواد سالفتيها[1]
شفتاها غليظتان و لكن — جعل الانضمام فى شفريها
رب فأر و خنفسا قد أثيرا — [2]من خلال[2] الشقاق فى قدميها
و صحيح مسلم صرعته — نفحات الصنان من إبطيها

تزوّج رجل أسود اللون طبّال امرأة بيضاء فقال بعضهم فيه[3]:

أيها الطبّال طبل — أى عرس و عروس
أىّ صبح تحت ذيل — و دجى فوق شموس
يا فتاة العاج يهنيـ — ـك فتى كالأبنوس

و قال كشاجم يهجو سوداء:

يا مشبها فى فعله لونه — لم تعد ما أوجبت القسمة
خُلقك من خَلقك مستخرج — و الظلم مشتق من الظلمة

و قال بعضهم يهجو[4] خادما:

قطعوا مذاكره بحد واجب — لما دروا برداوة فى أصله
لو أنهم تركوه فحلا قائما — ملأ الوجود أراذلا من نسله

و قد ذكر جالينوس: فى الأسود عشر[5] خصال لا توجد فى غيره و اجتمعت فيه: تفلفل الشعر و خفة الحاجبين و انتشار المنخرين و غلظ الشفتين و تحدد الأسنان و طول الذكر و كثرة الطرب، فكثرة طربه

(١) فى بن: سالفيها.
(٢ – ٢) فى الأصل و بن: فى خلاف.
(٣) فى بن: فيهما.
(٤) فى الهامش: هو فى طواشى، عشر خصال توجد فى الأسود لا فى غيره.
(٥) فى الأصل و بن: عشرة.

لفساد دماغه فضعف لذلك عقله، و لما حمى موضعه و منشؤه جذبت الرطوبات إلى أعلاه فأهدلت [٤٣ : الف] شفته و قصرت أنفه و عظمته و أشالت رأسه، فخالف بذلك مزاج دماغه عن الاعتدال، فلم تقدر النفس على إظهار فعلها منه كاملا .

و قد كان طاووس اليمانى لا يأكل ذبيحة الزنجى و يقول: هو عبد مشوّه الخلق . و كان أمير المؤمنين الراضى بالله لا يتناول شيئا من أسود . و قد يكون أنف الأسود منتشرا ، و قد يكون أيضا عاليا ، و قد يكون مبوّقا واسعا . قال الشاعر فى مأنوف[1]:

مأذنة الجامع فى أنفه   كالاصبع الناحل فى الخاتم
لو دخل العالم فى أنفه   أصبحت الدنيا بلا عالم

و قال بعضهم فى محبته لسوداء:

قيل لى لم عشقت ظلمة ليل   و تجنبت عن بدوز الشموس
قلت قلبى يحب ألوان مسك   وانضجاعى ما بين خز وسوس
و ثنايا كلؤلؤ فى عقيق   و نهود شبيهة الابنوس

و مدح بعضهم سوداء فقال:

أشبهك المسك و أشبهته   قائمة فى لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد   إنكما من طينة واحدة - انتهى .

[2]فلنذكر البدويات و ما قيل فيهن و العربان ذوى الكرم و الإحسان - أما

(١) فى بن: معنى ذلك .

(٢) فى بن: فلنذكر ما قيل فى البدويات الزينات و العربيات الفاتنات و ما قال (فى بن: قالت - كذا) فيهن عاشقهن من غلبة الهوى و المنى و النوى، قال بعضهم .

البدويات ففيهن الزينات قال الشاعر فيهن:

يا عيون البدويات التى جعلت بالهدب للخد لثاما
اجعلينى دون صحبى غرضا إن رمت [١]أجفان عينيك[١] السهاما

و قال أيضا:

عرب بجدها قد قتلتم فريقا و فريقا ما زلتم تهجرونا
مات من هجركم سمير هواكم فاطلبوا اليوم سامرا تهجرونا

و كان الشيخ أبو العباس المرسى كثيرا ما ينشد:

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الوصل ما إليه سبيل
فدواعى الهوى تخفّ علينا و خلاف الهوى علينا ثقيل

و كان ينشد للسهروردى:

أبدا تحنّ إليكم الأرواح و وصالكم ريحانها و الراح
و قلوب أهل ودادكم تشتاقكم و إلى كمال جمالكم ترتاح
[٤٣:ب] يا رحمة للعاشقين تحمّلوا ثقل المحبّة و الهوى فضاح
بالسرّ إن باحوا تباح دماؤهم[٢] وكذا دماء البائحين تباح

و من عادة العرب حمى النزيل قال الشاعر:

و للأعاريب عادات عرفن بها حمى النزيل إذا ما عزّ ناصره

و من عادة العرب أيضا إكرام نزيلهم، قال الشاعر:

عرب متى حلّ النزيل بحيهم شملته منه خفارة و ذمام

(١ - ١) فى بن: اجفانك.
(٢) فى بن: دماؤكم.

سنّوا المكارم للأكارم بالندا فلهم على نهج الهدى إقدام
ظفروا بأبكار العلا فبنوا بها فتمخّضت بالمجـــد و هى عقام

و كان الهوى[1] غالبا على بنى عذرة و قد شاع فيهم حتى ذكرتهم الشعراء فى أشعارها فمن ذلك البوصيرى فى قصيدة البردة :

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة منى إليك و لو أنصفت لم تلم

و قيل : الهوى العذرى الذى يقبل عذر صاحبه لما نظر عليـه من علائم الحب قال الشاعر :

و عذر الهوى العذرى بين جفونها إذا هى لامت عاشقيها يلومها
فكم مهج قد أصبحت تشتكى الهوى و قاضى الغرام الحاجرى غريمها

و قال عبد اللطيف التكريتى :

يا دار عزّة من للواله الباكى بنـــظرة يتملى من محيّـاك
أضحى الخزام ونبت الأرض[3] منه سرى به النسيم عبيرا حين وافاك
كم ليلة بات طرفى ساهرا قلقا يرعى النجوم و ليس القصد إلّاك
ما هب من أيمن الوادى نسيم صبا إلّا و كان الهوى العذرى يمناك

قال عمران[4] بن الحسن رحمه الله ركبت البحر الملح فى سفينة فانكسرت فخرجت أنا و زوجتى على لوح واحـــد فأخذها الطلق فوضعت بنتا ثم قالت : يا عمران ! إن العطش قد لحقنى و قتلنى ، فقلت لها : نحن فى حمى

(١) فى بن : فلنذكر الآن ما قيل فى هوى الناس .
(٢) فى الهامش : الهوى العذرى .
(٣) « الأرض » ساقطة من الأصل .
(٤) فى الهامش : نكتة .

من يرانا ، قال فسمعت حسا فوقى فرفعت رأسى فاذا أنا برجل و هومتربّع فى الهواء بين السماء و الأرض و بيده سلسلة من ذهب فيها كوز من الياقوت معلّق ، فقال لى : هاكا أشربا ، فشربنا من ذلك الكوز ماء طيبا عطرا ، فقلت له : يا هذا من الملائكة أنت ؟ قال : لا ، قلت : من الجن ؟ قال : لا ، قلت : من الإنس ؟ قال : [٤٤ : الف] نعم ، فقلت له : بم وصلت إلى هذا المقام ؟ قال : أنا رجل تركت له الهوى فأجلسنى فى الهواء ، فقلت له : انظر حالنا و ما نحن فيه ، فقال : أبشروا بالسلامة ! فلم يزل اللوح يسير بنا و الأمواج تضربه إلى أن وصلنا إلى الساحل . قال الشبلى : مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت له : أنت عليل ؟ فقال : نعم ، قلت : منذ كم ؟ قال : منذ عرفت نفسى ، قلت : فتداوى ؟ فقال : قد أعيانى الدواء و قد عزمت على الكى ، قلت : و ما الكى ؟ قال : مخالفة الهوى و أنشد :

إذا ما دعتك النفس يوما لحاجة و كان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنّما هواها عدو و الخلاف صديق

فالهوى[١] بالقصر الحب و بالمد فهو النسيم النافح و اللوم العذل ، و قيل : نسب الهوى العذرى إلى بنى عذرة لرقّة نفوسهم و عفّتهم . فقد قيل إنّه سئل رجل من بنى عذرة : ممن أنت ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا ، فقيل : و لم ذلك ؟ فقال : لأن فى نسائنا صباحة و فى فتياننا عفّة ، فقيل : يا أخا العرب ! فما الحب عندكم ؟ فقال : أعين تتلاحظ و ألسن تتلافظ و عدات تقتضى و إشارات تدل على السخط و الرضى ، فقيل : أين أنت

(١) فى الهامش : الهوى .

مما قال الشاعر؟ فقال: و ما قال؟ قال: قال:

رأيت الحب ليس له دواء　　سوى وضع البطون على البطون
و طعن تدمع العينان منه　　و أخذ بالمناكب و القرون

أي قرون الشعر، فقال: ذلك طلب الولد، إذا وقع فيه ما ذكرت فسد، وأنشد:

ما يعلم الشوق إلاّ من يكابده　　و لا الصبابة إلاّ من يعانيها

أما سمعت قول مجنون ليلى:

أحبك يا ليلى على غير ريبة　　عليه جميع المصعبات تهون
له عبرة تهمي و نيران قلبه　　و أجفانه تذرى الدموع عيون
فيا ليت أن الموت يأتي معجّلا　　على أن عشق الغانيات منون

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر[1] المجنون و ما قاسى في هوى ليلى من الفتون حتى سمى «المجنون»[2] و كذا عروة بن جزام العذرى قاسى فى هوى عفراء من المحنة ما أورثه الفتنة و هو القائل فيها:

خليلى من عليا هلال بن عامر[3]　　بصنعاء عوجا اليوم فانتظرانى[4]
[٤٤ب] و لا تزهدا في الذخر عندى وأجملا　　فانكما بى اليوم مبتليان
ألم تعلما أن ليس بالمرج كله　　أخ و صديق صالح يكلان

(١) زيد في بن: قيس.
(٢) في بن: بالمجنون.
(٣) انظر الأغانى (طبعة الساسى) ج ٢٠ ص ١٥١ و ١٥٢، ١٥٥ و فيه أجزاء أخرى من القصيدة.
(٤) و في الأغانى: و انتظرانى، و وقع فى الأصل: فانتظرآن ـ كذا، و لم نظفر بالأبيات فى بن.

ألا

ألا فاحملاني بارك الله فيكما   إلى حاضر الزوراء ثم ذراني
على أحد الأصلاب واهية الكلى   نقطّع منها البيد بالوخدان
ألما على عفراء إنكما غـــدا   يوشك النوى والبين معترفان
متى تضعا عني القميص تبينا   بي السقم من عفراء يا فتيان
لقد تركت عفراء قلبي كأنه   جناح غراب دائم الخفقان
أكلف من عفراء ما ليس لي به   ولا للجبال الراسيات يدان
وقد تركتني ما أعي لمحدث   حديثا ولو ناجيته ودعاني
وإنّي[1] لأهوى الحشر لو قيل إنّني   وعفراء يوم الحشر نلتقيان
ولو أن عيني ذي هوى فاضتا دما   لفاضت دما عيناي تبتدران
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى   من الناس بعد اليأس يلتقيان
فيقضي محب من حبيب لبانة   ويكلاهما ربي فلا يريان
ألا ياغرابَيْ دِمْنَة الدار بيننا   أبالهجر من عفراء تنتحبان
فإن كان حقا ما تقولان فانهضا   بلحمي إلى وكريكما فكُلان
ولا يعلمنّ الناس ما كان بيننا   ولا يطعمنّ الطير ما تذران
أناسية عفراء وصلي بعد ما   تركتِ له[2] ذكرا بكل مكان
أعفراء كم من عبرة أنت هجتها   وأذريت دمع العين بالهملان
ألا لعن الله الوشاة وقولهم   فلانة أضحت خلة لفلان
يكلفني عمي ثلاثين بكـــرة   وما لي يا عفراء غير ثمان
فيا ليت عمي يوم فرق بيننا   وضج لوشك الفرقة الصُرَدان

(١) وقع في الأصل: انى - كذا محرفا. (٢) في الأصل: لها، وهو جائز أيضا.

ألا ليتنا عفراء من غير ريبة   بعيران نرعى البهم مؤتلفان
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله   و قال بعيرا غرة جربان
ألا ليتنا نحيا جميعا و ليتنا   إذا نحن متنا ضمنا كفنان

قوله: نرعى البهم مؤتلفان . البهم صغار الضأن ، قال قيس المجنون :

تعلقت ليلى و هي غر صغيرة   و لم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا   إلى اليوم لم نكبر و لم تكبر البهم

[٤٥ : الف] و قال بعضهم فى شكوى الهوى :

ألا من يطارحنى فى الهوى   فأشكو إليه و يشكو إلىّ
و نذكر قصتنا فى الهوى   فأبكى عليه و يبكى علىّ
و يسعدنى بدما مُقلتيه   و أسعده بدما مقلتى
فقد طال حزنى و لا مؤنس   أناديه من شجنى يا أخى
تقضى زمانى فوا حسرتى   و ما لى من داء قلبى دوى
ألا هل معين ألا مسعد   ألا راحم لقتيل الهوى
فآوه أوآه من لوعتى   أموت و فى القلب ذاك الجوى
فيا صاحبى اندبا و اندبا   قتيل المحبة يا صاحبىّ
و نوحا على من مضى عمره   و ما فاز من أهل نجد بشىّ
فيا أهل ودّى ألا رحمة   ألا عطفة أهل ودّى على
فهجركم قد أذاب الحشى   و قلبى كواه الجفا أى كى
أموت بحبكم حسرة   و لا تنظروا أهل ودّى إلى
فوا حسرتى أترى هل أرى   بعينىّ يوما دارا[١] لِمَىّ

(١) كذا و به لا يستقيم الوزن ـ و لعله: ديارا .

و أصبح من بعد موت الجفا ... يبعث التواصل فى الحىّ حىّ

و قال عبد الرزّاق العامرى فى مغازلة أحبابه :

غازلت غزلانكم يا أهل كاظمة ... و آفة العاشق الغزلان و الغزل
شغلتم ناظرى عن غيركم بكم ... و ليس لى بسواكم غيركم شغل

و قال بعضهم فى رحيل أحبّته عنه :

أناخوا جمالا و حازوا جمالا ... أظن الأحبّة راموا ارتحالا
و قد حملوا البدر فى هودج ... على ظهر بكر و ساروا شمالا
و من بقر الوحش أنسيّة ... على ظهر نهد تشوق الغزالا
فساروا على عجل إذ نأوا ... و خلّوا بقلبى حمولا ثقالا
فصبر جميل على سيرهم ... غزال بعينيه فاق الغزالا

و قال الملك[1] شاهنشاه صاحب حماة فى ديوانه المشهور :

أراها عن الجزع تبغى عدولا[2] ... و كانت تمنّى إليه الوصولا
و ما ذاك إلّا لأنّ سعا ... د[3] قد أزمعت عن رباه محيلا
[٤٥:ب] أطعتُ الغواية فى حبّها ... غراما بها و عصيتُ العذولا
و ما ذا على سائق اليعملا ... ت لو عطف العيس نحوى قليلا
لعلى أخالسها نظرة ... لتشفى فؤادا سقيما عليلا
و انظر من بين سجف الحدو ... ج طرفا كحيلا و خدّا أسيلا[4]

---

(١) زيد فى بن : الأمجد .
(٢) فى بن : العذولا .
(٣) فى بن : سعادا .
(٤) فى بن : صقيلا .

و لبعضهم :

يا راكب الوجناء فى جنح الدجى   يطوى الفلاة و قصده أم القرى
إياك أن ترد العُذيب فدونه   حتى تُباع به النفوس و تُشترى
عربٌ تُخال إذا حللت بأرضهم   نيل المراد و دونه أُسد الشرى[1]
أتروم وصل عُريب وادى المنحنى   و يغرك[2] الأطماع فيما لا يُرى
كم مُدّع سلك الطريق إليهم   جهلا بمسلكه فعاد القهقرى
يا عاذلى كفّ الملام فانّ لى   قلبا يرى فى حبّهم[3] ما لا ترى
من رام فى شرع المحبّة مطلبا   و رأى المنيّة مهلكا فقد افترى

و لبعضهم فى بدوية :

و لما اجتمعنا و النوى و رقيبنا   غفولان عنّا ظلتُ أبكى و تَبسَمُ
فلم أر بدرا طالعا قبل وجهها   و لم أر مثلى ميّتا يتكلّمُ

و قال العفيف التلمسانى :

عُريب الحىّ[4] قلبى فى هواكم   نزيل فى دياركم غريبُ
رحلتم عن حمى الوادى سحيرا   و سرتم و هْو خلفكم جنيب

و قال أيضا :

و بنجدٍ عُرب نزولٌ[5] أضاعوا   للمحبين حرمة النزلاء
ضربوا خيمة المليحة فى الرو   ض و أجروا أنهارها من بكائى

---

(١) وقع فى بن : الثرى - كذا .
(٢) فى بن : يغر .
(٣) فى بن : وجهه .
(٤) فى بن : الحمى .
(٥) فى بن : نزلوا .

و دعوا

و دعوا للعقيق دمعی و من أيـــن لدمعی العقيق لو لا دمائی
فهم لا عدمتهم أطلقوا الدمـــع و قلبی معهم من الأسراء

و قال أيضا:

عندی لکم يا أهل[1] كاظمة أسرار وجد حديثها عجبُ
أری بکم خاطری يُلاحظنی من أين هذا الإخاء و النسب
و اشرب الراح حين أشربها صرفا و أصحو بهـا فما السبب
خمرتهـا من دمی و عاصرها ذاتی و من أدمُعی لها الحبَب
إن كنتُ أصحو بشربها فلقد يسكر قوما بها و ما شربوا
هی النعيم المقـيم فی كبدی وإن غدت فی الكؤوس تلتهب
[٤٦: الف] فغنّ لی إن سقيت يا أملی باسم الـــذی[1] علیّ يحتجب

و سمی العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوی كما تذبل العُشقة إذا قطعت. و العُشق بضم العين اللبلاب، الواحدة عُشقة[2]. قال بعضهم فی الولوع بالعشق:

تولع بالعشق حـــتی عشق فلمـا استقل به لم يُطــق
رأی لجــة ظنهـا موجــة فلما توسّــط فيهـا غرق

و قال بعضهم:

[3]مساكين أهل العشق راحتهم عنا و لا حظّ فی الدنيا لهم و لا جاها
سألتك خلو البال لا تقرب الهوی و لا تخش حیّ العامرية عماها
تراق دماء العاشقين بــدارها[4] ومن طاف حول الدار يوشك[5] يغشاها

(١) كذا، و لا يستقيم به الوزن.
(٢) فی بن: لبلابة.
(٣) زيد فی بن: و.
(٤) فی بن: به اراها.
(٥) زيد فی بن: ان.

و قال الشيخ أبو العباس المرسى :

و رأيتُ أسبـاب المنى مقطوعة   من دونها باليأس من أسبابها
إلا لمن أعطى الصبابــة حقهـا   و أتى بيوت الحى من أبــوابها

[1] رأت فأرة جملا فأعجبها فعشقته فسكت بزمامه فتبعها فلما وصلت إلى باب بيتها دخلت و بقى الجمل واقفا فأخرجت رأسها و أشارت إليه بالدخول، فقال بلسان حاله: يا هذه! إما أن تتخذى دارا تليق بمحبوبك أو محبوبا يليق بدارك، فاحترق قلبها بالنار لضيق الدار.

[1] قال العتبى: قلت لأعرابى: حدثنى بأعجب ما رأيته، قال: نعم، بينما أنا أسير فى بعض الفلوات و إذا أنا برجل قد نصب حبـاله فقلت له: ما أجلسك ههنا؟ قال: أهلكنى و أهلى الجوع فنصبت حبّالى[2] لأصيد لهم شيئا و لنفسى ما يكفينا و يعصمنا يومنـا هذا، قلت: أرأيت إن أقمت معك فأصبنا صيدا تجعل لى منه جزءا؟ قال: نعم، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية فى الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرنى إليها فحلّها و أطلقها، فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى، و أنشد يقول:

أيا شبه ليــلى لا تراعى فإنــنى   لك اليوم من وحشية لصديق
أقول و قد أطلقتهـا من وثاقهـا   فأنت لليــلى ما حييت طليــق

و قال صرّدُر الشاعر:

يقول خليــلى و الظباء سوانــح   أهذا الذى تهوى فقلت نظيرها

---

(١) فى الهامش : نكتة .
(٢) فى بن : حبالتى .

[٤٦:ب] لئن شابهت أجيادها و عيونها   لقد خالفت أعجازها و صدورها
فيا عجبا منها تصد أنيسها   و يدنو على ذُعر إلينا نفورها
و ما ذاك إلا أن غزلان رامة   تيقّن أنّ الزائرين صُقورها
ألم يكفها ما قد جنته شموسها   على القلب حتى ساعدتها[1] بدورها
أيا صاحبيّ استأذِنا لى خمورها[2]   فقد أذنت لى فى الوصال خدورها
هباها تجافت عن خليل يروعها   فهل انا إلا كالخيال يزورها
و قد قلتما لى ليس فى الأرض جنة   أما هذه فوق الركائب حورها
فلا تحسبا قلبى طليقا فانما   لها الصدر سجن و هو فيه أسيرها
يعز على الهيم الجواميس وردها   إذا كان ما بين الشفاه غديرها
أراك الحمى قل لى بأى وسيلة   توسّلتَ حتى قبّلتك ثغورها

و قال العفيف التلمسانى:

لا تلم قلبا إليها قد صبا   إنما اللوم على قلب صبر
تنفح العشّاق منها نفحة   كنسيم الورد بالماء اختمر
مبسم عذب و جفن ذابل   صحّح الوجد به لما انكسر

و قال قيس المجنون فى ليلى العامرية:

أموت و مُهجتى بالنار تصلى   و لم السق[3] إلى ليلى وصول[4]
لقد حرّمتُ نومى فى هواها   و أجريت الدموع دما يسيل

(١) فى بن: تساعدتها.
(٢) فى بن: خمرها.
(٣) فى الأصل: ألتى.
(٤) كذا: فى الأصل.

سأصبر أو تذوب الروح منّى   و لا يشمت بحالتنا عذول
و إن بالحبّ فاضت فيك روحى   فصبرى عنك يا ليلى جميل

و قال ابن الفارض:

فأظهرنى سقم به كنت خافيا   له و الهوى يأتى بكل عجيبة

قال العفيف التلمسانى: (١لأن من العجب أن يكون الظهور بما به كان الخفاء١)، و فى هذا المعنى قال الشاعر:

أخفى هواه فيخفينى الهوى سقما   و ذو الهوى كلما أخفاه أخفاه

فالمحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلفظه و إنما تظهر بشمائله، و لا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع اقتراح الأسرار و القلوب، كما قيل:

[٤٧:الف] يترجم طرفى عن لسانى بسرّكم   و يبدى الهوى منّى الذى كنت أكتم
تشير فأدرى ما تقول بطرفها   و يطرف طرفى عند ذاك فتعلم
تكلم منا فى الوجوه قلوبنا   فنحن سكوت و الهوى يتكلم

و قال بعض [فى] الهوى:

على باب ليلى ما ألذّ تذللى   و أعذب تسآلى و أحلى تطفلى
مددت إليها كف ذلى لعزها   و قلتُ لها ما شئتِ بالعبد فافعلى
رمتنى بسهم حين ودّعت ركبها   تزوّدته منها فلم يخط مقتلى
و من عجبى أنى جريح و كلّما   رمتنى بسهم إثر سهم يلذّ لى
و لما اعترانى أنها لا تريدنى   و أنّ هواها لستُ عنه[٢] بمعزلى

(١-١) كذا، و لعل العبارة تتعلق بشعر التلمسانى و لم نظفر به.
(٢) فى الأصل: عنها.

تمنيت

تمنّيتُ أن تهوى سواى لعلّها تذوق مرارات الهوى فترقّ لى
فما كان إلا عن قليل تولّهت بحبّ غزال أهيف القد أكحل
فعذّبها بالبعد و الصدّ و الجفا و ذوّقها ما كان قلبى بــه بُلى
فقلتُ لهـا هذا بذاك فأطرقت حيـاء و قالت كل مَن عير ابتُلى

و لبعضهم :

يا صاح ما بال نسيم الصبـا قد بَـ ّ بُرديه دموع الغمام
و هام فى الآفاق مُضنى فهل هام بليـلى فاعتراه السقـام
معانقا أغصان بان الحِمَى إذ اشبهت فى اللين منها القوام
كأنما الأغصـان إذ هينمت حيا و قد ردت عليه السلام

و كان قيس المجنون يحبّ ليلى العامرية حبّا شديدا حتى جُنّ بسببها ، و كانت سلمى العامرية تحبّ المجنون حتى تولّهت من محبّته ، و المجنون لا يريد غير ليلى فقال منشدا :

جُنّنا بليلى وهى جُنّت بغيرنـا و أخرى بنا مجنونة لا نريـدها
و لو علمت ليـلى بمـا فى ضمائرى من الوجد و التبريح قلّ صدودها

و لبعضهم :

صل من هويت و دَع مقالة حاسد ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما لحف الهوى متوسدين بمعصـم و بسـاعد
يا من يلوم على الهوى أهلَ الهوى هل تستطيع صلاح قلب فاسد

فالهوى لذيذ المطعم لكنه يؤذى صاحبه كما قال بعضهم:

[٤٧:ب] هوى يلذّ و يؤذينى لذاذته   كما يلذّ و يؤذى حكة الجرب

قال بعضهم:

ان المـرآة لا تريــ   ـك جمالَ وجهك فى صداهـا
وكذاك نفسك لا تريـ   ـك قبيـح فـعلك فى هواهـا

و قيل: إن ليلى العامرية دخلت بغداد بعد أن كبرت و صارت عجوزة نحيفة قد دقّ عظمها و يبس جلدها فقيل للخليفة: إن ليلى العامرية قدمت بغداد، فقصد أن يراها، فأحضرت فلما وقع بصره عليها اشمأزها و قال متعجبا: أنت ليلى التى[1] صار بك قيس مفتون[2] حتى سمى بالمجنون؟ فقالت: أنا ليلى يا أمير المؤمنين! و لكن ليس بعينك رآى، و لا بقلبك اشتهاى، و أنشدت قول المجنون فيها:

فيا ليت شعرى هل أموتنّ حسرة   بليلى و ليلى ساعـــة ما ترانيـا
و إنى لأخشى إن أموت صبابة   و فى النفس حاجات بليلى كما هيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه   و إن بات من ليلى على اليأس طاويا

و مما قيل فى المعنى:

توهمتُ قدما أن ليلى تبرقعت   و إن لثاما دونها يمنـــع اللثمـا
فلاحت فلا و الله ماكان حجبهـا   سوى أن طرفى كان فى حسنها أعمى

و قيل: إن ليلى توفّيت بعد وفاة المجنون بأيام قلائل كما سيأتى ذكر ذلك

(١) فى الأصل: الذى - كذا.
(٢) كذا لرعاية القافية، و إلا فالظاهر: مفتونا.

في ترجمتها إن شاء الله تعالى. فللهوى[١] لذع في الفؤاد كلذع النبال و ليس له دواء إلا الوصال. [٢]حكى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: حج أمير المؤمنين عبد الملك و حجّ معه خالد بن يزيد بن معاوية و كان من رجالات قريش المعدودين و علمائهم و كان عظيم القدر عند عبد الملك فبينما هو يطوف بالبيت و إذا بامرأة مكيّة تطوف من أحسن النساء فسأل عنها، فقيل: إنها رملة بنت الزبير بن العوام، فعشقها عشقا شديدا و وقعت بقلبه وقوعا متمكنا، فلمّا أراد عبد الملك القفول إلى الشام و همّ خالد بالتخلّف عنه فبعث إليه عبد الملك و سأله عن أمره و تخلّفه عن السفر، فقال: يا أمير المؤمنين! حقيقة السر ما لا يظهر أبدا! قال: لا بد أن تخبرني بخبرك! فقال: يا أمير المؤمنين! قال الشاعر:

و لها سرائر في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيّه

[٤٨ : الف] فقال: الغالب على الضمير أن لا ينسى السر فأخبرني بخبرك، فقال: نعم يا أمير المؤمنين! رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت قد أذهلت عقلي! و والله ما أبديت لك ما بي حتى عيل صبري! و لقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله و السلوّ على قلبي فامتنع منه، فأطال عبد الملك التعجب من ذلك و قال: ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك، قال: و أنا والله أكثر تعجبا منك وكنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس: الشعراء و الأعراب، أما الشعراء فانّهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء و الغزل فمال طبعهم إلى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى

(١) في الأصل: فالهوى (٢) في الهامش: حكاية.

فاستسلموا إليه منقادين؛ و أما الأعراب فان أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حُبه لها و لا يشغله شيء عنه فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم . و جملة القول: يا أمير المؤمنين! فما نظرت نظرة حالت بيني و بين الحزم و حسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه، فتبسم عبد الملك و قال: أوَكلّ هذا قد بلغ بك؟ قال: و الله ما عرفت هذه البلية قبل وقتي هذا! فوجه عبد الملك إلى آل الزبير فخطب رملة على خالد فذكروا ذلك لها، فقالت: لا و الله أو يطلق نساءه امرأتين كانتا عنده، فطلقهما و تزوج بها و ظعن بها إلى الشام و أنشد:

أحبّ بنى العوّام من أجل رملة و من أجلها أحببت أخوالها كلبا

- و هي أبيات؛ فلمّا وقف عليها عبد الملك نظم بيتا و دسّه فيها ليكيد به خالدا، لأن خالدا كان يروم الخلافة كأبيه يزيد و جده معاوية؛ فقال عبد الملك: يا خالد! أنت القائل:

فان تسلمى أسلم و إن تتنصرى يخطّ رجال بين أعينهم صُلبا

فقال خالد: لعن الله قائل هـــذا البيت! و لم يعلم خالد قائله، فخجل عبد الملك و لام نفسه بنفسه. و لبعضهم في معنى محبة خالد بن يزيد لرملة و هي تطوف:

رب خود لقيتها في الطواف ذات حسن و بهجة و عفاف
قلت من أنت يا مليحة قالت أنا من حي آل عبد مناف
قلت أين المحل منك فقالت بالعقيقين منزلي و انصرافي
[٤٨: ب] قلت جودي بقبلة منك قالت يفعل الناس هكذا في الطواف

إن

إن قضى الله حجّنا و انصرفنا ليس فى الوصل بيننا من خلاف

و لبعضهم :

متى ياجيرة الشعب يسرّ بوصلكم قلبى
و تجمع بيننا دار على الاكرام[1] و الرحب
أهيل الحى واعطشى لذاك المنهل العذب
و أيام بلا عتب تقضّت فى هوى عتب
إذا ذكرت لياليه تهيج لواعج الصب
و يحيى قلب عاشقه حديث نسيمه الرطب

و اعلم أن الوفاء بالمحبة ذلّ المحبوب لمحبوبه ، قال الشاعر :

من لم يذلّ لعز من يهواه [2]لم يظفر و أى هوى بغير هوان[2]

فالهوى هو الهوان بعينه و لكن سُرقت نونه . قال بعض الأطباء لما سئل: ما دواء العشق ؟ فقال : دواؤه الوصال ، قيل : فان تعذر عليه الوصال؟ قال : يداوي نفسه بالتدبير المرطب بمنزلة الاستحمام[3] بالماء العذب و الركوب و الرياضة المعتدلة و التمريخ[4] بدهن البنفسج و شرب الشراب و النظر إلى البساتين و المزارع النضرة الزهرة و السماع الحسن و الأغانى الطيبة و ضرب العيدان و الناى و المزامير[5] و الرقص و الطرب ، كما قال الشاعر فى راقصة و عوادة[6] و زامرة و مدفقة :

(١) فى الأصل : الكرام .
(٢-٢) كذا فى الأصول ، و بذا لا يستقيم الوزن ، لعله : لم يظفر و ا هوى بغير هوان ، و زيد فيه : ى .
(٣) من بن ، و فى الأصل : استحام - كذا .
(٤) وقع فى الأصل : التمريج - كذا بالجيم مصحفا .
(٥) فى بن : مزامير القصب .
(٦) من بن ، و وقع فى الأصل : عودية - كذا .

و راقصة لقطت رجلها حسابا به نقرت طارها
فهذى تعانق عُودا لها[1] و تلك تقبّل مزمارها

قال بعضهم - لغز فى ناى .

و أسود فى كف[2] مجدولة زرى له خلقة منكره
إذا استمسكت سرها عنده فأحسن ما فيه أن يُظهره
يرد على اللحن أمثاله بغير لسان و لا حنجره

و لبعضهم فى الناى أيضا :

ينطق بالصوت قبل يأتى كأن فى نايها لسانا - انتهى

نعود إلى قول[3] الطبيب أيضا : و يشغل العاشق أيضا أفكاره بالأحاديث و الأسمار و أخبار الزهاد[4] و يشتغل بالأشغال[5] و الأعمال و التصرف فان الأشغال تلهى الأفكار عن المعشوق[6] فانه إذا طال ذلك بالعشاق سلوا عن معشوقهم ، و أيضا فان الجماع[7] لغير المعشوق فانه إذا طال ذلك بالعشاق مما ينقص عن العشق و يزيل[8] الفكر فيه و التباعد عن المعشوق ، قال [٤٩ : الف] الشاعر على لسان حال العشاق :

(١-١) وقع فى الأصل : عود لها ، و فى بن : عودها .
(٢) من بن ، و وقع فى الأصل : كفه .
(٣) فى بن : مقالة .
(٤) زيد فى بن : الأخيار .
(٥) من بن ، و وقع فى الأصل : بالاشتغال .
(٦) فى بن : العشق .
(٧) وقع فى بن : الإجماع .
(٨) وقع فى بن : يزيد - كذا مصحفا .

يا معشر العشاق قوموا بنا نبكي عسى يرحمنا الله
و نطلب الهجر بأنفاسنا [1] فان وجدناه قتلناه
فان وجدنا عاشقا مثلنا مات من العشق دفناه

قال بعضهم: و قد يكون المعشوق سمجا و يعشق، كما قال الشاعر:

و كم في الناس من حسن و لكن ألذ العيش ما تهوى القلوب

و قيل: العاشق يزيده الوصال غراما لزيادة الجمال، و كل ما زاد الجمال زاد الكشف عن ترقي الجمال في عين العاشق بحسب زيادة غرامه دائما [2].

---

(١) في بن: بأنفسنا.

(٢) زيد هنا على النص في «بن» [٣١: ب - ٣٢: ب] حكاية يزدجرد كما يلي: حكى أن يزدجرد أحد ملوك فارس كان يوما على فراشه جالسا لشرابه و ندماؤه حوله، فانقبض فنهض كل من كان بحضرته من ندمائه و سُمّاره، و كانت تلك عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك منهم أو أطرق لم يبق بحضرته أحد الا استوى قائما على حال خشية وسكون، و كان ليزدجرد مضحك ظريف اللسان لطيف الفطنة حسن الهيئة جيدا . . . حاو النادرة فحضر ذلك المقام، فبينما هو كذلك اذ رفع الملك رأسه إلى الضحك فنظر اليه كأنه يحركه أن يصنع شيئا فيه سلوة فسجد المضحك ثم جثا على ركبتيه و قال إن المملوك الذليل يستأذن الملك الجليل أن يخبره عن نفسه بخبر عجيب، فنظر اليه كالإذن له، فقال المضحك إن المملوك كان في حداثة سنه كلفا بالنساء مفرط الشبق إليهن الا كان ملولا لا يثبت على محبة من أحب منهن، و كان قد عشق امرأة هام بها و تهالك في حبها، و ان المملوك سافر إلى بلاد السند، فبينما هو يطوف ببعض مدنهم رأى امرأة لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة، و امتداد القامة، و رشاقة الحركات، و لبادة الإشارات، و سحر الكلام و تأنق الظرف، فتبعها المملوك و هو لا يرى مواطي قدميه من الدهش=

= حتى بلغت منزلها فدخلت، ولزم المملوك بابها ليلا ونهارا، فأرسلت اليه تستعفيه من لزوم بابها، وتحذره سطوة أهلها. فشكا المملوك الى رسولها ما يلقاه من الحب لها، والشغف بها، وأنه لا معدل له عن بابها، وأنها تمانعت عن المملوك مدة، ثم أعادت رسولها الى المملوك فرددت إليها بمثل كلامي الأول، فأرسلت تقول إني أظن بك الهلك والغدر ولولا ذلك لأسرعت إلى مساعدتك وإلى تزوجك بشرط الوفاء فان غدرت أهلكتك بعد أن انكل بك نكالا يضرب به المثل، فان التزمت هذا الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل أن يتعذر عليك الخلاص، وكان يقال من أوضح وبين. فقد نصح وزين، ومن حذر وبصر، فأعذر ولا قصر. قال المضحك: فالتزم المملوك الشرط وأعطى من نفسه المواثيق على الوفاء، فتزوجتها وبلغت منها الأمنية ولبثت معها مدة فزارها واحدة من أقاربها فلمحتها فأعجبتني ومالت نفسي إليها فتبعتها إلى منزلها وجعلت أراسلها وأتردد إلى بابها فتبرمت من ذلك وشكتني إلى امرأتي فزجرتني ونهتني عن ذلك وذكرتني العهود والمواثيق، فلم يزدني ذلك إلا حبا ولجاجا، فلما رأت ذلك مني سحرتني، فصرت أسود اللون مسود الوجه وجعلت تستخدمني في كل مهنة، فما. أنا فيه عن أن هويت أمة سوداء فجعلت اتبعها وأتعلق بها، فلما كثر ذلك على الأمة شكتني إلى امرأتي، فلما بلغها ذلك اشتد غضبها علي فسحرتني، فصرت حمارا فجعلت تكريني لمن يكلفني في أشق الأعمال، ويحملني أثقل الأحمال، فلبثت على ذلك مدة مديدة، فلم يشغلني ما أنا فيه من البلاء عن أن هويت حمارة، فاشتد شغفي وصرت كلما رأيتها انهق وأطلبها أشد الطلب، وأرد عنها بالضرب، فلقيت من ذلك ألما شديدا، فاتفق أن امرأة المملوك زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في قصر لها تشرف منه على ما حوله. وكان المملوك في ذلك اليوم قد استأجره شيخ ضعيف البدن، كبير السن، فاحتمل عليه أواني فخار في جوالق ومر بي على القصر فرأيت عند ذلك القصر تلك الحمارة التي كنت أهواها، فما ملكت نفسي أن نهقت وقصدتها وفعلت ما يفعله الحمير. =

و سأذكر

و سأذكر أبياتا يسيرة من القصيدة الموسومة بسلسلة الرمل و أذكر عروضها لبعضهم :

يا سلسلة الرمل من لوى بيبت[1] خال هل آذن قومي إلى الغوير بترحال[2]
أشتاقك و اليعملات دونك قود من ذوى[3] هوج[4] سابل و أتلع ذيال

= على ذلك الإحليل ، وجعل الناس يضربونني من كل جانب و الفخار يتساقط عن ظهرى و الشيخ يستغيث و يستنجد بالناس ، و جعل الصبيان و الناس يعطفون من كل جانب و جهة و الحمارة فارة بين يدى ترمح و أنا طالبها على تلك الحالة و ابنة الملك تنظر إلى ذلك كله فأعجبها و أضحكها ، فقالت امرأة المملوك التى سحرته : يا بنت ! ألا أخبرك بأعجب ما رأيته من هذا الحمار ؟ قالت لها : بلى . . . وقصت عليها القصة من أولها إلى آخرها ، فاشتد تعجبها مما سمعت ، ثم أمرتها . . . فأجابتها إلى ذلك و أبطلت السحر عن المملوك فعدت بشرا سويا و لم يكن لى دأب إلا الفرار (!!) . . . . فلما انتهى المضحك من حديثه إلى هذا المبلغ سكت و كان ملك يزدجرد قد اشتد ضحكه . . . . المضحك و لما شاهده من حركاته فى وقت حديثه ، فلما سكن ضحكه و عاوده الوقار و الأبهة أقبل على المضحك و قد اكفهر له و قال : ويحك ! ما حملك على أن تكذب هذه الكذبة الشنعاء كأنك ما علمت أنا نحصى (!!) الكذب على رعيتنا ، فقال المضحك : أيها الملك السعيد ! ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة المرتاض به ، و لما رأيتك قد غضبت فى مجلس انسك ، أردت بحديثى هذا زوال غضبك ، و انشراح صدرك ، فوصله يزدجرد بصلة و رضى عنه – انتهى .

(١) فى الأصل : بيوب – و صححته فى « بن » [٣٢ : ب] . والأبيات هنا غامضة معقدة حاولنا نسخها من الأصول بقدر الاستطاعة و بغير تصرف .
(٢) كذا ، و لعل الأبيات من الموشحات .
(٣) فى الأصل : ذى .
(٤) فى بن : عوج .

كم كان لنا منك من أغن غزير[1] يطفى علل القلب للعزائم حلال
من ذوى[2] ترف لين المعاطف خشف أو خرعبة فعمة[3] الروادف معطال[4]
تلقاك وقد أسفرت فروج نقاب[5] مثل عيون المها و صورة تمثال

وهى طويلة و المها بقر الوحش و قد عارضها بعضهم فقال :

يا مائسة العطف غصن قدك ميال يا كاملة الحسن ما لحسنك تمثال
أجفانك ترمى قلوبنا بنبال والهدب لها الريش و المقوس نبال
من علم عينيك سحر بابل حتى هيجن بقلبى من البلابل بلبال
الظبى له منك لفتة و عيون والغصن له الميل والقوام إذا مال
من قاس محياك بالغزالة جهلا من أين لها مثل خدك و الخال

المحيا الوجه[6] و الغزالة اسم الشمس، و الخال الشامة السوداء على الخد الأحمر، قال الشاعر :

انظر إلى الخال على خدها و لونه الأسود و الحمرة
كطابع من عنبر حطه مبخر فى وسط الجمرة
أو قطعة من بين مسك علت طافية فى رائق الخمرة

عرضت على الرشيد جارية فجعل يقلب طرفه و يديم التأمل إليها [٤٩ : ب] :

---

(١) كذا فى الأصل ، و فى « بن » : غرير .
(٢) فى الأصل : ذى .
(٣) كذا فى الأصل ، و فى « بن » ايضا .
(٤) فى بن : فعال .
(٥) فى « بن » : فروح نقات ! (كذا) .
(٦) الوجه مكرر فى الأصل .

ثم قال: ما أحسنها لو لا خنس بأنفها و خال بخدها! و كانت شاعرة أديبة فقالت: يا أمير المؤمنين

ما حسد الظبي على جيده كلا و لا البدر الذى يوصف
الا و ما أنكره فيهما هذا الإمام العادل المنصف
الظبي فيه خنس بيّن و البدر فيه نكتة تعرف

فاستمع الرشيد قولها و اشتراها.

و قال الشاعر يمدح الخال فقال فى مليح أسود:

يكون الخال فى وجه قبيح فيكسوه الملاحة و الجمالا
فكيف يلام من يهوى مليحا يراه كلّه فى العين خالا

و الخال من الزمان الماضى، و الخال اللواء، و الخال الخيلاء، و الخال قاطع الخلاً و هو نبات الأرض، و الخال ضرب من البرود، و الخال السحاب، و سيف خال أى قاطع - انتهى.

نعود إلى بقية الأبيات:

فى ثغرك در و لؤلؤ و عقيق فى بحر مدام و سلسبيل و سلسال
يا مكسفة الشمس[1] فى بروج سماء يا مخجلة البدر فى تمام و إكمال
النـاس يحلو بمسجد و لجين والشمس من البدر لك السوار و خلخال
أقسمت بعينيك أنت قرة عينى يا ساكنة القلب ما لحبّك ترحال
وجدى وجدى كما الغرام غريمى و العهد كما تعهدى و حالى ما حال
رقى لمحب متيم بك مضنى لا أحرفه[2] اللوم عن هواك و لا مال

(١) من بن، و فى الأصل: الوجه.

(٢) فى «بن»: اعرفه.

لو تقبلى الروح فى الوصال و ما لى   أعطيتك روحى وماملكت من المال
بالوصل عدينى لعل يطمع قلبى   بالوعد لأن العطاش تقنع بالآل

الآل السراب الذى يرى فى البرية يحسبه الظمآن ماء و ليس بماء.

جادت بمزار و أنعمت بوصال   فى كيد وشاة و حاسدين و عذال
ضميت و قبلت مبسما و قواما   عللت بمعسول و اعتقلت بعسال
ما أسرع ما أصبح الصباح علينا   ويحك يا وصل ما لليلك ما طال

كأن قصد هذا المحب لو طال الليل ليطيل له الوصل كما قال بعضهم:

هذه الليلة لا صبح لها   مثل يوم الحشر لا ليل له

و للقاضى عبد الوهاب المالكى فى الغزل:

[٥٠: الف] إذا ملت للتقبيل مالت تذللا   و قالت و ما تخشى و أنت إمام
فلا تحسبن الريق منى محلّلا   فريقى مُدام و المدام حرام

(١)دو بيت(١) فى معناه:

صيرت فمى لفيه باللثم لثام   عمدا(٢) و رشفت من ثناياه مدام
فازورّ و قال أنت فى الفقه إمام   ريقى خمر و عندك الخمر حرام

(٣)و للقاضى عبد الوهاب(٣):

ينبت دُرا ناضرا ناظرى   فى وجنة(٤) كالقمر الطالع
فلم منعتم شفتى قطفها(٥)   و الحكم أن الزرع للزارع

(١-١) فى بن: و مما قيل.
(٢) فى بن: عدا - كذا.
(٣-٣) فى بن: و لبعض الفقهاء.
(٤) فى الأصل و بن: و جنته.
(٥) من بن، و فى الأصل: قطعها.

و لأبى

و لأبي الطيب المتنبي يمدح البدويات و يفضّلهن على الحضريات :

من الجآذر في زيّ الأعاريب ... حُمر الحلى و المطايا و الجلابيب

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب

أفدى ظباء فلاة ما عرفن[1] بها ... مضغ الكلام و لا صبغ الحواجيب

و لا برزن من الحمّام مائلة[2] ... أوراكهن صقيلات العراقيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... و في البداوة حسن غير مجلوب

و من هوى كل من ليست مموّهة ... و تركت[3] لون مشيبي غير مخضوب

[4]و كان أبو بكر الخوارزمي يقول: أمير الشعراء أبو الطيب المتنبي، و أمير شعره قصيدته التي أولها: من الجآذر في زي الأعاريب، و أمير هذه القصيدة[5]:

أزورهم و ظلام الليل يشفع لي ... و أنثني و ضياء الصبح يغرى بي

وكان المتنبي في حداثة سنه كذبوا عليه و وشوا[6] به إلى السلطان و زعموا أنه قد ادّعى النبوة و أن قوما قد أجابوه و أنه يريد الخروج على السلطان، فحبسه السلطان و ضيق عليه؛ فكتب إليه من الحبس يقول:

و كن فارقا بين دعوى أردت ... و دعوى فعلت بشأو بعيد

(١) في بن: عرفت .

(٢) في بعض المنشور من شعره : مائلة .

(٣) من ديوانه ، وفي الأصل : تركن .

(٤) بهامش الأصل : المتنبي .

(٥) زيد في بن : قوله .

(٦) في بن : وشى .

فأطلقه من السجن[1] و صار هذا اللقب علما عليه لا يعرف إلا بالمتنبى . و سأذكر الآن سؤال فقراء العرب و فصاحتهم فى سؤالهم - إن شاء الله تعالى؛ قال الأصمعى: رأيت أعرابية ذات جمال بارع بمنى تسأل الحاج فقلت: يا أمة الله! تسألين ولك مثل هذا الجمال[2]! قالت: قدر الله فما أصنع؟ قلت: فمن أين معاشكم؟ قالت: هذا الحاج نقممهم و نغسل ثيابهم، [٥٠: ب] قلت: فاذا ذهب الحاج فمن أين تعيشون؟ فنظرت إلى و قالت: لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا - ثم قالت:

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل ... الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يتبعنا ... و إنما خلق الإنسان من عجل

و لبعضهم فى معناه:

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك و السكون
جنون منك أن تسعى لرزق ... و يرزق فى غشاوته الجنين

[3]قال الشيخ عبد العزيز[4] الحرانى: كنت مرة بقليوب و بين يدى صبرة قمح فجاء زنبور فأخذ واحدة ثم جاء فأخذ أخرى و فعل ذلك أربع مرات، فذهبت فاتبعته فاذا هو يضع حبة[5] القمح فى فم عصفور أعمى فوق غصن من أغصان تلك الأشجار التى هناك! فسبحان[6] المدبر الحكيم!

(١) فى بن: الحبس .
(٢) زيد فى بن « البارع » .
(٣) فى الهامش: نكتة ، بمعنى حكاية .
(٤) فى بن: عبد الرحمن .
(٥) فى الأصل وبن: الحبة .
(٦) فى بن: فقلت سبحان .

و قال بعضهم: حججت سنة من السنين فنزلنا واديا فبينما[1] نحن جلوس إذ وقفت علينا جارية على وجهها برقع فقالت: يا معاشر الحجيج! نفر من هديل[2] ذهب تنعمهم و تمرّست بهم الأيام فمن يراقب فيهم الدار الآخرة جُزى خيرا! و أنشأت تقول:

كفّ الزمان توسّدتْنا عنوةً شلّتْ أناملها عن الأعراب
قوم إذا حلّ العفاة ببابهم ألقوا نوافلهم[3] بغير حساب

فقلت لها: لو متعتينى[4] بالنظر إلى وجهك! فكشفتُ البرقع عن وجه لا تهتدى العقول إلى وصفه، فلمّا رأتنا قد بهتنا ننظر إليها[5] أنشأتْ تقول:

الدهر أبدأ صفحة قد صانها أبواى عند تمرّس الأيّام
فتمتّعوا بعيونكم فى حسنها و انهوا جوارحكم عن الآثام

قال: فجمعنا من بيننا رفقا و دفعناه لها و انصرفت[6]. و لعلى الشيبانى يسلم

(١) فى بن: فبينا.
(٢) كذا، و لعله: هذيل - بالذال المعجمة.
(٣) فى بن: نوالهم.
(٤) فى بن: متعتينا.
(٥) من بن، و فى الأصل: إليه.
(٦) زيد فى بن: و قال الأصمعى: مررت بالحديبية فاذا اعرابى يسأل على باب عجوز .... عليه: بورك فيك! فأنشأ يقول:

رب عجوز عرمس زبون سريعة الردّ على المسكين
تظنّ أنْ بورك يكفينى و قد غدوت باسطا يمينى

قال الأصمعى: فأخذت بيده فأتيت به المنزل فوضعت .... الأكل فجعل ينقر فقلت: ألا تستوفى أكلك؟ فجثى على ركبتيه فقال: إنى على ما كان من هوانى و قلة اللحم على أوصالى أجثو على الركبة و أعظم اللقمة فان كان كريما اسره =

على بدوية تسمى «زينب»[1] و يتشوق لها و لأمثالها:

يا راكب الوجناء من خزاعة   يرقلها طورا و طورا خببا
حيّ أبيت اللعن حيّ زينبا[2]   إن جزت بالربع و حيّ زينبا
ما أنصفت زينب لمّا أن نأت   و خلفتني دنفا معذّبا
أسامر النجم إذا جنّ الدجى   شوقا إلى غيد كأمثال الظبا
بيض حسان خرّد كواعب   إذا رنوا عُجبا رأيت عَجبا
[٥١: الف] يسفرن عن مثل الشموس أوجها   و يختلبن القانت المهذّبا

القانت: العابد. و قوله: أبيت اللعن، معناه أي أبيت شيئا تلتعن به. و اعلم أن نساء العرب لهن اختيار في سكنى البراري و الفيافي و الفلوات و يفضلنها

= و إن كان لئيما غصبه الله بكذا و كذا - يصرح و لا يكني. و قال الأصمعي: توضأ أعرابي فبدأ بوجهه و رجليه ثم استنجى، فقيل له: اخطأت السنّة! فقال: لم اكن أبدأ بالخبيثة قبل جوارحي. و دخل أعرابي مسجدا بعد الفجر فوجد الإمام يصلّي سورة البقرة و أطال الوقوف حتى ضجر، فلمّا صلّى الإمام الركعة الثانية قرأ الإمام فيها «الم تر كيف فعل ربك باصحب الفيل» فقطع الصلاة وخرج من المسجد و هو يقول: الفيل أكبر من البقرة و متى يفرغ منه؟ وولى منصرفا. و قال الأصمعي: صلى أعرابي خلف إمام فقرأ الإمام السجدة، فلما انتهى إلى موضع السجدة خر ساجدا من غير ركوع و سجد القوم معه، ففزع الأعرابي وخرج هاربا وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، الحمدلله على السلامة! فقلنا له: ما دهاك؟ فقال: صعق أهل المسجد ونجاني الله عز وجل من بينهم. واعلم أن العرب لهن اختيار - إلخ.

(١) وقع في الأصل: زينبا - كذا.

(٢) وقع في الأصل: زينب - كذا.

على سكنى الحاضرة[1] و الأبيات . أخبرنى موسى البدوى السالمى أحد بنى سالم النازل فى بيوت الشعر بأرض تروجة قال: دخلت الإسكندرية مستصحبا معى والدتى عجوزا[2] كبيرة لبعض السبب ولم تكن أبدا دخلت بلدا ، فلما حصلت بالإسكندرية قالت : يا ولدى ! أخرجنى من هذا البلد العفن الذى ضيق رؤيته أنفاسى و جلب الغم على إحساسى ، قال: فبادرت و أخرجتها إلى البر، فعند ذلك قالت : ذهب الآن عنى الهم و الغم . و كانت أم يزيد بن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان امرأة بدوية لم تر الحاضرة قط ، فلما تزوجها معاوية نقلها من البادية إلى القصور العالية بدمشق و كانت تسمى ميسون بنت بحدل ، فاشتاقت إلى وطنها بالبر فأنشدت تقول :

لبيت تخفق الأرياح[3] فيه   أحبّ إلىّ من قصر منيف[4]
و كلب ينبح الطرّاق عنى   أحبّ إلىّ من قطّ ألوف
و لبس عباءة و تقرّ عينى   أحبّ إلىّ من لبس الشفوف
و خرق من بنى عمّ نحيف   أحبّ إلىّ من علج عنيف[5]

فلما سمع معاوية الأبيات قال: صيرتنى البدوية علجا ، فطلقها و ردّها إلى

(١) فى بن : الدور .
(٢) وقع فى الأصل : عجوز - كذا .
(٣) من بن ، وفى الأصل : الارواح .
(٤) قصيدة مشهورة و فيها أبيات أخرى :

و أكل كسيرة فى كسر بيتى   أحب إلىّ من أكل الرغيف
و أصوات الرياح بكل فج   أحب إلىّ من نقر الدفوف

(٥) و فى بعض النسخ : عجل عليف .

أهلها و حمل على قلبه من كلامها ، و صار كما قال الشاعر :

و قد يرجى لجرح السيف برء   و لا برء لما جرح اللسان

فالبدوية أبدا لا تحبّ غير وطنها و مرباها الذى[1] ربيت به[2] و نشأت فيه[3]. قال زيد بن عمرو الثعلبى : كان فينا رجل له ابنة جميلة و كان له ابن أخ يهواها و تهواه ، فمكثا على ذلك دهرا ، ثم ان الجارية خطبها بعض الأشراف يرتحل بها من البادية إلى الحاضرة و أرغب فى المهر فأنعم أبوها و اجتمع القوم للخطبة ، فقالت الجارية لأمها : يا أمه ! ما يمنع[4] أبى أن يزوجنى من ابن عمى و يتركنى بأرضى مكان إلفى و موطنى[5]؟ قالت : أمرا كان مقضيا ، قالت : و الله ما أحسن رباه صغيرا ثم يدعه كبيرا ! ثم قالت : [٥١ : ب] أى أمه ! إنى و الله منه حامل فاكتمى إن شئت أو بوحى ! فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته[6] الخبر ، فقال : اكتمى[7] هذا الأمر[7]، ثم خرج إلى القوم فقال : يا هؤلاء ! إنى قد أجبتكم و إنه قد حدث

(١) فى الأصل و بن : التى .
(٢) فى بن : فيه .
(٣) زيد هنا فى « بن » [٤٣ : الف] قال بعض الحكماء يداوى كل عليل .... لبقراط ما بال الإنسان يضطرب بدنه كثيرا اذا شرب دواء ، قال: مثل البيت أكثر ما يكون فيه كنس . و قال الشاعر فى حب الوطن :

و حب لأوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا

(فى بن : اوطان ـ كذا ولايستقيم به الوزن)

إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم   عهود الصبى فيها يحنو لذلكا

(٤) فى بن : تمنع .
(٥) فى بن : وطنى .
(٦) فى بن : تخبره .
(٧-٧) فى بن : الخير .

أمر رجوت فيه الأجر[1] و إنى أشهدكم أنى قد زوجت ابنتى فلانة من ابن أخى فلان! فلما انقضى ذلك قال أبوها: أدخلوها عليه، فقالت الجارية: هى [2]بالرحمن كافرة[2] إن دخل عليها سنة أو تبين حملها! فما دخل عليها إلا بعد سنة، فعلم أهلها أنها احتالت على أبيها حتى زوجها به و أقامت بمكان مرباها[3]، قال بعضهم يمدح العيون فى براقعها:

عيون الغوانى من حواشى البراقع   أحدّ من البيض الرقاق القواطع
إذا غضبت ذل الشجاع و أصبحت   محاجره مقروحة بالمدامع

و قال بعضهم:

من لاحظ الأعين المراض ضَحْوة[4]   و عاين الحور الفتّان و الدعجا
يرجو حياة فلا و الله ما فتكت   تلك اللواحظ فى قلب امرئ فنجا

و قال ابن الفارض:

و من يتحرش بالجمال إلى الردى   أرى نفسه من أنفس العيش ردّت

---

(١) فى بن: الأمر.

(٢–٢) فى بن: الكافرة.

(٣) زيد هنا فى «بن» [٣٤: ب] قال بعضهم:

لا تغترب عن وطن   و احذر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا   فارقه الأصل زوى

(فى بن: فارق – كذا ولا يستقيم به الوزن)

سؤال فى الحلوان الذى تأخذه العرب فى ترويج بناتهن و أخواتهن لأنفسهم. الجواب: لا يحل للولى اخذه و لا اكله، ومن اكله لا يجوز شهادته (فى بن: شهادة) ولا يجوز عليه صدقة .. الخ.

(٤) فى الأصل وبن: ضحى – كذا و لا يستقيم به الوزن.

و نفسى ترى فى الحبّ ألّا ترى عنا   متى ما تصـــدت للصبابة صدّت
و أين الصفا هيهات من عيش عاشق   و جنّة عدن بالمكاره حُفّت

و قال ابن عطاء الله:

و ما لاقى الأحبّة مثل بُعد   تفتّت منه حبّات القلـــوب
و من يعشق معززة شـــروذا   فلا يسأم مُقاساة الكرُوب

و لبعضهم فى العيون و فضلها على السيوف و الرماح:

إنّ العيون السود أقوى مَضربا   من كل خطى و كل يمان
فضل العيون على السيوف لأنّها   جرحت ولم تبرز من الأجفان

الخطى: الرماح، و اليمان: السيف، و الأجفان أجفان العيون، وجفير السيف يقال له: جفن، و المركب التى ببحر الملح يقال لها: جفن، و الجمع أجفان.

[1] و العينان تثنية عين، وهى الحاسة الباصرة، وهى مؤنثة، و الجمع عيون و أعين و أعيان، و التصغير عيينة، و العين تطلق على أشياء بالوضع: فالعين [٥٢ : ألف] الباصرة، و العين عين الماء، و العين عين الركبة، و عين الشمس، و عين الشهر أوله، و عين السنة أولها، و العين الأخ، و العين العبد، و العين الشاهد، و العين إحدى حروف المعجم، و العين الجاسوس؛ يقال: إن ملوك العجم كانوا إذا أرسلوا رسولا إلى الملوك أرسلوا معه جاسوسا ليكتب جميع ما قاله و سمعه، فاذا عاد الرسول قابلوا كلامه بالنسخة التى كتبها الجاسوس فان صحّ مقاله علموا أنه صادق فيرسلوه بعد ذلك إلى الأعداء. [2] و الذى يؤنّث من جسد الإنسان

(١) بهامش الأصل: العين.
(٢) بهامش الأصل: و المؤنث من جسد الإنسان.

و لا

و لا يذكّر فهى العين و الأذن و الكبد و الكرش و الورك و الساق و القدم و العقب و العضـــد و الاصبع و الضلع و اليد و الرجل و الكف و العجز و اليمين و الشمال . [1]و الذى يذكر من الأعضاء و لا يجوز تأنيثه فهو الرأس و الجبين و الخد و الفــم و الأنف و المنخر و الثغر و الناب و الذقن و البطن . [2]و الذى يذكر و يؤنث من أعضاء الحيوان فهو العنق و اللسان و الإبط و الذراع و المتن و العاتق و القفا و الضرس .

[3]قال المأمون لبعض الأعراب: كم فى بدن الإنسان من كاف؟ فان أتممت عشرا فلك عشرة آلاف درهم! فقال: نعم يا أمير المؤمنين! فى بدن الإنسان كف وكوع وكرسوع وكاهل وكبد وكتف وكفل وكلوة وكرش، فقال له المأمون: لا أم لك! أخطأت، لا كرش لابن آدم، فأطرق ثم رفع رأسه فقال: يا أمير المؤمنين! إنما أجللتك و أبدلت الكمرة بالكرش فهى تمام العشرة، فقال: قاتلك الله! وددت أنى ما عثرت عليك - و أعطاه المال .

و سأذكر ما قيل فى التركيات القفجقيات و غيرهن من النساء الفاتنات بالأعين القاتلات - إن شاء الله تعالى . أما التركيات فالحسناء منهن كالدرة اليتيمة التى ليس لها لانفرادها بالحسن قيمة، قال الشاعر:

مرت بنا هيفاء مجدولة تركيــة تنمى لـتركى
ترنو بطرف فاتن فاتــر أضعف من حجّة نحوى

---

(١) بهامش الأصل: الذى يذكر من الأعضاء و لا يجوز تأنيثه .
(٢) بهامش الأصل: الذى يذكر و يؤنث .
(٣) بهامش الأصل: كم فى بدن الإنسان كاف .

اعلم أن علم النحو مستنبط من كلام العرب بالقياس، لأنهم استقروا الفاعل وجدوه مرفوعا و المفعول منصوبا فقاسوا البقايا[١] على هذا الحكم بالاستنباط، لأن الحجّة إن لم تقم من القرآن و دليله قاطع أو من السنة [٥٢ : ب] أو من الإجماع و القياس الذى رد فرعا إلى أصل و إلا فحجّة النحاة إذا ضعيفة، لأنهم يستندون[٢] إلى قول الأصمعى و أبى عبيدة و غيرهما من العرب الذين[٣] لا تعرف عدالتهم، و دليلهم واضح صحيح، لكنه[٤] ما نقل عن الثقات كاشتراط العدالة فى الحديث – و الله أعلم. و قال الشاعر فى جارية قفجقية ثلاثة أبيات جيمية:

عجنا بعجم أدلجوا و تدلّجوا   يرجون جيرون و جنّة جلّق
جاءوا بجارية جمال جبينها   كالمهرجان بنجل جنس قفجق
زجاء دعجا ضرّجت وجناتها   ضجّت لبهجتها جنود الجوسق[٥]

و لبعضهم:

لله ما صنعت بنا   تلك المحاجر فى المعاجر
أقضى و أمضى فى النفو   س من الخناجر فى الخناجر
و لقد تعبت ببينكم   تعب المهاجر فى الهواجر

و لبعضهم فى الحبّ:

---

(١) من بن، و فى الأصل: مقايسات – كذا.
(٢) فى الأصل و بن: يستندوا – كذا.
(٣) فى الأصل و بن: التى.
(٤) فى بن: لكن.
(٥) فى بن: الجوق.

الحبّ أوّل ما يكون ولَمع   فإذا تمكن فى الفؤاد صَرَع
ويلى من الحبّ بما[1] قد شفنى   ماذا علىّ من الهموم جمع

ولبعضهم :

خود بسود الحواجب احتجبت   عنا وبيض المعاصم اعتصمت
لو رأت الشمس وهى طالعة   كانت لأقدام رجلها لثمت

وللبغادرة شعر ملحون يسمى "قوما" فمنه :

نبل الحور والفتور   بين الكلل والستور   ترمى بقوس الحواجب
وهو بلا موتور   والفاحم الديجور   دائم علينا يجور
يواصل الخصر وأنا   من شقوتى مهجور   كيف لا تهيج الصدور
فى حب بيض النحور   وقد تجلّت علينا   أغصان تحمل بدور
قالوا محبتك زور   تبخل وتطلب تزور   ذا حر نار المحبه
ما ينطفى بالبزور   إن ردت تحظى بحور   اجعل كفوفك بحور
أو لا فلا تتعشق   قُدُودًا والنحور

ولأبى الفضل قاسم القصار :

ومليحة كل الملاحة قد حوت   تسبى وتفتك[2] فى الورى لحاتها
هندية لحظاتها خطية   خطراتها مسكية نفحاتها

قيل : أمر قوم امرأة ذات حسن وجمال أن تتعرض للربيع بن خيثم فلعلّها تفتنه وجعلوا لها إن هى فعلت ألف درهم ، فلبست أحسن ما

(١) فى الأصل : ما .
(٢) فى بن : فتفتك .

قدرت عليه من الثياب و تطيبت بأطيب ما قدرت عليه ثم تعرضت له حين [٥٣ : الف] خرج من مسجده ، فنظر إليها فى تلك الحال فراعه أمرها و جمالها ، ثم أقبلت عليه بعد أن سفرت[1] له عن وجه كالقمر حسنا و جمالا ، فقال لها الربيع : يا هذه! استرى[2] وجهك و لا تتبرجى ، كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من نورك و بهجتك أو كيف بك لو نزل بك الموت فقطع منك حبل الوتين ، أم كيف بك لو قد سألك[3] منكر و نكير ؟ فلمّا سمعت المرأة مقالته صرخت صرخة عظيمة خرّت مغشيا عليها ثم أفاقت ؛ و بلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها[4] جذع محترق - انتهى .

و سأذكر ما قيل فى الروميات اللواتى بالحسن موصوفات ، أما الروميات فهن الناعمات ذوات الأجسام الشبيهة للفضيات فالحسناء منهن لا يعادلها شيء من لين بشرتها و ضياء بهجتها :

قال بعضهم فى رومية جميلة :

و رومية الجنس من قدّها تغار الغصون إذا ما انثنت
بطرف كحيل و خد أسيل لها كل عين رأتها رنت

و للتنبى بيت من أبيات جمع فيه أربعة أوصاف فى امرأة و هو :

---

(١) فى بن : اسفرت .
(٢) فى بن : استترى .
(٣) فى الأصل : سائلك ، و فى بن مطموس .
(٤) زيد من بن .

بدت

بدت قمرا و ماست خوط بانٍ و فاحت عنبرا و رنت غزالا

و قال ابن الفارض:

و بالحدق استغنيت عن قدحي و من شمائلها[١] لا من شمولي نشوتي

أشار إلى أن[٢] نشوته إنما كانت لرؤية شيء من المحبوب ظاهرا كالشمائل، و الحدق ههنا تستعمل للناظر و المنظور مواضع الفتن و مواضع المحن، و هي من الناظر أسباب الموت بالحب و أسباب الحياة بالحب كقول الذائق:

ترنو فتخطف مهجتي و أرى فيخطفها البصر

فتميتني بنواظر و أعود[٣] أحيي بالنظر

و المخطوف المهجة، و كلانا خاطفان؛ و المقلة وسط الحدقة - انتهى.

و كان لبعضهم جارية رومية عجمية اللسان كاملة الحسن جميلة الوصف تسمى مريم و قد شغف بمحبتها فطلبت منه للبيع فخاف[٤] أن تؤخذ منه قهرا فأعتقها[٥] و تزوج بها و قال فيها:

إذا ما دعوتك يا مريم أذوب[٦] اشتياقا و لا أعلم

و ما لي أنس سوى ذكرها و هذا هو الألم المؤلم

[٥٣:ب] فتاة من الروم خمصانة تسمى إذا دعيت مريم

---

(١) في ديوانه: شمائله.

(٢) زيد من بن.

(٣) في بن: اعوذ.

(٤) من بن، و في الأصل: نخافت.

(٥) من بن، و في الأصل: فعتقها.

(٦) في بن: اموت.

فان اللسان به عجمة وقد تفهم العرب الأعجم
وحق جمالك يا مريم لقد شاقنى ذلك المبسم
لئن غاب شخصك عن ناظرى لقد أنت فى خلدى تنعم
وإن اللسان به ناطق وإن الفؤاد به مغرم
تحكم فى القلب سلطانها وحكم الهوى هو ما تحكم
فيا حسنها بين أترابها هلال تحف به الأنجم

ولبعضهم فى جارية من بنات العجم:

جارية من بنات بهرام لباسها سندس وديباج
إذا تمشت يكاد يجذبها ردف لها كالكثيب رجراج

قيل: كان للحجاج بن يوسف الثقفى جارية من خواص جواريه رومية فوفد عليه بعض بنى عمه فرأى الجارية عنده فأعجبته، وفطن به الحجاج فوهبها له فانصرف بها، وأصبح الفتى وقد فقد الجارية، فصار إلى الحجاج فأعلمه خبرها، فنودى ببراءة الذمة ممن رأى جارية من صفتها وأمرها فلم يلبث أن أتى بها، فقال لها: ويلك! ما حملك على الهرب؟ قالت: اسمع قصتى وافعل ما بدا لك، قال: هات، قالت: كنت [1]لفلان الأمير[1] كما تعلم وكان بى معجبا [2]فاحتاج إلى ثمنى[2] فحملنى إلى الكوفة فلما نزلنا قريبا منها دنا منى فوقع على فلم يلبث أن سمع زئير أسد فوثب عنى إليه وعاد برأسه إلىّ وعاودنى فقضى حاجته منى، وابن عمك هذا لمّا أظلم الليل

(١) فى بن: عند فلان التاجر.
(٢) فى بن: فاختار بيعى.

قام إلىّ فانه على صدرى إذ وقعت عليه فأرة من السقف فضرط ثم وقع مغشيا عليه، فمكثت[1] طويلا أقلبه و أرش عليه الماء و هو لا يتحرك نخفت أن يقال قتلته الجارية فهربت من القتل . فما ملك الحجاج نفسه ضحكا و قال لها : ويلك ! لا تذكرى هذا لأحد فانها لفضيحة[2]، قالت : على شرط ! قال : و ما هو الشرط ؟ قالت : على أن لا تردّنى إليه ، فقال : لك ذلك ، و ردّها إلى داره[3] .

و قال بعضهم : كانت لى جارية رومية كظبية من الغزلان فى خدها ورد و سوسان ، بفم ميم ، و عنق ريم ، و ذوائب شعر كالليل البهيم ؛ فتمكن حبها من قلبي و أكبادى ، حتى سلبت [٥٤ : الف] عقلى و فؤادى ، و غربتنى عن أهلى و بلادى ، و هى كما قال فى مثلها الشاعر :

تطيب لنا الدنيا إذا ما تبسمت　　كأن نثير المسك من ثغرها هبا
و لو تفلت فى البحر و البحر مالح　　لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا
و لو أنها للمشركين تعرضت　　لكانت لهم من دون أصنامهم ربا
و لو أنها فى الغرب تبدو لراهب　　لخلى سبيل الشرق و اتبع الغربا

(١) فى بن : فمكث .
(٢) فى بن : الفضيحة .
(٣) زيد هنا على النص فى « بن » [٣٦ : ب - ٣٧ : الف] بعض القصص عن الأصمعى وما ذكره فى أمر الأعراب والجوارى، من ذلك قصة أبى مهدية الذى اشترى جارية بمائة و خمسين درهما هبة من ابن زيادة الشيبانى ، وقصص أخرى فى نصها بياض و فى أشعارها نقص و تكسير لا يتيسر معه نسخها كاملة .

قال : فبينما أنا كذلك إذ تيقنت أني مدنف هالك فقصدت[1] إلى وطني و مستقري و سكني ، فركبت جوادا أبلق مليح الحدق ، أبيضه ساطع و أسوده[2] لامع ، و هو في مشيه[3] كالغزال الرائع ، فأخذت الجارية على متن جوادي ، و أعددت للسير إعدادي ، فبينما أنا في بعض الطريق ، بمقربة من المضيق ، انقض عليّ عفريتان عظيمان صلصلة أصنامهما كالصواعق ، و دوي أصواتهما كالرعد الناطق ، يهشمان الأحجار ، و يخرج من أفواههما لهب النار ، و فيهما عفريت أبتر فأرسل عليّ برق عينيه ، و قد سال[4] لعابه على[4] شدقيه ، فحمل علي لأن يأخذ الجارية من بين يدي ، فقلت : هذا عفريت عنيد ، و شيطان مريد ، فلا ينجي منه إلا الضرب بالحديد ، من ساعد[5] شديد ، و لا يقطع الحديد إلا الحديد ، فما زلت أكافحه[6] حتى قتلته ، فلمّا عاين العفريت الآخر ما حلّ بصاحبه تركه و هرب ، فجديت[7] السفر بالجارية إلى أن وصلت[8] بلدي فأعتقتُها[9] و تزوجت بها ، فحصل لي بعتقها الأجور ، و بتزويجها السرور .

(١) زيد في بن : حملها .
(٢) في بن : سواده .
(٣) في بن : مشيته .
(٤ - ٤) في بن : لعاب .
(٥) في بن : مساعد .
(٦) زيد في بن : و احامله .
(٧) في الأصل و بن : بجديت .
(٨) زيد في بن : الى .
(٩) من بن ، و في الأصل : فعتقتها .

تذاكروا فى حضرة أمير المؤمنين الرشيد الشعر فذكروا أبياتا فى جارية حسناء وهى:

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسّط جنح ليل أسود
موسومة بالحسن ذات حواسد إنّ الحِسان مظنّة للحُسّد
و ترى مدامعها تدور بمقلة حوراء ترغب عن سواد الأثمد
لم يطغها شرخ الشباب و لم تخن يوما معاهدة الفصيح المرشد
و تبرجت لك فاستبتك بواضح صلتٍ و أسود فى الخمار مجعّد
و كأن طعم سُلافة معلولةٍ بالريق فى أثر السواك الأملد

فطرب الرشيد و قال: والله هذا هو الشعر لا ما كنّا فيه! و طلب[1] الجوارى من النّخاسين، فأحضروا له منهن جوارى حسانا[2] فعرضوا عليه [٥٤:ب] فرأى فيهن جارية شبيهة بما قيل فى الشعر المذكور، فاشتراها و أحضر القاضى أبو يوسف يعقوب فقال له: قد اشتريت جارية[3] فى هذا اليوم و لا وجدت لى صبرا عنها إلى حين أستبريها فما ذا أصنع؟ قال: أعتقها و تزوج بها و اخل بها، فأعتقها[4] الرشيد و تزوجها[5] و خلا بها الرشيد من ساعته.

(١) زيد فى بن: حينئذ.
(٢) فى الأصل و بن: حسان.
(٣) فى بن: هذه الجارية.
(٤) من بن، و فى الأصل: فعتقها.
(٥) من بن، و فى الأصل: زوجه بها.

وسأذكر ما تتسمى به الجواري[1] اللواتي كالأقمار من ذلك، فاضحة الجمال، شمس الأكاليل، مشرقة الجمال، ذات الأقمار، فائضة الجمال، بدر الأفلاك، صنم المها[2]، بدر المباسم[3]، ذات الأنجم، الدعجاء، عسجدة، زبرجدة، لؤلؤة، جوهرة، ذات الكواكب، ذات المحاسن، باهرة الجمال، مرجانة الهنود، جوهرة الملوك، شجر الدر، نظم الشذور، نثر اللآلى، روضة الحسن، زهرة البستان، روضة الأنس، قوت القلوب، بهجة الأنس، مهجة القلب، مالكة المهج، قوت النفس، سرور القلب، أطلس، ديباجة[4].

وسأذكر هنا ما قيل فى عتق السرارى والتزويج بهن إن شاء الله تعالى – قال العلماء: من أعتق جاريته[5] وتزوج بها كان له أجران للحديث المروى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو أنّه قال: من كانت له جارية فعلمها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران، قيل: فيه أجر التأديب والتعليم وأجر التزويج لله وأن الله تعالى قد ضاعف له [6]أجره بالنكاح[6] والتعليم وجعله كمثل أجر العتق، وفيه الحض على العتق وعلى نكاح المعتق وعلى التواضع وترك العلو فى الدنيا وأخذ القصد والبلغة منها، وأن من تواضع لله فى منكحه وهو يقدر على

---

(١) من بن، وفى الأصل: الجوار.

(٢) زيد فى بن: حكم الهوى بلغ المنى.

(٣) زيد فى بن: ساحرة الأجفان.

(٤) زيد هنا فى «بن» [٣٨: الف] جاه الهنا، بستان، رياض.

(٥) فى بن: جارية.

(٦ – ٦) فى بن: اجر النكاح.

نكاح أهل الشرف و الحسب و المال يرجو به جزيل الثواب ، و العتق من أفضل القربات ، قال الله تعالى "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرٰكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ[١]" و قرئت "فكّ رقبةً" و في الصحيح[٢] من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا [٣]من أعضائه[٣] من النار حتى [٤]فرجه بفرجه[٤] . فان قيل : لما ذا خصص الفرج بالذكر دون سائر الأعضاء؟ و لما ذا لم يقل : الوجه بالوجه و اليد باليد ؟ و كذا في قوله: اعتق[٥] الله منه بكل عضو عضوا[٦]، فدخل الفرج في الأعضاء فأي شيء آكد [٥٥ : الف] بالفرج دون سائر الأعضاء ؟ و ما ذا إلا لفائدة . قيل: لأن في الحديث عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : من كفاه الله ما بين لحييه و بين رجليه – يعني اللسان و الفرج – دخل الجنة . و الفرج[٧] هو محل الخطيئة ، لأن العين تزني و اليد تزني و يصدق ذلك الفرج ، فجعل محل المغفرة في الفرج لأنه محل الخطيئة فأكد به .

و سأذكر ما قالته العلماء في الإماء و غيرهن إن شاء الله تعالى ، قالوا:

---

(١) قرآن كريم ٩٠ : ١٢ .

(٢) في بن: الصحيحين .

(٣ – ٣) في بن : منه .

(٤ – ٤) في بن : الفرج بالفرج .

(٥) من بن ، وفي الأصل : عتق .

(٦) من بن ، وفي الأصل : عضو .

(٧) في بن: فالفرج .

إن الزعر في اللغة قلة شعر العانة ، فمن اشترى أمة فوجدها زعراء العانة فهو عيب في وطئها ، لأن الشعر يشد الفرج ، فإذا لم يكن[1] استرخى . والخصاء عيب في العبيد إلا أن الخصاء يزيد في الثمن لكن بمعنى غير شرعي فلا يعتبر ، كزيادة ثمن الجارية المغنية . وقد اختلف فيمن غصب عبدا فخصاه فزاد ثمنه ما الواجب فيه - انتهى .

وإذا علمت الأمة بعتقها في أثناء الصلاة وهي عريانة الرأس هل تقطع وتستتر وتأخذ الخمار أو تتمادى على صلاتها ؟ في ذلك قولان : القول الواحد تقطع وتستتر[2] وتصلي ، والقول الثاني إنها لا تقطع ، لأنها دخلت في الصلاة بوجه مشروع فلا تقطع وتتمادى على صلاتها لقوله تعالى « وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ »[3] وكذلك العريان إذا وجد في أثناء الصلاة ما يستتر به فهل يستتر أو يقطع ويبتدئ الصلاة ؟ في ذلك قولان . وكذا إذا تذكر المصلي وهو في أثناء الصلاة أن ثوبه نجس فهل يتمادى على صلاته أو يقطع أو ينزعه ويصلي بما بقي عليه من الثياب الطاهرة ؟ في ذلك خلاف . وكذلك المتيمّم إذا وجد الماء في أثناء الصلاة فهل يقطع الصلاة ويتوضأ أو يتمادى على صلاته بتيممه ؟ قيل : يقطع ، وقيل : يتمادى على صلاته لأنه دخل في الصلاة بوجه مشروع . وكذلك من أحرم بالصلاة بنيّة السفر

(١) زيد في بن : شعرا .
(٢) زيد في بن : وتأخذ الخمار .
(٣) قرآن كريم ٤٧ : ٣٣ .

ثم

ثمّ نوى الإقامة هل يكمل الصلاة أو يتمّ صلاته على ما دخل فيه؟ و كذلك إذا أحرم بنيّة الإقامة و نوى السفر هل يكمّل صلاته أو يصلى ركعتى السفر؟ و كذلك ثبت عند الإمام بعد أن صلى ركعة من الجمعة عزله عن الإمامة هل يبنى الإمام المتولى الثانى على صلاة المعزول أو يبتدئ الصلاة؟ فى ذلك خلاف بين أهل العلم. و كذلك إذا أنكر السيّد وطئ أمته لا يتوجه عليه اليمين إذا [٥٥ : ب] ادعت عليه ذلك لأنها من دعوى العتق و هى غير موجبة لليمين، و إن ادعى استبراء لم يطأ بعده بحيضة أو بثلاث حيض لم يلحق بالسيد ما جاءت به من ولد، و اختلف هل عليه يمين أم لا، فقيل: عليه يمين، قال القاضى عبد الوهاب: لأنه انتفى من حمل كانت له فراشا، و قال ابن القاسم: لا يمين عليه لأن اليمين التى تخرجه عن ذلك هو اللعان فاذا لم يلزمه لعان فلا يمين عليه. و قال مالك فى رجل زوّج أمته عبده أو أجنبيا ثم وطئها السيد فأتت بولد فالولد لاحق بالزوج، إلا أن يكون الزوج معزولا عنها فى مثلها براءة الرحم فانه يلحق بالسيد و لا يُحَد لأنها أمته، و لو ادّعى السيد استبراء لم يطأ بعده لم يلحقه الولد و لم يحلف إذ لا يُعلم إلا من جهته و لا يندفع بدعوى العزل و لا بالإتيان فى الدبر و بين الفخذين مع الإنزال لأن الماء قد يغلبه و لو اليسير منه، و الولد يلحق بالأب فى الإماء إذا أقرّ بالوطئ و [1-]لم يدع[-1] استبراء، و يلحق بالأب فى نكاح الحرائر بالعقد و تصدق و ليس له دفعه إلا باللعان لأن الحرائر مأمونات[2]

(١-١) من بن، و فى الأصل: لم يدعى. (٢) زيد فى بن: على.

فروجهن . و عند أبي حنيفة إذا عقد له وكيله على امرأة و أتت بولد لمقدار ما يحمل فيه النساء و لو كان هو بالمشرق و هي بالمغرب لحق به ، لأن عنده الدنيا خطوة مؤمن ، و قد يكون من أهل الخطوة فيلحق به الولد . و عند مالك إذا أمكن الوصول إليها في مدة يمكن حملها منه يلحق به - و الله أعلم . قال العلماء في الأب إذا وطئ أمة ابنه فانه يملكها بذلك و لا يريدون إذا وطئها بنكاح خاصة لما له في مال ولده من التصرف و شبهة الملك . قال في المدوّنة : و من وطئ أمة ابنه الصغير أو الكبير درئ عنه الحد ، و قوّمت عليه يوم الوطئ ، حملت أو[1] لم تحمل ، كان مليّا أو معدما ، و يتم ملكه لها من غير شبهة ، فيحل له وطؤها بعد أن يستبرئها من مائه الفاسد بسبب الوطئ المتقدم ، و له أيضا بيعها ممن أراد ، و لذلك يجوز للولد أن يأخذ من أبيه فيما لزم الأب قيمتها إذا اتفقا على ذلك ، فان حملت من الأب فهي أم ولد فلا يحلّ له نقل ملكه عنها فضلا عن أخذ ولده لها في القيمة أو غيرها ؛ فان لم تحمل فقولان : مذهب ابن القاسم أنه لا بد من تقويمها على الأب ، و قال عبد الملك و ابن عبد الحكم : الابن مخير في [٥٦ : الف] ذلك ، و بالتماسك بها في عدم الأب و يسره ، و هو أظهر لأن سبب تضمّن الأب إنما هو العيب الذي أحدث على ولده منها بتحريم وطئ الولد لها ، و ذلك لا يوجب إلا تخير الولد المتعدى عليه ، لا إخراج ملكه من يده بغير اختيار ، فان كان الابن قد وطئها و استولدها أحدهما حُرّمت عليهما فتعتق أي أمة

(١) في الأصل و بن : و .

الولد التي وطئها أبوه، فحصل من هذا أنها موطوءة لهما معا، لأن وطئهما معًا سبب لتحريمها على كل واحد منهما؛ لأن أحدهما وطئها بالملك و الآخر وطئها بالشبهة، فهي من حلائل الأبناء بالنسبة إلى الأب، و ما نكحه الأب بالنسبة إلى الابن فتعتق؛ لأنها أم ولد حرمت على سيدها تحريما[1] مؤبدا، و كل ما هذا وصفه من أمهات الأولاد يعجل عتقه لعدم المنفعة فيه في الحال و المآل، إذ لا منفعة في أم الولد إلا الاستمتاع بها؛ فإذا قلنا تعتق فيكون العتق على من فيهما؟ قيل: يكون العتق على الابن إن كان أولدها[2] قبل وطئ والده و الأب قد أتلفها عليه بوطئه فيغرم قيمة أم ولد و تعتق على الولد لأنا إن أعتقناها على الأب كنا ناقلين و لا أم الولد عمن[3] استولدها، فإن كان الابن وطئها و لم تحمل منه ثم وطئها أبوه فحملت منه غرم قيمتها أمة و عتقت عليه، و إن وطئها الابن بعد وطئ الأب فإنها تسقط القيمة عن الأب بمصاب الابن و تباع على الابن لأنه شرط على الابن جواز بقائها بيده أمانة عليها، و قد ثبتت خيانته بوطئه لها. قال أبو عمرو بن الحاجب[4]: و لا يبطل استخدام الأمة بالتزويج - يعني أن حق السيد في الأمة استخدامها لا يبطل بتزويجها، لأن حق الزوج إنما هو الاستمتاع بها، و حق السيد بعد التزويج في الخدمة فلا يعارض فيها، و لكل واحد من السيد و الزوج القدر الذي

(١) في بن: تحريمها.
(٢) في بن: وطئها.
(٣) في بن: على من.
(٤) زيد في بن: المالكي في مختصره في الفروج.

يخصه . قال ابن الماجشون : و ترسل الأمة إلى زوجها ليلة بعد ثلاث ، فتكون عنده تلك الليلة و يأتيها زوجها عند أهلها فيما بين ذلك ، و للسيد السفر بهـا ، و لا يمنع الزوج من صحبتها ، و نفقتها يلزم زوجها سواء كانت مقيمة أو مسافرة ، و لا يكون نفقتها على سيدها ، لأن التى تأخذه الأمة من زوجها عوضا عن الاستمتاع بها ، و كما أن نفقة الابنة على أبيهـا فاذا زوّجها انتقلت عنه إلى زوجها ، فكذلك إذا زوج السيد الأمة [٥٦ : ب] انتقلت عنه إلى زوجها ؛ و هذا كله إن كان الزوج حرا ، فان كان زوج الأمة عبدا ففى وجوب النفقة عليه أو على السيد[1] أربعة أقوال : إنها فى مـال العبد و كانت تبيت عنده أو عند أهلها كالمهر ، أى كما أن المهر الذى هو عوض عن أول الاستمتاع على الزوج فكذلك تكون النفقة عليه هو عوض عن تمام الاستمتاع - و الله أعلم . القول الثانى مقابله إنه لا نفقة على زوجة العبد ، و هو محكى عن مالك و أشهب . و القول الثالث الفرق بين أن تبوّأ معه بيتا أو لا ، فالأول تلزمـه نفقتها ، و الثانى لا تلزمـه إلا بشرط فى عقدة النكاح . و القول الرابع الفرق بين أن تبيت عنده أو عند أهلها ، فان كانت باتت عند زوجها أنفق عليها ، و إن باتت عندهم أنفقوا عليها . قـال ابن القاسم فى كتاب محمد فيمن قيل له فى عبده : مَن رَبُّ هذا العبد ؟ فقال : ما له ربّ إلا الله تعالى ، أو قيل له : مملوكك هو ؟ قال[2] : لا ، أو قيل له : ألك هو ؟ فقال : ما هو لى ، فلا شىء عليه فى ذلك كله ، كمن قيل له : ألك

(١) فى بن : سيده . (٢) من بن ، و فى الأصل : قيل .

امرأة - أو هذه امرأتك ؟ فقال : لا ، فلا شيء عليه إن لم يرد طلاقا[1] و لا يمين عليه . و فى المدونة : و إذا كان عبد بين رُجلين فقال أحدهما : إن كان دخل المسجد أمس فهو حر ، و قال الآخر : إن لم يكن دخل هو المسجد فهو حرّ ، فان ادعيا علم ما حلفا عليه دُينا فى ذلك ، و إن قالا : ما نوقن أ دخل أم لا و إنما حلفنا ظنا ، فليعتقا بغير قضاء ، و قال غيره : بل يجبران على عتقه . و لو كان لرجل امرأتان فرأى طائرا فقال : إن كان هذا غرابا[2] فزينب طالق و إن لم يكن غرابا فعزة طالق ، و التبس عليه الأمر و تعذر التحقيق طلقتا عليه ؛ و كان ذلك كاختلاط الميتة بالمذبوحة . إذا قام الرجل شاهدا على رجل أنه زوجه ابنته البكر و أنكر الأب حُلف الأب ، فان أبى سُجن حتى يحلف[3] ، و لا مقالة للابنة فى ذلك و لو كانت ثيبا . من ادعى نكاح امرأة و أنكرت فلا يمين له عليها و إن أقام شاهدا ، و لا يثبت نكاح إلا بشاهدين . و إن ادعت امرأة أن زوجها طلّقها و لم يحلف الزوج مُنع منها حتى يحلف . قال مالك : و إن نكل عن اليمين طلقت عليه مكانه و عدّتها من يوم الحكم ، و روى و خلى بينه [٥٧ : الف] و بينها و لم تطلق عليه ، و إن لم يحلف الزوجة المقرّة بصحّة النكاح تدّعى أنّ زوجها طلّقها البتة ثم يموت عنها فلها تكذيب نفسها و ترثه لأنها قد تقول كرهت البقاء[4] معه ، و ينبغى أن تحلف على

---

(١) فى بن : طلاقها . (٢) فى بن : غراب .

(٣) زيد فى بن : و ليس له ان يزوجها فى السجن من رجل آخر حتى يحلف .

(٤) فى بن : المقام .

ما ادّعته . ذلك[1] إذا أرخى الزوج على الزوجة الستر و ادّعت أنه وطئها فالقول قولها ، و لو كان ذلك فى نهار رمضان الذى لا يحل الوطئ فيه لأن الغالب مبادرة الزوج مع إرخاء الستر عليها إلى وطئها[2] .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعّب و تسلسل إلى أن خرجنا عن ملحمة الباجربقى فلنرجع إلى قوله فيها[3] :

يا ويح جلّق[4] ما ذا حلّ ساحتها … و أحرقوا [5]جامعا لله[5] كيف بُنى
يا للبرايا أمَا للدين منتصر … قوموا إلى الشام من سهل و من حزن
عُرب الفرات و مصر و الصعيد أتوا … دمشق و الكفر فيها عنّ مرتكن
يا ويلهم كم غزوا فى الدين كم قتلوا … و كم دم سفكوا من عالى و دنى
و الكون مقتّم[6] و الأرجاء[7] مظلمة … حتى حمائمها ناحت على فنن

(١) فى بن : و .

(٢) زيد هنا فى « بن » [٣٩ : ب] فقرة « و إذا ادعى أحد الزوجين على صاحبه داء العضط (و فى بن : العطعط ـ كذا) وهو حدث الغائط عند الجماع . . . . وقد وقع مثل هذا فى ايام أحمد بن نصر . . . سحنون فأفتى بأنه يطعم أحدهما تينا و الآخر فقوسا » ثم تحادث بعدئذ حديثا فيه بياض غير مكتمل عن الجذام والبرض و داء الفرج مشترطا « السلامة فيما تقدم ذكره » .

(٣) انظر ما قبله فى النص . ٤ : ب .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون (طبعة باريس) ج ٢ ص ٢٣٧ حيث استخرج أبيات هذه الملحمة من تاريخ ابن كثير .

(٥ - ٥) فى بن : جامعها .

(٦) فى بن : مقيم .

(٧) من بن ، و فى الأصل : الأدجاء .

قيل إن الشام كان اسمه فى الزمن الأول السام - بالسين المهملة ، و السام فى لغة العرب الموت ، فكرهت العرب هذا الاسم فأبدلوا السين المهملة بالشين المعجمة . و قيل: سمى الشام شاما لشامات سود و بيض فى أرضه و ذلك لاختلاف الترب و البقاع . و جلّق موضع بدمشق ، و يقال: إن جيرون الرومى دخل دمشق فمصّر مصرها و جمع عُمد الرخام و المرمر إليها و شيّد بناءها و سماها "ارم ذات العماد" و قيل: إنه كان فيها أربعمائة ألف عمود ، و بقية هذا البناء فى هذا الوقت بدمشق يعرف ببناء جيرون ، قال التلعفرى فى أول قصيدة له :

سلّم سلمتَ على جيران جيرون يا صاحِ من مستهام القلب محزونى
و حىِّ جامعها عنّى فكم جمعتْ أهل العلوم الذى كانوا يفيدونى

و منها :

فى يوم سبت ترى الوفرات جائلة على الروادف أشباه الثعابين

و ذلك أن أهلها فى يوم السبت مبطلون[1] لفرجهم فى غياضهم[2] و نزههم فى بساتينهم و رياضهم ، و صبيانها يعانون[3] الوفرات المظفورة[4] وراء ظهورهم ، و على رؤوسهم أقباع من الحرير الأحمر الطويلة الأتران[5] .

(١) زيد فى بن : فيه .
(٢) فى الأصل : غياظهم ، و فى بن [٤٠ : الف] : غيطانهم .
(٣) فى الأصل و بن : يعانوا .
(٤) فى بن : المظفرات الرخاة .
(٥) كذا فى الأصل ، و فى بن : الاتراك . ــ وزاد هنا فيها عن احمد بن أبى المحاسن =

و أنشدنى أبو عبد الله محمد المقرى[1] بثغر الإسكندرية المحروس قصيدة له فى دمشق منها [٥٧ : ب]:

سلّم سلِمتَ على جيران جيرون سلام مضنى كئيب القلب محزون
و إن أتيت الحمى وهنا فحىّ بها[2] قوما أقاموا بجرمانا[3] و جسرين
و أنت يا برق حىّ النيّرين[4] بها و اسق تربتها سحّا كسيحون
لم أنس أنسى بواديها و نزهته و الماء يجرى على خضر الرياحين
و الدوح يجلى كما تجلى عرائسها و الغيد يلعبن فى ظلّ البساتين
يخيّل الشوق أنّ البرق حين سرى ثنّى مباسم تلك الخرّد العين
آها عـلى زمن ولّى بقربهم لو أنّه فى الكرى وافى لمسكين
بسطت خدّى أرضا فى مَحبّته لعلّه بعد هـذا البعد يدنينى

= ننقلها على علاتها :

حمى بيـواقيت اللمى در شعره و غشىّ بجلباب الدجى ضوء فجره
(فى بن : درة)

و أشعل نيران الخدود فعقدت ذوائب مسك اسبلت خلف ظهره
(و فى بن : سبلان من)

غدا شعره قيد القلوب بأسرها فـلا قلب إلا و هو فى حـكم أثره
و كيف علاجى من جنونى لحبه و أصل جنونى من سلاسل شعره .

(١) قد يمكن قراءتها فى الأصل : المعرى ، و هو جائز و إن كان الغالب فى قراءتها كذلك و هى فى بن [٤٠ : الف] : المعرى .
(٢) من بن ، و فى الأصل : به .
(٣) فى الأصل : بجرمايا ، و صحتها فى بن . (٤) فى الأصل : النير بين .

قم

قم نغتنم لذّة الدنيا بلا كسل ... و نطرد الهمّ من حين إلى حين

و ننهب العمر و الأيام مقبلة ... فى جلّق و كفاف العيش يكفينى

أسعى إليه فيعنينى تطلبه ... فان قعدت فرزقى ليس[1] يعنينى

يزيد زاد غرامى فى محبته ... و بيت لهيا عن الأوطان يلهينى[2]

و ما تخيّلت واديها و نزهته ... ألا تذكرت و التذكار يؤذينى

قوله: «يزيد زاد غرامى فى محبته» يصف نهر .....[3] يزيد بن معاوية الذى احتفره فى خلافته، و قوله: واديها، يعنى به وادى الربوة الذى يخترق دور دمشق و حماماتها و بساتينها، و قوله: جرمانا[4] و جسرين و بيت لهيا، هى قرى بظاهر دمشق بها بساتين و رياض نزهة.

[5]و مدينة دمشق محدثة، و إنما كان القديم من موضعها موضعا يسمى الجابية و ذلك فى أيام الجاهلية، و بنيت دمشق عليها[6]، و لدمشق أبواب منها باب الجابية و باب توما و باب السلامة و باب النصر و الباب الصغير و باب الفراديس و ديرمران يقابله، و أرضها يقال لها: الغوطة، و للنحاس الشاعر قصيدة أولها:

---

(١) فى الأصل: لا، و لا يستقيم بها الوزن.

(٢) فى الأصل: تلهينى.

(٣) بياض فى الأصل، و الغالب انه نهر يزيد وهو كذلك فى بن [٤٠: ب].

(٤) فى الأصل: جرمايا، و صحتها فى بن كما ذكرنا.

(٥) فى الهامش: مدينة دمشق.

(٦) زيد فى بن: قيل بناها رجل يسمى دماشق بن يحوط بن كنعان فسميت باسمه من غير الف فقيل: دمشق.

عرّج على الغوطـــة بالعيس و اجعل على النيرب تعريس
و اعبر على قصر ابن شواش فى مطالـــع[١] الفجر بتغليس
لتنظر الحور إذا جُزن فى الـــجنة[٢] من بـاب الفراديس
علقت منهن فتـاة غـدت كأنهـا دُميـــة قسـيس

و هى طويلة مكتوبة بديوانه . و جلّق موضع بدمشق ، قال الشاعر فيه :

[٥٨: الف] بجلّق نزلوا حيث السرور بها مجمـــع و هو بـالآفاق منتشر
فـــكلّ عين بهـا موسى يفجّرهـا و كل نهر على حـافاته الخضر

و قيل جيرون هو ابن سعد بن عاد ، و قيل : إن دمشق سميت باسم بانيها و هو دماشق بن نمرط بن كنعان ، و قيل : بانيهـا دمشق بن فائد ابن مالك بن أرخشد بن سام بن نوح . و الغوطة[٣] موضع خصيب بخارج دمشق ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : سيفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لهـا دمشق هى خير مدائن الإسلام و فسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها : الغوطة . قال الأصمعى : أحسن أنهار الدنيا ثلاثة : نهر الأبلة و هو قريب من البصرة ، و غوطة دمشق ، و صغد[٤] سمرقند . قال اليعقوبى : مدينة دمشق جليلة قديمة و هى مدينة الشام فى الجاهلية

---

(١) فى الأصل و بن : مطالع ـ كذا ، و لا يستقيم به الوزن .

(٢) فى بن : من .

(٣) راجع فى موضوع « الغوطة » لا سيا فى التاريخ الحديث :

R. Tresse, *L'irrigation dans la Ghoute de Damas*,—in Rev. des E'tudes Islam. (1929), pp. 459–73.

(٤) فى الأصل : صفد ، و هى ساقطة من بن .

و الإسلام ، و ليس لها نظير فى جميع بلاد الشام فى أنهارها و مبانيها و كثرة عماراتها ، و افتتحت[1] فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة أربع عشرة للهجرة . و قال ابن جبير[2] : مدينة دمشق هي جنة المشرق و مطلع حسنه المؤنق و عروس المدن ، قد تحلّت بأزاهير الرياحين ، و تجلّت فى حلل سندسية من البساتين ، و حلت من موضع الحسن بمكان مكين ، و تجلّت فى منصبها بأحسن تزيين ، و تشرّفت بأن أدنى الله المسيح و أمّه مريم إلى ربوة ذات قرار و معين ، ظل ظليل ، و ماء يسيل ، و رياض تحيي النفوس بنسيمها العليل ، تتبرج لناظريها بمجيلاء[3] صقيل ، و تناديهم هلمّوا إلى معرّش للحسن و مقيل ، قال بعضهم : المعرّش الكرم ، قال الشاعر :

و لا ظلّ إلّا ظل كرم مُعَرّشٍ   تغنّيك من قطريه ورق الحمائم - انتهى .

نعود - و قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتكاد تناديك بها الصم الصلاب : اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب ، قد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر ، و اكتنفتها اكتناف الكمائم للزهر ، و امتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، و كل موقع لحظة بجهاتها الأربع نضرته اليانعة قيد البصر ، و لقد صدق القائلون

(١) فى بن : فتحت .

(٢) انظر ابن جبير (طبعة دي خويه فى ليدن) ص ٢٦٠ - ٢٩٨ ، و قد نقل عنه النويرى فى مواضع كثيرة وضافية .

(٣) كذا .

عنها: إن كانت الجنة فى الأرض فدمشق لا شك فيها، و إن كانت فى السماء فهى بحيث تساميها . و قال البُحتُرى فيها :

[٥٨:ب]إذا أردت ملاء الطرف من بلد مستحسن و زمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على أجبالها فرقا و الطير ينشد فى صحرائها غردا
كأنما القيظ ولّى بعد وقدته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا[1] – انتهى .

(١) زيد هنا فى بن [٤٤ : الف] : و قال أحمد بن أبي المحاسن . . . . يتشوق إلى دمشق و يمدح جمال الدين بن رزق الله (و هى أبيات ننقلها على علاتها) :

سلام على ساكنى جلّق سلام محب لهم شيق
(فى بن : سلام حب لهم مشيق)
سلام على دار أحبابنا سلام على ربعها المؤنق
سلام كنفحة أشجارها يفوح بعطر لمستنشق
سلام كصفوة أنهارها و رقة سلسالها الأزرق
سلام كنغمة أطيارها على غصن قدّ [بها] مورق
(و كلمة « بها » ليست فى بن)
سلام كلطف ميادينها وما للميادين من رونق
سلام كحسن بساتينها و ما فى البساتين من جوسق
سلام كطيب رياحينها تخال تراها بمسك سقى
سلام على ربوة معربا و زهر الرياض من المشرق
سلام على النهم و النيربن و روض بأكنافها محدق
سلام على غوطة كسيت بسندس زهر و استبرق
سلام على الشرفين اللذين يشرّف ذكرهما منطقى
سلام على مائها جاريا مسلسلة العذب بالمطلق =

نعود

نعود - فالباجربقي[١] يشير في ملحمته إلى أن الكفار يأتون إلى

= (في بن : ما اجاريا ، مكان : مائها جاريا)

سلام على الطعام المحلى على البرج و السرور و الخندق
و ميدانها الأخضر . . . .
سلام على الجامع المزدهى و بهجة بنيانه المؤنق
بصحن كصحن جبين إذا ما جاء غيها . . . . . .
قسى رواقاته شبهت حواجب مقرونة تلتقى
و ضاهت سهام . . . .
و قبة نشر حكت شامة معنبرة فوق خد نقى
كأن شرار . . . .
و باب البريد بغزلانه يموج فمن شاء فليعشق
منازل تجلى . . . .
أجيران جيرون جاد النوى و شاب افرقتكم مفرق
ألا ليت شعرى من . . . .
و أشكو سقامى إلى ممرضى و يطفئ نارى لقا محرق
و الحق ينولى (كذا) . . . .
جمال تجمل دين الهوى و فاتح باب الندى المغلق
محص بفضل (كذا) . . . .
على البعد سارت بشكوى له قواف قوافل كالا مسق (كذا)
و ما هى الا كجهد . . . . انتهى .

(و القصيدة كما يرى القارئ مليئة بالعيوب و الكسر و فيها بياض كثير، و لكن موضوعها لا يجيز التجاوز عنها في حواشي الكتاب).

(١) انظر الورقة ٥٧ : الف .

دمشق يكون بها مقتلة عظيمة و يحرقون[1] جامعها المنسوب لبنى أمية المجاور لباب جيرون ، ثم ينتصر[2] المسلمون[3] بعد ذلك كما قال :

يا مسلمين اغنموا المال فاض و كنز بالفرات و عند الرستن الشتن

[4]و سأذكر الآن ما قيل فى صفة الجامع المذكور [5]و بانيه و غير ذلك إن شاء الله تعالى . اعلم أن جامع دمشق المنسوب لبنى أمية بناه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ثمان و ثمانين للهجرة ، و كان مكانه كنيسة جيرون فجعل أرضه رخاما . و معاقد رؤوس أساطينه مذهبة ، و محرابه مذهبا ، و سائر حيطانه مرصّعة بأشباه الجوهر ، و دور السقف كله مكتبا كما يدور بترابيع جدر[6] المسجد بأحسن صنعة و أبدع تنميق ، و جعل بأعلى السقف حُصر رصاص محكمة التأليف وثيقة الصنعة تمنع[7] المطر عن سقفه لأن سقفه جملونات ، و الماء يصل إلى صحن الجامع فى قنوات رصاص فمتى احتاج ذلك إلى الغسل فتح إليه الماء و غسل جميع صحنه بأهون سعى ، و يقال : إن الوليد بن عبد الملك أنفق فى إتقان هذا الجامع خراج الشام كله سنتين ، و له وقوفات كثيرة ، قيل : إن مكاتيبها

(١) فى الأصل و بن : يحرقوا .
(٢) فى الأصل و بن : تنتصر .
(٣) زيد فى بن : عليهم .
(٤) فى الهامش : جامع دمشق .
(٥) زيد فى بن : المنسوب لبنى امية .
(٦) فى بن : جدار .
(٧) زيد فى بن : عنه .

بالقبة المركبة على الأعمدة بصحنه . و قال اليعقوبي : جامع دمشق ليس فى الإسلام أحسن منه ، بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام و الذهب سنة ثمان و ثمانين للهجرة ، مفروش بالرخام الأبيض المختم باللازورد و سقفه لا خشب فيه إلا و هو مذهب كله من أعلاه إلى أسفله ، و ذكر ابن جبير فى وصف هذا الجامع ، و وصف دمشق غرائب فلنذكر الآن بعض ما وصف فى هذا الجامع إن شاء الله تعالى ، قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسنا و إتقان بناء و غرابة صنعة و احتفال تنميق و تزيين ، و من عجائب شأنه أنه لا تنسج [فيه -[1]] عنكبوت و لا تدخله ، و لا تلم به الطير المعروف [٥٩ : الف] بالخطاف ، انتدب لبنائه الوليد و وجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية فأمر باشخاص اثنى عشر ألف صانع من جميع بلاده و تقدم إليه بالوعيد فى ذلك إن توقف ، فامتثل أمره مذعنا ، فشرع فى بنائه و بلغت الغاية فى التأنق فيه ، و نزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفسا ، و اختلطت به أنواع من الأصباغ الغريبة قد مثلت أشجارا و فرعت غصونا منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف ، فجاء يعشى العيون وميضا و بصيصا ، و بلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار . و كان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لما دخل دمشق صالح النصارى بأن أخذ نصف[2] الكنيسة الشرقية فصيّره مسجدا ، و بقى فى النصف

---

(١) من بن .

(٢) موضوع تقسيم الكنيسة و الجامع كان محل نقاش بين المؤرخين ، و فيما يلى =

الغربي للنصارى، فأخذه الوليد و أدخله فى الجامع بعد أن رغب أن يعوّضهم عنه فأبوا فأخذه قسرا ، و كانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يُجَنّ ، فبادر الوليد و قال: أنا أوّل من يجنّ فى الله ! و بدأ الهدم بيده ، فبادر المسلمون فأكملوا هدمها و لم يجنّ واحد منهم ، ثم أرضاهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى خلافته عن الكنيسة بمال عظيم . و سأذكر ما قيل فى طول هذا الجامع الأموى و ذرعه و تكسيره و مقاصيره و أسماء أبوابه و وصفه إن شاء الله تعالى ، اعلم أن طول هذا الجامع الذى عمّره الوليد بن عبد الملك من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة و هما ثلاثمائة ذراع ، و ذرعه فى السعة من القبلة إلى الشمال مائة و خمس[1] و ثلاثون خطوة و هى مائتا ذراع ، و تكسيره بالمرجع الغربي أربعة[2] و عشرون مرجعا و هو تكسير مسجد النبي صلى الله عليه و سلم ، غير أن طوله من القبلة إلى الشمال و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث[3] مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، و سعة كل بلاط منها عشر[4] خطوة و قامت البلاط على ثمانية و ستين عمودا ، منها ثلاث[3] أرجل تتخللها و اثنتان[5] مرخمة ملصقة فى الجدار الذى

= اهم بحثين فى هذا الصدد :

i—R. Dussand, *Le temple de Jupiter Damascenien et ses transformations aux e'poques chretienne et musulmane*, in "Syria,"

iii—1922, pp. 219–250 (pl. et fig.).

ii—H. Lammens, *Le calife Walīd et le pre'tendu partage de la mosque'e des Omayyadesa' Damas*, in B I F A O, xxvi, 1925 pp 21–48

(١) وقع فى بن : خمسة – كذا (٢) فى بن: اربع (٣) فى الأصل و بن : ثلاثة .
(٤) فى الأصل و بن : عشرة (٥) فى بن : اثنان .

يلى

يلى الصحن، و أربعة محاريب و أشكالا غريبة قامت في البلاط الوسط، دور كل رجل منها اثنان و سبعون شبرا، و يستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته [١]سبع عشرة خطى[١]، عدد قوائمه سبع وأربعون منها [٥٩ : ب] [٢]أربع عشرة [٢]رجلا و الباقى سوار، و سقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص على جملونات[٣]، وأعظم ما فيه قبّة الرصاص المتصلة بالمحراب، و هى سامية في الهواء عظيمة الاستدارة، و قد استقل بها هيكل عظيم، و هو عمود لها[٤] يتصل من المحراب إلى الصحن، و القبة قد أغصت فى الهواء فاذا استقبلتها أبصرت أمرا عظيما هائلا، و من أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء كأنها مُعلقة من الجو، و عدد شماساتها الزجاجية المذهبة الملونة أربع و سبعون، فاذا قابلتها الشمس و اتصل شعاعها انعكس الشعاع إلى كل لون منها و اتصل ذلك بالجدار القبلى، و يتصل بالابصار منها أشعة ملوّنة هائلة لا تبلغ العبارة بعض صورها، و محرابه من أغرب المحاريب الإسلامية حسنا و غرابة صنعة يتّقد ذهبا كله، قد قامت فى وسطه محاريب صغار متّصلة بجداره يحفّها سويريات [٥]مفتولات فتل[٥] الأسورة

(١ - ١) من بن، غير ان فيه : سبعة عشر خطا - كذا، و وقع فى الأصل : سعة خطا (!) و لا يستقيم بها المعنى .

(٢-٢) فى الأصل و بن : اربعة عشر .

(٣) زيد فى بن : يمنع الأمطار أن يقف بل ينحدر سرعة الى صحن الجامع بمعنى فى البلاليع المصنوعة لذلك - كذا.

(٤) فى بن : بها . (٥-٥) من بن، و فى الأصل : مفتولات فتل .

كأنها مخروطة بعضها حمر كأنها المرجان ولم يُـرَ شيء[1] أجمـــل منها، و فيه ثلاث مقاصير: مقصورة معاوية و هي أول مقصورة وضعت في الإسلام، طولها أربعة و أربعون شبرا و عرضها نصف الطول، و يليها لجهة الغرب المقصورة التي أحدثت عند زيادة الكنيسة و هي أكبر، و الثالثة بالجانب الغربي تجتمع فقهاء الحنفية فيها للتدريس. و له أربعة أبواب: باب قبلي يعرف بباب الزيادة، و باب شرقي يعرف بباب جيرون، و باب شمالي يعرف بباب الناطفيين، و باب غربي يعرف بباب البريد، و الباب الشرقي المعروف بباب جيرون و هو أعظمها، و له و للغربي دهاليز متصلة يفضي كل دهليز منها إلى باب عظيم، و كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها - ثم ذكر فيه عجائب من الأبنية و القباب و الصوامع الثلاث و المياه المديرة فيه ما يطول، و صفة اختصار ذلك أن قيل في صحنه إنه من أجمل المناظر و أحسنها، و فيه مجمع أهل دمشق و متفرجهم و متنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين و راجعين من باب جيرون إلى باب البريد، لا يزالون على هذا الحال إلى انقضاء صلاة العشاء الآخرة، منهم من يتحدث مع صاحبه و منهم من يقرأ، فهذا دأبهم بالغداة و العشي [2]و الأحفل بالعشي[2]، و للجامع أربع مياضي[3] [٦٠: الف] ميضأة في كل جهة، و أعظمها ميضأة جيرون، و ذكر أن حول باب جيرون من الأبنية الغريبة ما يطول وصفه، و بـاب جيرون يخرج من

(١) في الأصل و بن: شيئا.
(٢-٢) كذا في الأصل، و ليس في بن.
(٣) وقع في الأصل: مياضي - مكررة.

دهليزه إلى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب منقوشة لها ستة أعمدة، فى جهة اليسار منه مشهد كبير لأنه كان فيه رأس الحسين بن علىّ بن أبى طالب قبل أن ينقل الرأس المذكور إلى القاهرة؛ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر مقتل الحسين و سبب قتله و فى أى مكان قُتل و من قتله إن شاء الله تعالى . و بازاء المشهد المذكور مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز، و قد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها [المطر-[1]] إلى الدهليز و هى كالخندق العظيم متصل إلى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموّا قد حفّته أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة[2]، فيها الحجر و البيوت، و فى وسط الحوض أنبوب نحاس يرفع الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة تسميها الدّماشقة "فوّارة" و حولها أنابيب صغار[3] ترمى الماء علوّا فيخرج منها ماء كقضبان الفضة فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية؛ و منظرها أبدع من أن يوصف، قال بعضهم فى فوّارة تورية:

فوّارة تشبه فى علوّها سبيكة من فضة خالصة
تلهيك بالحسن فقد أصبحت جارية ملهية راقصة

ثم عن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فى طيقان من نحاس، و قد فتحت [4]أبوابٌ صغارٌ[4] على عدد ساعات النهار و دُبّرت تدبيرا هندسيا، فعند

(١) زيد من بن، وقد سقط من الأصل .
(٢) زيد فى بن : بها . (٣) زيد فى بن : ثم .
(٤ - ٤) فى الأصل و بن : ابوابا صغارا .

انقضاء ساعة من النهار تسقط بندقتان من نحاس قائمتان[1] على طاستين من نحاس مثقوبتين، فيصير البازيان[2] يمدّان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين و يقذفانهما بسرعة تدبير عجيب تتخيّله الأذهان سحرا، فعند فروعهما يسمع لهما دوى، فيعودان من الأثقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة، و ينغلق الباب تلك الساعة إلى حين يلوح نحاس؛ فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات فتنغلق الأبواب كلها ثم تعود إلى حالتها الأولى، و لها فى الليل تدبير آخر و ذلك أن القوس المنعطف على الطيقان المذكورة [3]اثنتى عشرة[3] دائرة من النحاس مخرمة، فى كل دائرة [٦٠ : ب] زجاجة و خلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على تدبير مقدار الساعة، فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح و فاض على الدائرة شعاع و لاحت دائرة محمرة، ثم تنتقل إلى الأخرى حتى تنقضى ساعات الليل، و قد وكل بها من يريد شأنها فيعيد الأبواب و سرج الصنج إلى موضعها[4] و هى لميقاته - انتهى. و لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة جيرون كتب إليه ملك الروم فى ذلك الوقت يقول: هدمت الكنيسة التى رأى أبوك تركها، فان كان حقا فقد أخطأ أبوك، و إن كان باطلا فقد خالفته. فكتب الوليد يجاوبه: "و داود و سليمٰن اذ يحكمٰن فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم و كنا

(١) فى الأصل و بن: قائمين.

(٢) فى الأصل و بن: البازيين.

(٣-٣) فى الأصل و بن: اثنى عشر.

(٤) فى الأصل و بن: موضعه.

لحكمهم شٰهدين * ففهمنٰها سليمٰن و كلا آتينا حكما و علما"[1] فلمّا قرأه[2] ملك الروم أفحم من هذا الجواب المسكت . و سأذكر هنا ما قال[3] المفسرون فى الحكومة التى حكم بها داود و سليمان عليهما السلام إن شاء الله تعالى ، و ذلك أن قوما تقدموا إلى داود ليقضى بينهم ، فقالوا : يا نبى الله ! إنا قوم قد حرثنا أرضا و زرعناها و سقيناها حتى بلغت الحصاد فجاؤا هؤلاء بالليل ، أرسلوا فيها الغنم فرعوها و ما بقى لنا من الزرع شىء[4] ، فقال داود لأصحاب الزرع : كم كان قيمته ؟ فقالوا كذا و كذا ، فقال داود : هذا قريب من قريب ، ثم قال لأرباب الغنم : و أغنامكم ترضى هؤلاء أو تردّن[5] من مالكم عوضه ، فقال سليمان لأبيه داود : يا نبى الله ! إن أذنت لى تكلمت ، فقال : تكلم يا بنى بما عندك ، فقال سليمان لأرباب الغنم : ادفعوا أغنامكم لهؤلاء و خذوا أنتم أرض هؤلاء فاحرثوها و ازرعوها حتى يقوم الزرع على ساقه ثم سلّموا الأرض إليهم و خذوا منهم أغنامكم ؛ فرضى القوم بذلك و اتفق[6] الفريقان عليه ، فذلك قوله تعالى "ففهمنٰها سليمٰن و كلا آتينا حكما و علما" فكل منهما أصاب بما حكم به . و المنقول

(١) قرآن كريم ٢١ : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) فى بن : قرأها .

(٣) وقع فى الأصل و بن : قالت - كذا .

(٤) وقع فى الأصل و بن : شيئا - كذا .

(٥) فى بن : تردون .

(٦) من بن ، و فى الأصل : و اتفقوا .

عن العلماء إذا تعارض تقديم العام و الخاص كان الخاص أولى ، و مثله الشيخ عز الدين بن عبد السلام بقوله تعالى " و داود و سليمن اذ يحكمن في الحرث " و ان التقدير في تضمين الحرث لا في أمر الحرث لأنه أعم - انتهى .

نعود إلى ذكر ما كان بدمشق من الكنائس حين فتحها المسلمون إن شاء الله تعالى ، كان بدمشق قبل ظهور الإسلام و حين فتح المسلمين لها ما يزيد على عشر[١] كنائس [٦١ : الف] منها كنيسة جيرون ، كنيسة يحنا[٢] ، كنيسة مريم ، كنيسة القسنلاط ، كنيسة سوق الليل و غيرها من الكنائس ؛ و كان بهذه الكنائس الأساقفة - و هم قضاة النصارى ، أحدهم أسقف - و القمامصة - أحدهم قمّص و هم نواب الأساقفة - و القسيسون[٣] - أحدهم قسيس و هم علماء النصارى و خطباؤهم - و الشمامسة - أحدهم شمّاس و هم قرّاء النصارى الذين يقرأون الزبور و الإنجيل و مزامير داود و يضربون النواقيس في أوقات صلواتهم و يحملون المباخر و يدورون بلقم القربان و الخمر في الكنائس على النصارى يطعمونهم لبركة ما قرئ عليها - و الرهبان - أحدهم راهب و هم عبّاد النصارى المنقطعون في القلالي و الصوامع و الأديرة - فالقلاية ما حصن بها راهب نفسه بمفرده في البريّة ، و الصومعة عالية البناء يقيم بها راهب بمفرده أيضا ، و الدير ما حوى

(١) في الأصل و بن : عشرة .
(٢) في بن : يوحنا .
(٣) في الأصل و بن : قسيسين .

جماعة رهبان، و جوسق الدير بيت حاصل الرهبان و هو بصحن الدير منفرد بنفسه عالٍ لا يوصل إليه إلا باسقالة محكمة تمد من بابه العالى جدا إلى حائط [1] آخر مقابل[1] للباب ترفع و تحطّ تلك الإسقالة المحكمة العمل يرخيها المقيم به بسرياق[2] فى بكرة إلى الحائط المقابل للباب فى النهار و فى الليل يرفعها إليه خشية السراق لما فى الجوسق من النذورات و الأموال التى تجبى من الوقوفات التى حبستها النصارى على ذلك الدير و غيرها من المأكول و ثياب الصوف التى تلبسها الرهبان و غيرها ، و بكل دير طاحون و فرن ، و كل راهب له صناعة يعملها من طحن و خبز و نسج للصوف و زراع للزرع التى بأرضه الموقوفة عليه و غير ذلك ، و بكل دير كنيسة تجتمع بها الرهبان عند ضرب الناقوس[3] وقت صلواتهم ؛ فاذا انقضت صلاتهم مضى كل منهم إلى عمله المختص به ، و خازن جوسق الدير يسمّى رُتَيْتَة؛ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى الرهبان و أديرتهم[4] من مقاطيع الشعر إن شاء الله تعالى . و البطارقة[5] مقدمو[6] جيوش النصارى و اكابر أجنادهم ، و البطرك هو صاحب

(١ - ١) فى الأصل و بن : اخرى مقابلة .

(٢) انظر أيضا ١٨٧ : ألف : سرياقات .

(٣) فى بن : النواقيس .

(٤) فى بن : دياراتهم .

(٥) فى الهامش : البطريق .

(٦) فى الأصل و بن : مقدمى - كذا .

حلّ النصارى و عقدهم ، و يسمّى أبا[1] الآباء ، و يقال له أيضا الباب بتفخيم الباء[2] الأولى ، و إذا حرم البطرك على أحد من ملوك النصارى اختلفت عليه جيوشه و لم يطعه أحد[3] [٦١ : ب] منهم و لا من أكابر حاشيته و لا من دونهم حتى عوام النصارى و بنيه[4] و زوجته إلى أن يرفع البطرك عنه تحريمه . و فى النصارى من يقال له الدمستق و الجاثليق ، أما الدمستق فهو المتولى على حواصل الكنائس ، و أما الجاثليق فهو البطرك بلغة المشارقة .

قال بعض البغادذة بارك الله للخليفة فى العيد و الجاثليق فى الميلاد فالعيد للخليفة كالميلاد للجاثليق . فهذه مراتب النصارى فى دينهم و دنياهم ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر فساد مذاهبهم و تبديلهم دين المسيح[5] عليه السلام و كفرهم و ضلالاتهم و الرّد عليهم فى عقائدهم الفاسدة - إن شاء الله تعالى[6] .

---

(١) فى الأصل و بن : ابو - كذا .

(٢) انظر ٩٧ : ألف حاشية رقم ١ .

(٣) من بن ، و فى الأصل : احدا - كذا .

(٤) فى بن : بنوه .

(٥) انظر أيضا [٩ : ألف ، ٢٥ : ب ، ٩٤ الف - ب] حيث يشير الكاتب إلى أنه سيتكلم عن هذا الموضوع دون ان يفعل .

(٦) زيد هنا فى بن [٤٣ : ب ٤٤ : الف] ما يلى : قال الواقدى : و لما اجتمع عمرو ابن العاص ... بقسطنطين بن الملك هرقل على قيسارية بسبب فتحها قال له قسطنطين ما اسمك يا اخا العرب .. عمرو و انا من العرب الكرام ارباب =

الحرمين

= الحرمين العظيمين ، قال قسطنطين انك لفتى كريم من . . . . كنت من العرب فنحن من الروم بيننا قرابة و رحم متصلة ونحن و انتم فى . . . . ما لهم بسفك دماء بعضهم بعضا ، قال عمرو ان انسابنا . . . . دين الإسلام و أما اذا كان الأخ مع أخيه واختلفا فى دين كان قطع النسب بيننا ، و قد ذكرت ان نسبك ونسبنا واحد ونحن من قريش . . . . أبونا آدم ثم نوح ثم إبراهيم أبو العيص ابن إسحاق أخو إسماعيل . . . يبقى على أخيه ولا يجوز عليه قسمته التى قسمها آباؤهم . . . . فى قولك الذى قلته نحن بنو أب واحد أبونا نوح عليه السلام . . . . انه قسم لهم شططا حين غضب على ولده حام و اعلم أن ولد نوح لم يرضوا بها فاقتتلوا عليها زمانا و غلب بعضهم بعضا ، و هذه الأرض انتم بها ليست هى لكم هى أرض العمالقة من قبلكم لأن نوحا قسم الأرض بين اولاده الثلاثة سام وحام و يافث ؛ فأعطى ولده سام الشام و ما حوله إلى اليمن إلى عمان إلى الجزيرة إلى البحرين و العرب كلهم من ولد سام و هم قحطان و طسم (زهم!) و جديس و عملاق وهو أبو العمالقة حيث كانوا من البلاد وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهم العرب الغابرة ، و أقطع حام أرض المغرب و السواحل ، و نزل يافث فيما بين المشرق و المغرب . . . . و ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . . . . ونريد أن نرد القسمة . . . . قسمة معتدلة فنأخذ ما فى أيديكم و تأخذوا ما فى أيدينا من الشوك والحجارة و البلدان . . . . بدلا من الأنهار و العمارة . فلما سمع قسطنطين كلام عمرو علم أنه رجل مكين فقال لـه صدقت (فى) قولك إلا أن القسمة قد جرت و لم ترضوا (و فى بن : لم ترضون ـ كذا) بها لكنتم باغين علينا ونعلم ان ما حملكم على ذلك و أخرجكم من بلادكم إلا الجهد العظيم. فقال له عمرو أيها الملك أما مازعمت من أن الجهد أخرجنا من بلادنا فنعم و كنا نأكل خبز الشعير و الذرة فلما رأينا طعامكم وأكلناه استحسنا ذلك و لن . . . حكم حتى نأخذ البلاد من أيديكم و نصيركم لنا عبيدا و نستظل تحت اصول هذه الشجرة العالية و الفروع =

= المورقة و الأغصان الطيبة الثمار ، قال منعتمونا عما ذقناه فى بلادكم من لذيذ العيش فما نلقاكم إلا برجال اشوق إلى حرمكم من حبكم للحياة انهم يحبون القتال كما تحبون انتم الحياة . فأفحم قسطنطين عن جوابه و رفع رأسه إلى قومه و قال إن هذا العربى صادق فى قوله و حق الكنائس و القربان . . . . ما لنا معهم ثبات . قال عمرو فوجدت الى و عظيم السبيل (كذا) فقلت اعلموا يا معاشر الروم إن الله . . . قد قرب عليكم ما تطلبون إن كنتم تريدون بلدكم فادخلوا فى ديننا و صدقوا قول نبينا فان الدين عند الله الإسلام ، قولوا لااله الا الله محمد رسول الله . قال قسطنطين انا لا مفارق ديننا . . . . و أجدادنا . قال عمرو فان كرهت الإسلام فأعطنا الجزية منك و من قومك و انتم . . . . ما اجيب إلى ذلك لأن الروم ما تطاوعنى على أداء الجزية و لقد قال لهم أبى هرقل . . . . عمرو فهذا ما عندى من الاعذار و الإنذار و قد حذرتكم ما استطعت إلا . . . . إلى أمر فيه النجاة كما عصى أبوكم عيصو فى رحم أمه فخرج قبل أبيه يعقوب (! !) . . . فى النسب و أنا ابرأ إلى الله عز و جل منكم و من قرابتكم إذ انتم تكفرون . . . إسحاق و نحن من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل و إن الله عز و جل اختار لنبينا . . . خرج من صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب فجعل خير الناس ولد إسماعيل . . . . إسحاق على لسان أبيه فولد إسماعيل العرب فجعلت خيرة العرب كنانة ثم جعل خير كنانته قريشا ثم جعل خيرة قريش بنى هاشم ثم جعل خيرة بنى هاشم عبد المطلب جد نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث الله محمدا رسولا واتخذه نبيا و هبط عليه جبريل بالوحى . قال فخضعت جوارح قسطنطين و قوله حين ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم . . . رجفت قلوبهم و داخلهم الهيبة و وقع الحرب بينهم إلى ان انتصر (فى ب: انتصرت) المسلمون عليهم واخذوا قيسارية ـ ولما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة فبعث إليه علجها ان ارسل الى رجلا . . . . بك اكلمه ففكر عمرو و قال ما لهذا العلج احد غيرى ، قال فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع منه . . . لم يسمع قط مثله ، و قال له العلج هل =

و لمّا كان فى خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه كتب ملك الروم كتابا أرسله إليه يقول فيــه: سلام عليك فأنبئنى بأكرم عباد الله إليه و أكرم إمائـه، و عن أربعة أشياء فيهنّ الروح لم تركض فى رحم، و عن قبر يسير بصاحبه، و مكان فى الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة - و غير ذلك من المسائل، فلمّا قرأ معاوية كتابه قال: اللهم العنه! ما هذا؟ فأرسل معاوية إلى ابن عباس بمكة يسأله عن ذلك، فأجاب يكتب له: أكرم عباد الله عند الله آدم، خلقه بيده و أسجد له ملائكته و علّمه الأسماء كلها، و أكرم إمائه عليه مريم التى أحصنت فرجها، و الأربعة التى فيهن الروح و لم تركض فى رحم فآدم و حواء و عصا موسى و الكبش الذى أخرج من الجنة فداء لإسماعيل

= فى اصحابك أحد مثلك، قال لا تسأل عن هوانى عليهم إذ بعثونى.... عرضوا لما عرضونى له و لا يدرون ما تصنع بى، قال فأمر له بجائزة و كسوة و بعث إلى البواب إذا مر بك الأعرابى صاحب عمرو أمير القوم فاضرب عنقه و خذ ما معه، فخرج من عنده فمر برجل من النصارى من عرب غسان فعرفه، فقال يا عمرو لقد احسنت الدخول فأحسن الخروج. ففطن عمرو لما أراد فرجع، فقال له العلج ما ردك الينا ايها الأعرابى، قال نظرت فيما اعطيتنى فلم اجد ذلك يسع بنى عمى فأردت ان آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية التى اعطيتنى فيكون معروفك عند عشرة خير (كذا) من ان يكون عند واحد، فقال صدقت اعجل بهم، و قال العلج فى نفسه قتل احد عشر من العرب احسن من قتل واحد، و بعث الى البواب ان خل سبيله فخرج عمرو و هو يلتفت حتى امن قال لا عدت لمثلها ابدا فلما صالحه عمرو دخل.... فقال لعمرو و انت هو امير العرب، قال نعم: على ما كان من غدرك فعض العلج يده ندما و عرف انه هو.

عليه السلام ، و المكان الذى لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى و بنى إسرائيل ، و القبر الذى سار بصاحبه بطن الحوت الذى كان فيه يونس عليه السلام . فلمّا وقف ملك الروم على هذه المسائل و غيرها من المسائل أرسل الجواب إلى معاوية يقول : إن هذا الجواب الذى جاءتنى به ليس هو من كلامك إنما هو من بيت نبوتكم ، فعجب معاوية من فهم ملك الروم و قال : الحمد لله الذى رزق هذه الأمة العلم و جعل فيهم العلماء الذين[1] قال النبى صلى الله عليه و سلم فيهم : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل .

أخبرنى بعض الفقهاء بالإسكندرية قال : وقفت على المسائل المذكورة و هى نحو سبعين مسألة فى كتاب لبعضهم و ذلك فيما مضى من الزمان ، فالعلماء ورثة [٦٢ : ألف] الأنبياء و الحق سبحانه و تعالى علم آدم الأسماء كلها ، علمه كل شيء حتى[2] القصعة و القصيعة و هذا فرس و هذا حمار و أسماء ما كان و ما يكون و كل نسمة يخلقها إلى يوم القيامة ، و قال أبو الحسن الأشعرى : علّمه صنعة كل شيء و لماذا يصلح و فيما يتصرّف[3] ، قال : لأن الأسماء بلا معانٍ لا فائدة فيها ، و كيف ما كان الأمر فهو مرتبط بأحكام المخلوقات ، ثم شرف العالم بها حتى سجدت له الملائكة الكرام ، و فى معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام قولان : أحدهما أنهم سجدوا له تعظيما كما يسجد بعض الناس للسلاطين و قد كان هذا

(١) فى الأصل و بن : الذى (٢) فى بن : من .
(٣) فى بن : يصرف .

فى

فى بعض الملل ، قال الله تعالى "و رفع أبويه على العرش و خروا له سجدا[١]" و الثانى بأنهم أمروا أن يجعلوه قبلتهم فيسجدوا نحوه كما يسجد لناحية الكعبة ، و قيل إنهم أمروا أن يسجدوا بسجود آدم يقتدوا به و يجعلونه إمامهم . و ينبغى لطالب العلم أن يقرأ على شيخ مرشد أمين ناصح و لا يستبدّ بنفسه اتكالًا على ذهنه فالعلم فى الصدور لا فى السطور . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب عدد[٢] العلوم و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى . و قيل : إن سبب طلب معاوية الخلافة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة ، و قال معاوية : و الله! ما حملنى على طلب الخلافة إلا قول النبى صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ! إن وليت فاعدل ، و اعتقاد أهل السُّنّة تزكية جميع الصحابة و الثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم ، فمن قدح فى واحد من الصحابة فهو مبتدع ، و البدعة ما عمل على غير مثال سبق ، قال الله تعالى "وَالسّٰبِقُوْنَ الْاَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهٰجِرِيْنَ وَ الْاَنْصَارِ وَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِاِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوْا عَنْهُ[٣]" و ما جرى بين معاوية و علىّ كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية لعلى فى الإمامة ، إذ ظن على أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم و اختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها فرأى التأخير ، و ظن معاوية أن تأخير أمرهم

(١) قرآن كريم ١٢ : ١٠٠ .

(٢) فى ب : علة .

(٣) قران كريم ٩ : ١٠٠ .

مع جنايتهم يؤدّى إلى الإغراء بالأئمة ، و لم يذهب إلى تخطئة على ذى[1] تحصيل أصلا . و قد ثبت بالتواتر أنّ عليّا ما حارب أبا بكر فى طلب الخلافة ، و لو لم تكن إمامة [٦٣ : ب] أبى بكر حقا لحاربه كما حارب معاوية حين طلب الخلافة ، فلو كانت الخلافة حقّا لعلى ثم انه ما حارب الظالم على ظلمه لكان عاصيا و الإمامة لا تليق بالعاصى ، فصح إمامة أبى بكر رضى الله عنه ، و من أحسن مقامات الملك الناصر داود بن المعظم لما حضر الدرس بالمدرسة المستنصرية ببغداد والخليفة حاضر قال[2] الفقيه وجيه الدين القيروانى: أمتدح الخليفة بقصيدة - قال فيها :

لو كنت فى يوم السقيفة حاضرا كنت المقدم و الإمام الأورعا

يعنى سقيفة بنى ساعدة بمدينة يثرب و ذلك بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم ، فقال الملك الناصر داود للوجيه المادح و أشار إلى الخليفة : كان جدّ أمير المؤمنين هذا العباس بن عبد المطلب حاضرا يوم السقيفة و إنما كان المقدّم الأورع أبو بكر ، فقال الخليفة : نعم ، صدقت ! و خلع على الملك الناصر و نفى الوجيه القيروانى من بغداد إلى مصر . و لما قدم معاوية مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى خلافته دخل دار عثمان ابن عفان رضى الله عنه فقالت عائشة بنت عثمان : وا أبتاه ! تريد أنه يأخذ بثأر أبيها ممن قتله بداره ، فقال معاوية : يا ابنة أخى ! إن الناس

(١) فى الأصل و بن : ذو .

(٢) فى بن : قام .

أعطونا طاعة و أعطيناهم[1] أمانا و أظهرنا لهم حلما تحت غضب، و أظهروا لنا طاعة تحت حقد، و مع كل إنسان سيفه و هو يرى مكان أنصاره، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، و لا ندرى علينا أم لنا، لأن تكونى بنت عمّ أمير المؤمنين – يعنى نفسه – خير من أن تكونى من عُرض الناس.

و ولى معاوية الشام لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضى الله عنهما عشرين سنة، و أقام فى الخلافة عشرين سنة، و كانت هند أم معاوية ابن أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومى قبل أبي سفيان، و كان له بيت للأضياف يغشاه الناس فيه بغير إذنه، فتقيّل[2] أحد الأيام فى ذلك البيت و معه زوجته هند ثم خرج عنها و تركها نائمة فجاءها بعض من كان يغشى البيت فرأى هند نائمة فولّى خارجا، فاستقبله زوجها الفاكه، فدخل عليها فنبّهها و قال لها: من هذا الذى خرج من عندك؟ فقالت له: ما انتبهت حتى نبّهتنى، فقال لها: الحقى بأهلك، فخاض الناس فى أمرهم [٦٣: الف] حتى قال لها أبوها عتبة بن ربيعة: انبئينى شأنك، فإن كان صادقا دسست إليه من يقتله، و إن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهّان العرب، قالت: و الله يا أبتِ إنه لكاذب! فخرج عتبة إلى الفاكه فقال[3]: إنك رميت ابنتى بأمر كبير فإمّا بيّنتَ و إمّا حاكمتنى إلى بعض كهّان العرب، قال له الفاكه: لك

(١) فى بن: اعطونا.

(٢) فى الأصل و بن: فقيل.

(٣) زيد فى بن: له.

ذلك، فخرجا إلى الكاهن مـــع كل واحد منهما جماعة من قومه رجال و نساء، فلمّا شارفوا بلاد الكاهن تغيّر وجه هند، فقال لها أبوها: ألا كان هذا قبل خروجنـا فى الناس؟ قالت: و الله ما ذلك لمكروه قبلى! و لكننا نأتى بشرا يخطئ و يصيب و لعله يسمنى[1] بميسم يبقى علىّ الشبه للناس، قال لها: صدقت و سأستخبره، فصفر لفرسه، فأدلى، فعمد إلى حبة بُرّ أى قمحة فأدخلها فى إحليل الفرس ثم أوكأ عليها، فلمّا نزلوا على الكاهن قال له عتبة: إنّا أتيناك فى أمر و قد خبأت لك شيئا أختبرك بـه فما هو؟ قال: ثمرة فى كمرة، قال: أبين من هذا، قال: حبّة بُرّ فى إحليل مهر، قال: صدقت فانظر فى أمر هؤلاء[2] النسوة، فجعل يمسح على رأس كل واحدة منهنّ و يقول: قومى لشأنك-حتى بلغ هندا فقال: قومى غير رسحاء[3] و لا زانية، و ستلدين ملكا اسمه معاوية، فلمّا خرجت أخذ الفاكه بيدها، فأزالت يدها من يده و قالت: و الله لأحرصنّ أن يكون هذا الولد من غيرك. فتزوجها أبوسفيـان صخر بن حرب فولدت له معاوية، و هو الذى لا يجاريه أحد فى سعة حلمه. يقال إنه لمّا أفضى الأمر إليه أمر رجلا من قريش أن يسير إلى صاحب القسطنطينية فى أمر، فلمّا وصل إلى صاحب القسطنطينية كلّمه ملك الروم فجاوبه الرجل بجواب لم يوافقـه، فقام إليه رجل من بطارقته فوكزه، فقـال القرشى: وا معاوية! لقد أغفلت أمورنا و أضعتنا، فوصل الخبر إلى معاوية

(١) من بن، و فى الأصل: يسمئنى.
(٢) فى بن: هذه.
(٣) وقع فى الأصل و بن: رسخا-كذا.

فطوى عليه حتى احتال فى فداء الرجل القرشى ، فلمّا وصل إليه سأله عن أمره مع صاحب القسطنطينية و عن أمر البطريق الذى وكزه فى مجلس صاحب القسطنطينية[1] ، فلمّا عرّفه أرسل إلى رجل من قوّاد بلد صُور الذين[2] كانوا قوّاد البحر و كان معروفا بالنجدة و غزو الروم فى البحر و قال له : أنشئ مركبا يكون له مجاذف فى جوفه و استعمل السفر [٦٣ : ب] إلى بلاد الروم و أظهر أنك إنما تسافر إلى بلادهم على وجه السر و الاستتار منّا ، فاذا وصلت إلى صاحب القسطنطينية مكّنه من المال و احمل الهدايا إلى جميع وزراء صاحب القسطنطينية و لا تعرض لفلان - يعنى الذى وكز الرجل القرشى - و اعمل كأنك لا تعرفه ، فاذا كلمك و قال لك : لأى معنى تهادى أصحابى و تتركنى ، اعتذر إليه و قل له : أنا رجل أدخل لهذه المواضع مستترا و لا أعرف إلا من عُرِّفتُ به ، و لو علمت أنك من وزراء الملك لهاديتك كما أهادى أصحابك ، و لكنى إذا انصرفت إليكم مرة أخرى سأعرف حقّك . فلمّا انصرف لهم ثانية هاداه و ألطفه و أربى فى هديّته على أصحابه و جعل يؤهله حتى اطمأن إليه العلج ؛ فلمّا كان فى آخر المرار قال له ذلك البطريق : كنت أحبّ أن تجبى[3] لى من بلاد المسلمين بساط ديباج يكون على ألوان الزهر ،

(١) راجع فى خبر رسول معاوية إلى صاحب القسطنطينية « مروج الذهب » للمسعودى ، طبعة باريس ، ج ٨ ص ٧٥ - ٨٧ .

(٢) فى الأصل و بن : الذى .

(٣) فى الأصل : تجب - كذا .

قال له: نعم، فلمّا انصرف وصل الى معاوية فأخبره بما طلب، فأمر أن يشترى له بساط على ما وصف، و قال له معاوية: إذا دخلت خليج القسطنطينية ابسط البساط على ظهر المركب و تربّص حتى يصل الخبر إلى ذلك العلج و ابعث له فى السر حتى يأتى الى ضيعته التى على خليج القسطنطينية، و قد علم معاوية أن لذلك العلج ضيعة على ضفة الخليج، فإذا وصلت إلى حذاء[1] ضيعة العلج أرس بها لعلّه يحمله الشرّه على الدخول عندك فى المركب، فإذا تحصّل عندك ثبت رجالك بالذى بينك و بينهم من أمارة ليخرجوا المجاذيف التى[2] فى جوف مركبك للجذف و تمر به من ذلك الموضع راجعا إلى بلاد الإسلام، ففعل ما أمره به، فلمّا بسط ذلك البساط على ظهر مركبه عند الضيعة فأشرف العلج على المركب من طاق غرفته و رأى ذلك البساط حمله الحرص و النشاط على أن نزل و صعد على المركب، فحينئذ جذفت النواتية[3] جذفا قويا خارجين به من الخليج إلى البحر الواسع و جدّوا فى السفر حتى وصل به إلى معاوية، فأحضر معاوية ذلك الرجل القرشى و قال له: هذا صاحبك الذى وكزك؟ قال: نعم، قال له: قم فاصنع به ما صنع بك و لا تزد، فقام القرشى، وكزه كما كان فعل به العلج، و قال معاوية للعلج: ارجع إلى ملكك و قل له: تركت ملك الإسلام يقتّص لأصحابه من أصحاب بساطك!

(١) فى الأصل و بن: حدا.
(٢) فى الأصل و بن: الذى.
(٣) كذا فى الأصل و بن، والظاهر: النواتى.

و قال للقائد [٦٤ : الف] الذى أتى به : انصرف به إلى أول أرض الروم و أخرجه فيه و اترك له البساط ، فانصرف بــه إلى فم خليج القسطنطينية فوجد ملك القسطنطينية قد صنع سلسلة على قدر فم الخليج و وكل بها الرجال فلا يدخل الخليج إلا باذنهم، فأخرج القائد، رمى به على البر و كر راجعا ، فلمّا وصل العلج الى الملك و وصف له ما صنع به، قال : هذا ملك كبير الحيلة ! فعظم معاوية[1] فى أعينهم و كبر فى نفوسهم فوق ما كان . و كان معاوية طويلا مسمنا كبير العجيزة قصد الهامة جهم الوجه جاحظ العينين عظيم الصدر وافر اللحية يخضب لحيته بالحناء و الكتم ، و كان داهية ذا رأى و حزم فى أمر دنياه ، إذا رأى الفرصة لم يتوقف ، و إذا خاف دارأ عليه و إذا خاصم فى مقال قطع الكلام على مناظره ، و كان ذا سخاء و جود و حلم .

و كان من حلمــه أن رجلا قال له يوما : يا معاويـة ! زوّجنى أمك هند بنت عتبة ، فقال : و ما الذى أعجبك منها ؟ قـال : حسن عينيها ، و جمال أنفها ، و ملاحة فمها ، و ظرافة لفظها ، و حلاوة وجهها ، و رشاقة قدها ، و حالك شعرها ، و دعج طرفهـا ، و حمرة خدها ، و رقة شفتيها ، و لؤلؤية ثغرها ، و صقالة لونها[2] ، و غلظ كفلها ، و كبر هناها ، فلما فرغ من وصف ما ذكر قال له معاوية : اذهب إلى أخى فانه

(١) فى الهامش : معاوية .
(٢) زيد فى بن : و سعة صدرها .

أحكم عليها منى، فذهب [1] إلى أخيه [1] فوصف له ذلك، فجذب سيفه و ضرب عنقه، فنودى عليه: الصلاة على قتيل حلم معاوية.

و الحلم[2] هو تأخير العقوبة بعد الاستحقاق مع القدرة على إيقاعها، و مما حكى عن معاوية فى الحلم أنه صعد يوما المنبر فضربه رجل على كفله و قال: ما أشبهه بكفل هند - يعنى أم معاوية! فقال له معاوية: ذلك ما كان يحب منها أبو سفيان - يعنى به أباه[3] صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس. و من محاسن ما وصف به معاوية أنه صحابى ابن صحابى و[4] صحابية، أخو صحابى، [5] و أخته [5] صحابية[6] هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان، و ابن جدهم، و أنه كان عظيم الحلم و كاتب الوحى مع غيره من كتاب الوحى، و مغفور له حيث شهد له عمر بن عبد العزيز[7] فى الرؤيا المنامية حيث قال: غفر لى و رب الكعبة - إلى غير ذلك من مناقبه الجميلة التى من جملتها أنه صهر النبى صلى الله عليه و سلم، و سأذكر [٦٤: ب] المنام الذى رآه عمر بن عبد العزيز إن شاء الله تعالى، و هو أنه رأى فى منامه كأن

(١ - ١) فى الأصل و بن: لأخيه.
(٢) فى الهامش: الحلم.
(٣) من بن، و فى الأصل: ابوه.
(٤) زيد فى بن: امه.
(٥ - ٥) فى الأصل و بن: ابن اخت.
(٦) زيد فى بن: و.
(٧) زيد فى بن: بالجنة.

القيامة قد قامت ، و أنه رأى قبّة مضروبة و[1] نودى بأبى بكر ثم بعمر ثم بعثمان ثم بعلىّ ثم بمعاوية فدخلوا القبة ، ثم خرج علىّ و هو يقول : قضى لى و رب الكعبة ! و خرج معاوية و هو يقول : غفر لى و رب الكعبة ! فشهد عمر بن عبد العزيز من ذلك و من حوليهما بأن الحق كان مع على ، و لذلك قال : قضى لى ، لأن الله سبحانه تعالى لا يقضى إلا بالحق ، و قول معاوية : غفر لى ، دليل على إقراره بأن الحق كان مع على ، و ذلك فيما كان شجر بينه و بين معاوية فى حياتهما ، على أن لكل واحد منهما أجرا ، و زاد علىّ بأجر آخر بسبب الإصابة . و حجّ معاوية فى خلافته فلما صار بالأبواء بين المدينة و مكة اطلع فى بئر و هو محرم ، فلُقِى فأسرع حتى دخل مكة ، فاجتمع الناس إليه ، فدعا بعمامة فلفّ بها رأسه و شق وجهه ، ثم جلس و أذن للناس ، فلما استقر حمد الله و أثنى عليه و صلى على محمد صلى الله عليه و سلم ثم قال : لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلى ، و أرجو أن أكون منهم ، و لئن عُوفيت لقد عوفى الخاطئون قبلى ، و ما آمن أن أكون منهم ، و لئن مرض منى عضو لقد صحب[2] منى ، و ما لى على ربى أكثر مما صنع بى ، بل قد زادنى على قدرى و جاوزنى استحقاقى إنعاما و تفضّلا ، و قد بلغت السبعين و نلت الإمارة و الخلافة ، و لئن نَقم علىّ بعضُكم لقد رضينى آخرون ، و لئن نقصت عندكم عمن

(١) زيد فى بن : قد .

(٢) كذا فى الأصل ، و العبارة بها نقص و بياض فى « بن » [٤٦ : الف] ، و بالمعنى غموض قد يتضح باستبدال كلمة « صحب » بكلمة « صح » .

قبلى لأزيدنّ لكم على من بعدى ، و إذا اختبرتم عرفتم ؛ فرحم الله امرءا دعا لى بالعافية ! فارتجّت الأصوات بالدعاء و البكاء ، فقال له مروان ابن الحكم : ما يبكى أمير المؤمنين و إنه لوثيق العمود ، صلب العود ، قال : كبر سنى ، فرقّ قلبى ، و أسرعت دمعتى ، و ما ذاك[1] شيء فى عملى ، ثم نهض و أنشد :

و ما هى إلا علّـــةبعـــد علّة إلى العلّة الكبرى و تلك هى التى

و مما قيل فى معناه :

ألذّ بما أهواه و الموت دونـه كشارب سمّ فى إناء مفضّض
فيوشك أمراضى تحلّ بمرضة تفرّق ما بينى و بين ممرّضى

قال المسعودى[2] فى كتاب التنبيه على تواريخ الأمم : كان على بن أبى طالب رضى الله عنه شديد الأدمة ، عظيم البطن ، أبيض الرأس [٦٥ : الف] و اللحيـة ، تملأ لحيتـه صدره ، لا يغيّر شيبه ، عظيم البطن ، عظيم العينين ، أفطس الأنف إلى القصر ، دقيق الذراعين ، لم يصارع قط أحدا إلا صرعه . و كانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . و الخلفاء خمسة لا سادس لهم : [3]أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ابن عفان ، ثم على بن أبى طالب ، ثم الحسن بن على ؛ فهؤلاء الخمسة هم الخلفاء ، و البقية ملوك ، كما روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنـه

(١) كذا ، و فى بن : زاد .
(٢) فى الهامش : الإمام علىّ .
(٣) زيد فى بن : وهم .

قال: الخلافة بعدى ثلاثون سنة و بعدها ملك[1] . و لما جرى الصلح بين الحسن بن على و بين معاوية بن أبى سفيان على رأس الثلاثين سنة قال له معاوية: قم فاخطب الناس و اذكر ما أنت فيه، فقام و خطب الناس و قال: «أيها الناس! إنّ الله هداكم بأوّلنا، و حقن دماءكم بآخرنا، و قد كانت[2] لى فى رقابكم بيعة، تحاربون من حاربت، و تسالمون من سالمت، و قد سالمت معاوية» و أشار بيده إلى معاوية و قرأ «وَ اِنْ اَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَ مَتَاعٌ اِلٰى حِيْنٍ»[3] . و من نظم على بن أبى طالب رضى الله عنه حين تأذّى من بعضهم فقال:

لنحن على الحوض ذُوّاده[4] نـذود و يُسعَـد وُرّاده[5]
و ما فاز من فاز إلّا بنا و ما خاب من حُبّنا[6] زاده
و من سرّنا نال منّا المنى و من ساءنا ساء ميلاده
و من كان غاصبنا حقّنا فيوم القيامة ميعاده

روى أن أمير المؤمنين معاوية كان جالسا فى يوم شديد الحر لا نسيم له إذ نظر أمامه و إذا هو برجل يحجل فى مشيته من شدة حرّ الأرض فقال لمن حوله: هل خلق الله أشقى من هذا الرجل الذى احتاج إلى

(١) فى بن: ملوك .
(٢) فى بن: كان .
(٣) قرآن كريم ٢١ : ١١١ .
(٤) من بن، و فى الأصل: وراده .
(٥) فى بن: رواده .
(٦) فى بن: يحبنا .

الحركة فى مثل هذا الوقت؟ فقال له بعض جلسائه: لعلّه يقصد أمير المؤمنين، فقال: و الله إن قصدنى لأعطينّه و لئن استجار بى لأجيرنّه، يا غلام! قف بالباب إن طلب الدخول لا تمنعه، فوقف الغلام بالباب، فما وصل إليه حتى قال له الغلام: من أنت؟ قال: من بنى عذرة، قال: قد أذن لك أمير المؤمنين فى الدخول، فدخل و النار تتوقد من فيه، فوقف بين يديه منشدا:

معاوى يا ذا الفضل و الحلم و العقل   و يا ذا الندى و الجود و العلم و الفضل
[٦٥: ب] ففرّج كلاك[1] الله عنى فاننى   لقيت الذى لم يلقه[2] أحـــد قبلى
و كنت أرجّى عـــدله إذ أتيتـه   فأكثر تـرددى مع الحبس و الـكبل
فطلقتها من جهد ما قد أصـابنى   فهذا أمير المؤمنين من العدل
فجد لى بانصاف من الجائر الذى   بلانى بشىء كان أيسـره قتلى

فقال له معاوية: مهلا على نفسك يا أخا العرب! أوضح عن أمرك، و افصح عن قصّتك، فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! كانت لى ابنة عم جميلة و أنا مشغوف بها و اسمها سعاد، و كانت لى صرمة من الإبل و شويهات[3] فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتنى نائبة الزمان و حادثات الدهر رغب عنى أبوها، و كانت جارية منها الحياء و الكرم فكرهت مخالفة أبيها، فأتيت عاملك مروان فشكوت[4] إليه، فأمر باحضاره[5]

(١) فى الأصل و بن: كلال.
(٢) فى بن: لم يلق.
(٣) من بن، و فى الأصل: شويهيات.
(٤) فى بن: شكانى.
(٥) فى بن: باحضارى.

و إحضارها

و إحضارها، فلمّا رآني و رآها صار لي خصما و عليّ منكرا، فقال[1]: طلقها، فقلت: لا، فأمر جماعة من غلمانه أن يعذّبوني بأنواع العذاب، فلم أجد من ذلك بدا أن طلقتها، فأسجنني[2] حتّى انقضت عدّتها [3]فتزوّج بها[3]، و قد جئتك مستصرخا مستغيثا، فإن أنت أنصفتني منه و إلّا شكوتك و إيّاه إلى الله تعالى الذي لا تضيع ظلامتي لديه، ثم بكى و قال في بكائه:

في القلب مني نار و النار فيها شنار[4]
و في فؤادي جمر و الجمر فيه شرار[5]
و الجسم مني نحيل و اللون فيه اصفرار
و العين تبكي بشجو فدمعها مدرار
و الحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليل و لا نهاري نهار

[6]فرقّ له معاوية و قال: مهلا يا أخا العرب على نفسك! و قال: عليّ

(١) زيد في بن: لي.
(٢) في بن: و احتبسني.
(٣-٣) في بن: فتزوجها.
(٤) في بن: شرار.
(٥) في بن: استعار.
(٦) زيد في بن: قال سيبويه في الليل و النهار اما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في بطن منحوت من السياح فلما سمع معاوية من الأعرابي ذلك.

بدواة و قرطاس ، فجيء بذلك ، فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم ؛ أما بعد فقد تعديت الدين ، و هتكت حُرم المسلمين ، و تخيرت من المعاصي أعظمها ، و من الجرائم أكبرها ، و ينبغي لمن يكون واليا مثلك أن يغضّ بصره عن شهواته ، و يقمع [٦٦ : الف] نفسه عن لذّاته ، فقد أتاني الأعرابي مستصرخا ، فان رددت ظلامته و إلّا أعطي الله يمينا لا أكفرها : لأجعلنّك لحما بين عقبان ، و شلوا بين غربان ، و كتب في آخره أبياتا من الشعر[1] و هي :

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه أستغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفيا له كتب من الفرائض أو آيات فرقان
حتّى أتاني الفتى العذري منتحبا يشكو إليّ بحق غير بهتان
أعطي الإله عهودا لا أخيس بها و لا تبرّيت من دين و إيمان
إن أنت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنّك لحما بين عقبان
طلّق سعاد[2] و فارقها بمجتمع و اشهد على ذاك[3] نصرا و ابن ظبيان
فما سمعتَ كما بُلغت من عجب و لا فعالك حقّا فعل إنسان

فلمّا ورد كتاب معاوية على مروان تنفس الصعداء و قال : وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني و بينها سنة ثم عرضني على السيف ، و جعل يؤامر

(١) على هامش الورقة ملاحظة بخط آخر « في نسبة هذه الأبيات إلى معاوية » و نصها الكامل غير واضح ، و خلاصتها قد تكون أن « الأبيات مصنوعة » .
(٢) في بن : سعادا .
(٣) في الأصل و بن : ذلك .

نفسه فى طلاقها و لا يقدر، فلمّا أزعجه الوفد طلقها، ثم قال: يا سعاد! اخرجى، فخرجت شكلة غنجة ذات[1] هيئة و جمال، فلمّا رآها الوفد قالوا: ما تصلح هذه إلّا لأمير المؤمنين لا لأعرابى. و كتب مروان جواب كتابه يقول «بسم الله الرحمن الرحيم، من مروان بن الحكم عبد مولاى أمير المؤمنين الجليل حضرته:

لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد   أوفى بنذرك فى رقّ و إحسان
و ما أتيت حراما حين أزعجنى   فكيف ادعى بفعل الخائن الزانى
فسوف تأتيك شمس ليس يدركها   عند الخليقة من إنس و لا جان
حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت   أقول ذلك فى سرّ و إعلان

ثم جهّزها و أرسلها إلى معاوية، فلمّا رآها أعجبه منها ما أعجب غيره فقال: إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهى أكمل البرية، فاستنطقها فاذا هى أحسن الناس كلاما و أكملهم شكلا و دلّا، فقال: يا أعرابى! هل من سلوة عنها؟ قال: نعم إذا فرّقت بين رأسى و جسدى، ثم أنشأ يقول:

لا تجعلنى و الأمثال تضرب بى   كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب   يمسى و يصبح فى همّ و تذكار
[٦٦: ب] قد شفه قلق ما مثله قلق   و أسعر القلب منى[2] أىّ إسعار
و الله و الله لا انسى محبّتها   حتّى أغيّب فى رمس و أحجار

---

(١) فى الأصل و بن: ذا.

(٢) فى بن: منه.

كيف السلو و قد هام الفؤاد بها   و أصبح القلب عنها غير صبّار

قال : فغضب معاوية غضبا شديدا ، فقال الأعرابي: استغثت على جور أبيها بعدل مروان فجار، فاستغثت على جور مروان بعدلك ، فان جرت ليس لى من أستغيث به عليك إلا الله تعالى ، فقال معاوية : يا أعرابي! أعطيك عوضها ثلاث بنات نُهد أبكار كالأقمار و أُطلق لك و لهنّ من بيت المال ما يقوم بك و بهن و بكسوتك و كسوتهنّ ، فقال : و الله لو أعطيتنى ما حوته الخلافة ما تسلّيت عنها ! فقال: يا أعرابي ! ما الأمر الك ، أنت مقر بأنّك طلّقتها و مروان مقرّ بأنّه طلّقها ، و نحن نخيّرها إن اختارت غيرك - و عنى بذلك نفسه - رددناها إليه ، و إن اختارتك عقدنا لك عليها بعد وفاء عدّتها من مروان ، ثم قال لها : أيما[1] أحبّ إليك أمير المؤمنين وعزّه و شرفه و ملكه و ما تصيرين إليه عنده أو مروان و فسقه و ظلمه و ما تصيرين إليه عنده أم هذا الأعرابي و جوعه و فقره و برده و ما تصيرين إليه عنده؟ فأطرقت ساعة و قالت :

هذا و إن كان ذا قلّ و إقتار   أعزّ عندى من أهلى و من جارى

و صاحب التاج أو مروان عامله   و كل ذى درهم عندى و دينار

ثم قالت : أما شرف أمير المؤمنين فلا نزاع فيه غير أنّه لا يحصل لى وحدى ، و أمّا مروان و إن كان ظالما جائرا فذلك متعلق بذمة أمير المؤمنين فالواجب عليه عزله ، و أما هذا الأعرابي فانه ابن عمى و عضو مفصلى ، و لى معه صحبة لا تبلى ، و محبة لا تنسى ، و لم أصحبه

(١) من بن ، و فى الأصل : اما .

إلا لغدرات الزمان و نكبات الأيام، و قد تنعمت معه فى السراء، فأنا أحقّ من صبر معه فى الضرّاء. فاستحسن معاوية منها ذلك، و رسم لها و له بعشرة آلاف درهم و ناقة [١]و وطاء[١]، [٢]فأدخلت القصر، أقامت به [٣]حتى انقضت عدّتها من مروان، ثم أمر [٤]بدفعها إلى الأعرابى بعد أن عقد له عليها[٤]. فانظر يا هذا إلى كرم معاوية و جوده و حلمه فى طلبه[٥] من الأعرابى السلو[٦] عنها فلم يرض، و طلب من المرأة أن تختاره فامتنعت[٧]، و مع ذلك أحسن إليهما، و بالغ [٦٧ : الف] فى إكرامهما، ثم انظر إلى مروءة هذه المرأة و وفائها لزوجها، و رضاها به مع فقره، و تركها ما عرض عليها من العزّ و الشرف و هى تأبى إلا الوفاء لزوجها، و هذا غاية [٨]الوفاء و الكرم[٨].

و سأذكر حكاية أوفى و أبلغ من حكاية الأعرابية لأن هذه الأعرابية وفت لبعلها فى حال حياته و هو يشاهدها و يراها و هى أيضا تشاهده و تراه، فعسى أن يكون استحيت منه و اختارته على غيره بسبب ذلك.

(١-١) فى بن: ورقاء.

(٢) زيد فى بن: و أمر بها.

(٣) زيد فى بن: عند الجوارى.

(٤-٤) فى بن: تزويجها للأعرابى فتزوجها و انصرف بها.

(٥) فى بن: طلبها.

(٦) فى بن: و سلوه.

(٧) فى بن: و رضيت بفقر الأعرابى.

(٨-٨) فى بن: المروءة و الوفاء.

و فى الحكاية التى أذكرها الآن وفاء أعرابية لزوجها بعد وفاته و لبثه بقبره سنين، و ذلك ما حكاه الأصمعى قال: سمعت رجلا من بنى تميم يقول: ضلّت إبل[1] لى فركبت قعودًا وخرجت فى طلبهن فأتعبنى ذلك، فصرت إلى بلاد عذرة فاذا ببيت منتبذ عن الأخبية ليس بقربه أنيس و إذا على بابه جويرية كاشفة برقعها كأن وجهها سيف صقيل اغشى نوره بصرى، فوقفت بها فقالت: ما حاجتك؟ قلت: إبل لى أضللتها فهل عندك شىء من علمها؟ قالت: أفلا أدلّك على من عنده علمهن؟ قلت: بلى، قالت: الذى أعطاكهن هو الذى أخذهن فاطلبهن من طريق اليقين لا من طريق الاختبار، ثم انها لما رأتنى متأملا لها أرخت البرقع و قالت: يا عم! انزل على بركة الله و إن أحببت قرى كان لبنا أو ماء، قال: فأنخت و نزلت، قالت: ما تشاء؟ قلت: لبنا، فولّت كأنها قضيب يتثنى فأخرجت قعبا مملوءا لبنا، فشربت حتى رويت ثم استلقيت على ظهرى من التعب فقلت: يا حبيبتى! ما اسمك؟ قالت: علوة، فقلت لها: يا علوة! هل لك من بعل؟ قالت: قد كان فدعى إلى ما منه خلق - ثم أنشدت تقول:

إذا دجا الليل أحيى لى تذكره و الصّبح يبعث أشجانا على شجنى
و كيف ترقد عين صار مؤنسها بين التراب و بين القطن و الكفن
أبلى الثرى و تراب الأرض جثته كأنّ صورته الحسناء لم تكن
أبكى عليه حنينا حين أذكره حنين والهة حنّت إلى وطن
أبكى على من حنت ظهرى مصيبته و طيّر النوم عن عينى و أرّقنى

(١) من بن، و فى الأصل: ابلا.

تالله لم أنس[1] حبّى[2] الدهر ما سجعت حمامة أو بكى طير على فنن

فقلت عند ما رأيت من جمالها و حسن وجهها و فصاحتها و شدة جزعها [٦٧ : ب] : هل لك فى بعل لا تُذَمّ خلائقه و يأمن ألفه بوائقه ؟ فاستعبرت باكية ثم قالت:

كنّا كغصنين فى عود غذاؤهما ماء الجداول فى روضات جنّاتِ
فاجتثّ خيرهما من جنب صاحبه دهر يكرّ بفزعات و ترحات
و كان عاهدنى إن خاننى زمن أن لا يضاجع أنثى بعد مثوات
و كنت عاهدته أيضا فعاجله ريب المنون قديما مذ سنيات
فاصرف عنانك عمن ليس يصرفها عن الوفاء خلاف فى التحيّات

قال: ثم جهدتها على أن تربنى الطريق أو تكلمنى[3]، فأبت علىّ بذلك فانصرفت و فى قلبى كجمر الغضا من محبتها، ثم أنشأ يقول:

خليانى من الملام كفانى أنا صبّ بحب علوة فانى
زمزموا لى بذكرها فهى روحى و حياتى نعم و كل الأمانى
إن تفانيت فهى عين وجودى هكذا الحب لا عدمتُ التفانى
أو تزرنى فيا فؤادى تهنّا لا أبالى بكل من قد جفانى

و لبعضهم فى معنى أبيات علوة المذكورة:

اثنان كنا لهذا الحبّ مذ خُلقا دُمنا و دام نعيم الوصل متّفقا

(١) فى الأصل: لم انسى ، و فى بن: ما انسى .
(٢) فى الأصل و بن : حبيى .
(٣) من بن ، و فى الأصل : تكلمت .

كنّا كغصنين فى فرع نخانهما ... ريب المنون[1] الذى قد جار فافترقا
فاصفرّ عودهما من بعد خضرته ... و أسقط البين من أغصانه الورقا
يمرّ هذا على ذا لا يكلّمه ... و قلب هذا على هذا قد احترقا
ليت الغراب الذى نادى بفرقتنا ... هبّت عليه رياح النار فاحترقا

و لبعضهم فى معناه:

أطيب ما كنّا تفرّقنا ... يا ربّ جمّعنا كما كنّا
كنا كغصنى بانة فى الثرى ... أو خيزران قد تعانقنا
غصنين ملتفّين هذا بذا ... فمن رآنا ظنّنا غصنا
صاح الغراب بنا فأزعجنا ... فبعد جمع و وصل قد تفرّقنا

قال المقدسى فى معنى نعيق الغراب[2] إن نعيقة منذر بفرقة الأحباب، و لقد سمعت صوت غراب قد تجلبب من الحداد بجلباب، و رضى بين العباد بتسويد الثياب، فناديته: أيها النادب! لقد كدّرت [٦٨ : الف] ما كان صافيا، و مرّرت ما كان حلوا شافيا، فما بالك لم تزل[3] فى البكور ساعيا، و على الربوع ناعيا، و فى البين داعيا؟ إن رأيت شملا مجتمعا أنذرت بشتاته، و إن شاهدت ربعا مربعا بشرت[4] بدروس عرصاته، فأنت لذى الخليط المعاشر أشأم من قاشر. فنادانى بلسان زجره الفصيح،

(١) فى بن: الزمان.
(٢) فى الهامش: نعيق الغراب.
(٣) فى بن: لم تكن.
(٤) فى بن: صحت.

و أشار

و أشار بعنوان حاله الصحيح، و قال: أنت لا تفرّق بين الحسن و القبيح، و تساوى لديك العدو و النصيح، لا تفهم بالكناية و لا بالصريح، فكأن المواعظ فى أذنيك ريح، أمَا تذكر ارتحالك من هذا الفسيح، إلى ضيق الضريح؟ أمَا بلغك ما جرى على أبيك آدم و هو ينادى على نفسه و يصيح؟ أمَا يكفيك ما تمّ على داود و هو يبكى بجفنه القريح؟ أمَا تعتبر بنواح نوح على دار ليس فيها مستريح؟ ألا ترى إلى إبراهيم و هو فى النار طريح؟ أما تقتدى بصبر الذبيح؟ أىّ جمع لم يتفرّق؟ و أىّ شمل لم يتمزّق؟ فكيف تلومنى على نواحى؟ و لو علمت ما فى صلاحك و صلاحى لا تشحت بوشاحى، و وافقتنى فى سواد جناحى[1] .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعّب و تسلسل إلى أن خرجنا عمّا كنّا فيه من الملحمة فلنرجع إليها، قال الباجربقى[2] فيها:

يا مسلمين اغنموا المال فاض و كنز بالفرات و عند الرستن الشتن
حوافر الخيل أبدت ذاك طالعة بشاهق كعسيب أو كما الغصن

قوله: هذا يدلّ على أن المسلمين تنتصر على القوم الكافرين بعد إقامة الروم بالشام كما قال الباجربقى[2] :

---

(١) راجع فى موضوع نعيق الغراب :

Garcin de Tassy : Alle'gories, re'cits poe'tiques et chants populaires 2nd. ed., Paris 1876, pp. 48-51 ; Alle'gorie 28, Le corbeau, par Izz-al-Dīn al-Muqaddasi.

و انظر أيضا فيما بعد من هذا النص ١٢٣ : الف « مقامة الغراب » .

(٢) فى الأصل : البجربقى ، و قد احتفظنا بوضع الكلمة فيما سبق بالورقات ٥٧ : الف ، ٥٨ : ب .

قد طُهّرت من جميع الروم أرضكم   لم يبق إلّا أسير القوم مرتهن

يعنى أنّ المسلمين يقتلونهم و يخرجونهم من الشام و يغنمون[1] أموالهم، و يظهر كنز بالفرات تثيره حوافر الخيل، و يستغنى[2] المسلمون غناء كثيرا. عن عبد الله بن عمر[3] قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الخندق و هم يحفرون حول المدينة، فتناول رسول الله صلى الله عليه و سلم الفأس فضرب به ضربة فقال: هذه الضربة يفتح الله بها كنوز الروم[4]، ثم ضرب الثانية فقال: هذه الضربة يفتح الله بها كنوز فارس. و كلام الباجربقى [٦٨: ب] يشير إلى[5] أنه سيظهر كنز بالفرات كما ستظهر كنوز فرعون بأرض مصر.

حكى أنه كان على عهد فرعون يوضع الربع من خراج بلاد مصر فى كل سنة فيدفن لنائبة تنزل أو جائحة، فهى كنوز فرعون التى تتحدث الناس بها أنها ستظهر فيطلبها الذين يطلبون الكنوز و المطالبة.

عن أبى قبيل قال: خرج وردان من عند الأمير مسلمة فمرّ على عبد الله بن عمر مستعجلا فناداه: أين تريد يا وردان؟ قال: أرسلنى[6] الأمير مسلمة أن آتى مصر القديمة فأحفر له عن كنوز فرعون، قال:

---

(١) فى الأصل و بن: يغنموا.

(٢) فى الأصل: تستغنى، و فى بن: ستغنى.

(٣) من بن، و فى الأصل: عمرو.

(٤) انظر أيضا ١١٧: الف.

(٥) فى الأصل و بن: على.

(٦) فى بن: أخرجنى.

فارجع إليه و أقرئه عنى السلام و قل له إنّ كنوز فرعون ليست لك و لا لأصحابك ، إنّما هى للحبشة[1] ، إنهم يأتون فى سفنهم يريدون مصر ، فيسيرون حتى ينزلوا[2] مصر فتظهر لهم كنوز فرعون ، فيأخذون منها ما يشاءون فيقولون: ما نبغى غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون و يخرج[3] المسلمون فى آثارهم فيدركونهم فيقتتلون ، فتنهزم الحبشة ، فيقتلهم[4] المسلمون و يأسرونهم حتى أن الحبشى ليباع بالكساء .

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا . و فى رواية : عن جبل من ذهب ، فقيل إنه إذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله لم يوثق بالبركة من الله فيه ، فكان عدم الأخذ منه أولى . و قيل إنه ظهر بأرض الفرات كنز كبير ، كما حكى أن بعض الصيادلة كان يطوف القرى يبيع على أهلها ما معه من اللبان و الناطف و الإبر و الخيوط

(١) راجع فى هذا الموضوع « حسن المحاضرة » للسيوطى ج ١ ص ٧٢ حيث يرد فى الفصل الذى عنوانه « ذكر ما يقع بمصر قرب الساعة » ما يأتى : « يأتى العام الثانى رجل من الحبشة يقال له أسيس و قد جمع جمعا عظيما فيهرب المسلمون منهم من اسوان حتى لا يبقى فيها و لا فيما دونها احد من المسلمين إلا دخل الفسطاط ، فينزل اسيس بجيشه منفا فيخرج إليهم راية المسلمين على الجيش فينصرهم الله عليهم فيقتلونهم و يأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة » .

(٢) فى الأصل و بن : حتى ينزلون ـ كذا .

(٣) فى الأصل : تخرج .

(٤) فى الأصل : فتقتلهم .

و غيرها ، فأخرجت امرأة من بيتها شخصا[١] من النحاس على صفة قرد صغير عليه نقش ، فلما رآه الصيدلانى استحسن شكله فقال لها : ما تريدين بهذا ؟ قالت : أعطنى[٢] بـه مما معك ، فدفع لها من كل شيء معه قليلا و مضى بـه إلى منزله ، و كان يسكن ببلد على شاطئ الفرات ، فقال لزوجته : انظرى إلى صفة هذا الشخص النحاسى[٣] الذى هو على صفة قرد و ما أحسن صناعته ! فأخذته المرأة و نظرته فأعجبها حسن صنعته و لطيف هيئته ، ثم إنها وضعته على الأرض فما استقر عليها إلّا و قد صار يرقص رقصا كثيرا[٤] ، فاندهلت المرأة و زوجها من رقصه[٥] و مما عاينا[٦] من فعله ، فرفعاه[٧] و وضعاه فى مكان آخر من الدار [٦٩ : الف] فبطل رقصه[٥] ، فرجعا بـه إلى المكان الأول فرقص[٨] ، فقالا : ما رقص هذا الشخص فى هذا المكان دون غيره[٩] إلا و فيه[١٠] سرّ من الأسرار ، فأخذ الرجل المسحاة

(١) فى الأصل : شخص ــ كذا .
(٢) فى الأصل : اعطينى ــ كذا .
(٣) فى الأصل و بن : النحاس .
(٤) فى بن : و يقفز قفزا .
(٥) زيد فى بن : و قفزه .
(٦) فى بن : عاينت .
(٧) زيد فى بن : من ذلك المكان .
(٨) فى بن : فعاد الى الرقص و القفز .
(٩) زيد فى بن : من الدار .
(١٠) فى بن : فى الأرض .

و حفر ذلك المكان ، فظهر له طابق فرفعه ، فوجد سردابا فنزله ، فوجد قاعة[1] ترهج بالذهب و الجواهر ، فاستدعى الرجل زوجته ، فرأت ما حيّر عقلها ، فأخذا منه ما اختارا من غير مانع منعهما[2] ، ثم إنهما رزقا ولدا

(١) زيد في بن : لها باب مقفل و مفتاحه في قفله و دخل القاعة فرآها .

(٢) زيد هنا في بن [٤٩ : ب] ما يلي : فقال الرجل لزوجته : هذا مال حصل لنا من عند الله تعالى ، فان أظهرناه فسد و أخذ منا و يقول الناس : هذا لم نعرفه الا صيدلانيا فمن اين له هذا المال ؟ فقالت له زوجته : احتل حيلة ، فيكتب كتابا يقول فيه : من عند اخيه فلان الى عند الأخ العزيز سهل ، انى بأرض الهند و قد حصل لى مال جزيل و خفت الموت فتحضر تأخذه فأنت اولى به من الغير ، و طوى الكتاب وختمه و كتب عنوانه يصل الى البلد الفلانى بأرض الفرات يسأل عن سهل بن عبد الله يدفع له ، و خرج من داره ينظر شخصا غريبا هنديا يدفعه إليه ليجعله كأنه اتاه به من أخيه من الهند ، فوجد رجلا هنديا فدفع له الكتاب وقال له تقص (في بن : تقصى) من الناس عن دارى و أتنى بالكتاب و لك هذا الدينار ، فتقصى الهندى عن داره ، فأرشده الناس الى دار الرجل فدفع له الكتاب بحضرة الجيران ، ففتحه و قرأه بينهم ، فشاع الخبر و فشا فى الناس ، فتجهز للسفر و ملأ خرجا بالذهب وخاطه كأنه هدية لأخيه و ودع الناس و سافر ، فغاب نحو السنة و يضع به من الذهب الذى استصحبه معه بهارا كثيرا و امتعـة و أقمشة هندية وأتى إلى بلده بها فحسد به على تلك الوراثة التى أتى بها يزعمون أنها وراثة حقيقة ، و نفعته تلك الحيلة التى دبرها و صـار تاجرا . . . . لبعض رزقك الله ما رزق سهل الصيدلانى ، ثم رزق من . . . . في النعمة الغزيرة والمال الجزيل الى كبر و نجب و رأس و دعى . . . . . . أمير المؤمنين المأمون تزوج بابنته بوران بنت الحسن بن سهل . . . . صفة تزويج أمير المؤمنين لها وما فعله الحسن بن سهل للمأمون . . . . . . فلنرجع الى ما قاله الباجربقى فى ملاحمته » . =

سمياه الحسن، و كان أبوه اسمه سهلا، فربّياه إلى أن كبر، فنجب و رأس إلى أن صار وزيرا للمأمون، فتزوّج المأمون ابنته بوران بنت الحسن بن سهل لكثرة ما عنده من الأموال، و كان أصل ذلك المال من ذلك الكنز.

و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب[1] ما عمله الحسن بن سهل للمأمون ليلة زفافه على ابنته بوران - إن شاء الله تعالى، فلنرجع إلى ما قاله الباجربقي[2] في ملحمته :

و ما لهم عودة إلا إذا ظهرت بيارق النصر للاسلام باليمن
شين له أثر من تحت سُرّته له القضاء قضى سيف بن ذى يزن

اختلف[3] الناس لم سُمِّى اليمن يمنا، فمنهم من زعم انما سمى يمنا لأنه عن يمين الكعبة إذا استقبلت الشمس من مطلعها، كما سمى الشام[4] شاما إذ كان عن شمال الكعبة، و سمى الحجاز حجازا إذ كان حاجزا بين اليمن و الشام، و من الناس من يزعم انما سُمِّى يمنا لأن الناس حين تفرّقت ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس و بعضهم شمالها، فسميت بهذا

= و عبارة «بن» فيها بعض الخلل الواضح، ولكن مضمونها يكمل ما ورد فى نص «بر».

(١) لا يوجد خبر عن ذلك فيما يلى من نص هذا الكتاب.

(٢) فى الأصل : البجربقى، و صحته وردت فيما سبق من النص و الحواشى.

(٣) فى الهامش : لم سمى اليمن يمنا، لم سمى حجازا، لم سمى شاما.

(٤) انظر الورقة ٥٧ : الف.

الإسم يمنا و شاما[١] .

(١) زيد هنا فى « بن » [٥٠ : الف] ما يلى : وقال الكلبي : سمى اليمن يمنا لأن يقطن بن غابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام أقبل بعد خروج ثلاثة عشر من ولد أبيه فنزل موضع اليمن ، فقالت العرب : تيمن بنو يقطن فسميت باليمن ، و لما جاء اهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوبا منكم ، وقال : الإيمان يمان و الحكمة يمانية و الإسلام يمان ، وقال : أهل اليمن زين الحاج ، و قد قال مجاهد فى قوله تعالى « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه » هم أهل اليمن . و قدم رجل على نعمان بن المنذر . . . . العرب ، فقال : أخبرنى عن أهل اليمن ، فقال : أكثر الناس مستندا و أكثرهم جمعا ، قال : أخبرنى عن بنى عامر . . . . . أعجاز النساء ، و أعناق الظباء . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا تعذر أحدكم الملتمس فعليه بهذا الوجه . . . . إلى اليمن . و قوله تعالى « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » [قرآن كريم ٤٧ : ٣٨] . قال : أهل اليمن ، وفى اليمن ثلاثة وثمانون (وفى بن : ثمانين) منبرا و أربعون (فى بن : اربعين) محدثة ، و سميت صنعاء بصنعاء بن ارك ابن يقطن و هو الذى بناها ، و قوله تعالى « بلدة طيبة و رب غفور » [قرآن كريم ٣٤ : ١٥] قيل صنعاء ، و قوله تعالى « غدوها شهر و رواحها شهر » [قرآن كريم ٣٤ : ١٢] قال : كان سليمان بن داود عليه السلام يغدو من اصطخر و يروح بصنعاء و يستعرض الشياطين بالرى . قال و صنعاء اطيب البلدان و هى طيبة الهواء ، كثيرة الماء ، يشتون مرتين ، و يصيفون مرتين ، و باليمن من انواع الخصب و غرائب الثمر و طرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت فى بلاد الأكاد الأكاسرة و القياصرة ، و قد تفاخرت الروم و فارس بالبنيان و تنافست فيه فعجزوا عن مثل قصر غمدان و مارد و مزواج و بينون و سلحان و هند و هنيدة . . . . . . قال الشاعر :

أبعد (فى بن : بغمد) بينون لا عين ولا أثر   و بعد سلحين يبنى الناس بنيانا =

فالباجربقى[1] يشير إلى أن الكفار يعودون إلى الشام بسبب الحرب بعد كسرتهم ، و يأتى قوم من اليمن لنصرة المسلمين يقدمهم من فى اسمه حرف الشين ، يقضى كقضاء سيف بن ذى يزن .

و سيف هذا هو أبو معدي كرب الحميرى الذى استنصر بكسرى أحد ملوك الفرس على الحبشة الذين ملكوا اليمن من حمير ، فنصره عليهم بسرية أرسلها معه فى البحر[2] و هم ألفان[3] يقدمهم وهرز الفارسى ، فقال سيف لوهرز : ما تنفع ألفان[4] فى خمسين ألفا ، فقال له وهرز : إن الحطب الكثير تحرقه الشعلة من النار ، و برزت الألفان[5] لسلطان الحبشة

= و لأهل اليمن الخط ..... و عقد الجمل و الحساب و الخط الحميرى . و يعمل العقيق من مخاليف صنعاء ، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : قال لى جبريل : يا محمد ! أ تدرى ما العقيق ؟ فقلت ...... بالوحدانية و لى بالرسالة و لك بالنبوة و لعلى بالوصاية و ذريته .... و اليمن معدن الجزع و هو أنواع و جميع هذه الأنواع من معدن العقيق . و قال الأصمعى .... و هى لا تكون الا باليمن الورس و الكندر و الخضر و العصب ، و لأهل اليمن الحلل ... و الشب اليمانى و هو ما ينبع من قنة جبل فيسيل على جانبه .... اليمانى الأبيض و لهم الورش و هو شىء يسقط على الشجر كالترنجبين - انتهى » .

(١) فى الأصل : البجربقى ، و صحته وردت فيما سبق من النص و الحواشى .
(٢) زيد فى بن : الملح .
(٣) فى الأصل : ألفين ، و فى بن : الذين .
(٤) فى الأصل : الفين .
(٥) فى الأصل و بن : الألفين - كذا .

و لجنوده ، فرماه وهرز بنشّابة فلقت ياقوتة كانت معلّقة بعلاق من الذهب قبالة وجهه ، فتغلغلت فى دماغه ، فخرّ مسروق ملك الحبشة ميتا ، و حملت الألفان[١] على [٦٩ : ب] جنوده فهزموهم ، و ملك سيف ابن ذى يزن اليمن ، فكان مدة مُلك الأحبوش لليمن اثنتين[٢] و سبعين سنة ، و فى نصر فارس لليمن[٣] يقول بعض أولاد فارس :

نحن خضنا البحار حتى فككنا حميرا من بليّة السودان
فقتلنا مسرُوق إذ تاه لمّا ان تداعت قبائل الحبشان[٤]
و فلقنا ياقوتة بين عينيه بنشّابة الفتى الساسان

و كان سيف بن ذى يزن من ذرّية حمير بن سبا ، و كان حمير أشجع الناس فى وقته و أفرسهم و أكثرهم جمالا ، و ملك اليمن خمسين سنة ، و كان أول من وضع التاج على رأسه من ملوك اليمن ، و إنما سُمّى حمير لكثرة لباسه الثياب الحمر ، و كان من ملوك اليمن ملك يقال له أبرهة ذو الاذعار ، و سمى بذلك لأنه كان فيما يذكر أهل الأخبار أنه غزا بلاد النسناس ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و رجع باليمن من سبيهم بقوم وجوههم فى صدورهم ، فسمى بذى الاذعار . و كان من ملوك اليمن ناشر بن عمرو و يعرف بناشر النعم لإنعامه على الناس ، و كان شديد السلطان و خرج غازيا نحو المغرب حتى أتى وادى الرمل الجارى ،

(١) فى الأصل و بن : الألفين ـ كذا .
(٢) فى الأصل و بن : اثنين .
(٣) فى بن : سيفا على الحبشة . (٤) فى الأصل : الجيشان ، و فى بن مطموس .

فوجّه جيشا في الرمل فهلكوا و لم يعد أحد منهم، فأمر بصنم نحاس فصنع و كتب في صدره بالقلم المسند و هو القلم القديم «ليس [من-(١)] ورائي مذهب»(٢) و رجع. قال المؤلف غفر الله له: و سأذكر في ترجمة الدواوين الأقلام القديمة و أسمائها إن شاء الله تعالى - انتهى.

نعود، و ذكروا أنه لما غلب سيف بن ذى يزن على اليمن و ملكها أتته وفود العرب و أشرافها و شعراؤها لتهنيه و تمدحه و تذكر ما كان من بلائه و طلبه بثأر قومه، فأتاه وفد قريش و فيه عبد المطلب بن هاشم و أمية بن عبد شمس و خويلد بن عبد العزى في ناس من وجوه قريش، فأتوه بمدينة صنعاء و هو في قصر غمدان، و هذا القصر عالى البناء على تلّ مرتفع إذا وُقِدَ على أعلاه فانوس(٣) يرى في الليل من مسيرة ثلاثة أيام، و قيل إن مقاصيره من خشب العود القاقلي و الصندل المقاصيري، فاذا كان وقت الهاجرة فاحت منها روائح عبقة، و هو الآن خراب يصيح فيه البوم و الغراب، و هو الذي قال فيه الشاعر بعد خرابه:

[٧٠: الف] ألا يا قصر غمدان ... قد أبلاك الجديدان

و قد خرب منك الدهر ما شيّده الباني

و يا منزل إخوان ... و يا مرتع غزلان

(١) من بن.

(٢) زيد في بن: و وضعه.

(٣) في الأصل و بن: فانوسا.

و هي

و هى أبيات ، و سيف بن ذى يزن هو الذى يقول فيه أبو الصلت الثقفى:

لا يطلب الوتر إلا كابن ذى يزن ... [1]فى البحر خيّم[1] للأعداء أحوالا

أتى هرقل[2] و قد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذى سالا

يعنى أنّه لمّا استنجد بهرقل ملك الروم قال له: إنا نصارى و الحبشة أيضا نصارى و ما فى الديانة أنا ننجدك على أهل ملتنا و شريعتنا ، فلمّا انقطع[3] منه سار إلى كسرى ملك الفرس ، كما قال أبو الصّلت :

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس و المالا

فلمّا وفد على كسرى و سأله النصرة قال له: أرضك بعيدة فلا نرى عسكرا يضيع فى البرارى و القفار و يهلك ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ، فلمّا خرج من عند الملك نثرها على من كان واقفا على باب الملك من الجند فانتهبوها ، فبلغ ذلك كسرى ، فقال له: ما بالك فعلت ما فعلت ؟ فقال : أيها الملك ! إن أرضى تنبت الذهب فما أصنع بعشرة آلاف دينار ، فقال : ننظر فى أمرك ، فأنجده بأصحاب السجون ، و قال: اتركوهم يسيروا معه ، فان فتحوا اليمن فكان الفتح لنا ، و إن قتلوا فما علينا من قتل أرباب الجرائم ، فسار بهم سيف بن ذى يزن فانتصر بهم ، كما قال أبو الصلت :

حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم ... تراهم[4] فوق متن الأرض أجبالا

(١-١) فى الأصل و بن : خيم فى البحر ، و التصحيح من ديوانه المطبوع فى فحول الشعراء (بيروت ١٩٣٤) ص ٥١ .

(٢) من بن ، و فى الأصل : هرقلا .

(٣) زيد فى بن : ايامه .

(٤) فى بن : تخالهم .

بيض مرازبــة غلب أساورة[1]   أسد تربب فى الغيضات أشبالا
لله درّهم من فتيــة صُبر[2]   ما إن ترى لهم فى الناس أمثالا
لا يضجرون و إن حرّت[3] مغافرهم   و لا ترى منهمُ فى الطعن ميّالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد   أضحى شريدهمُ فى الناس فلّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا   فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطّل[4] المسك إن شالت نعامتهم   و اسبل اليوم فى برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان[5] من لبن   شيبا بماء فعادا بعـــد أبوالا

قوله: فاشرب هنيئا، و قوله: ثم اطل[4] المسك، و ذلك أنّه حلف أنّه لا يشرب الخمر و لا يتطيّب حتى يأخذ بالثأر، فأقام على ذلك عشر سنين حتى ظفر [٧٠ : ب] بقطع الحبشة من اليمن. و لمّا قدم وفد قريش على الملك سيف بن ذى يزن استأذنوا فأذن لهم، فاذا الملك مضمّخ بالعنبر ينطف رأسه و يبرق وبيص الطيب فى مفرقه، و بين يديه و عن يمينه و عن يساره الملوك و أبناء الملوك و المقاول[6]، فدعا عبد المطلب

(١) فى ديوانه: غر جحاجحة بيض مرازبة .
(٢) فى ديوانه: عصبة خرجوا .
(٣) من ديوانه ص ٥٢، و فى الأصل و بن: خرت .
(٤) فى الأصل و بن: اطلى .
(٥) فى الأصل و بن: قعبان .
(٦) سقط من بن [٥١ : ب] .

ابن هاشم فاستأذن في الكلام، فقال سيف: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك، فقال عبد المطلب: إن الله أحلّك أيها الملك محلا رفيعا صعبا شامخا باذخا، وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي تخصب به، ورأسها الذي تنقاد به، وعمودها الذي[1] عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يخمل ذكر من كنت سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه، أيها الملك! نحن أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة. فقال الملك سيف: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال: نعم، ابن أختنا، فأدناه وأقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحبا وأهلا، وناقة ورحلا، ومستناخا سهلا، وملكا ربحلا، يعطي عطاء جزلا؛ قد سمع الملك مقالتكم، وعرف مقامكم وقرابتكم، وقبل وسيلتكم، فلكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم، ثم إنه أكرمهم وأحسن إليهم وانصرفوا إلى مكة مكرمين. ثم إن الملك سيف بن ذي يزن لما غلب على اليمن وملكها عدا على الحبشة الذين[2] مقيمين بها، فقتل الرجال ونفى النساء حتى أفناهم، إلا بقايا منهم أهل ذلة وقلة فاتخذ منهم خولا، واتخذ

(١) من بن، وفي الأصل: التي.

(٢) في الأصل وبن: التي.

منهم أصحاب حراب يحملون حرابهم بين يديه ، فركب يوما و أولئك الحبشة معهم حرابهم و يسعون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطا منهم مالوا عليه بحرابهم قتلوه ، فبلغ ذلك كسرى فأمر أن لا يبقوا[1] على أحد من الحبشة باليمن ، فقتل بقية الحبشة الذين باليمن . و قال بعض المؤرخين : كان من حديث سيف بن ذى يزن أن الحبشة لما غلبوا على اليمن فطال ملكهم خرج سيف و هو من أهل بيت مملكة حمير إلى الروم [٧١ : ألف] يستنصر عليهم بقيصر ، فشاور وزراءه ، فقيل : أيها الملك ! إن الحبشة فى دينك ، و دين هذا العربى مخالف لدينك ، فماطله و كره أن يخفره ما وعده ، فلما طال على سيف مماطلته له رجع إلى الحيرة بعد سبع سنين من مقامه بالروم ، فصار إلى ملك فارس أحسبه هرمز ابن قباد فاستنصره و قال : أيها الملك ! إنى أمتّ لك بقرابة ، فقال : و ما القرابة التى بينى و بينك ؟ قال : الجلدة البيضاء على الجلدة السوداء ، أو قد غلبتنا الأغربة على بلدنا ، فقال : أى الأغربة ؟ قال : الحبشة أم الهند ؟ فقال : الحبشة ؛ فجئتك لتنصرنى عليهم فأكون فى طاعتك فأنت أحبّ إلينا أن تملكنا ، فقال : بعدت دارك من أرضنا و هى أرض قليلة الخير ، إنما بها الشاء و البعير و هذا ما لاحاجة لنا فيه ، و أمر له بعشرة آلاف دينار ، فلمّا خرج بذّرها على باب الملك فنهبت ، فأخبر الملك بذلك ، فأمر الملك بردّه ، و قال : عمدت إلى حباء الملك و كرامته فأنهبته العبيد و الإماء ، فقال : و ما أصنع بالمال و جبال أرضى ذهبا

(١) فى الأصل و بن : ان لا يبقون ـ كذا .

و فضة ليرغب الملك فيها ، فأمره بالمقام و وعده النصرة ، ثم شاور وزراءه ، فقالوا : أيها الملك ! تتوه جندا من جند فارس في مفاوز العرب ؟ إنما يشرب فيها[1] في مثل عيون الديكة ، و إن أعوزت عليهم ماتوا عطشا ، فقال : ما كنت لأخفره فيما وعدته به ، قالوا : إن ههنا رأيا ، قال : و ما هو ؟ قالوا : تبعث إلى سجونك فإن فيها أقواما قد استوجبوا القتل ، و إنما حبستهم منا عليهم بأرواحهم ، فتقدم عليهم رجلا حازما ، فإن ملكوا[2] فهو ملك[3] زدته ، و إن أصيبوا فهو الذي أردت بهم من القتل و تسلم من دمائهم ؛ فبعث إلى السجون فجمع من فيها ممن يستحق القتل ، فكانوا ألفي[4] نفر ، فقدم عليهم وهرز و كان من الأساورة المتقدمين و قد أتت عليه مائة و عشرون سنة و سقط حاجباه على عينيه ، فحملهم في عشرة[5] مراكب و سار بهم في البحر ، فقال بعضهم لبعض : علام نغرر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ! فحملوا أنفسهم على الجشر - و الجشر حجارة محددة تكون في البحر - فانكسرت من السفن ثلاث ، و سلمت سبع[6] إلى ساحل عدن ، و تسامعت الحبشة بهم فاجتمعوا إلى

(١) زيد في بن : الماء .

(٢) في بن : ظفروا .

(٣) في الأصل : ملكا ، وصحته في بن [٥٢ : الف] : ملك ، و بالعبارة نقص في مجموعها .

(٤) من بن ، و في الأصل : الفا - كذا .

(٥) في الأصل و بن : عشر .

(٦) في الأصل و بن : سبعة .

ملكهم مسروق بن أبرهة و التقوا ، و انضم إلى سيف بن ذي يزن جمع كثير من أهل اليمن ، و اقتتلوا مليا ، ثم قال لهم وهرز: على أي الدواب ملكهم؟ قالوا: على الفيل ، فقاتلهم [٧١ : ب] ساعة ثم قالوا: قد تحول على الفرس ، فقاتلهم ساعة ، و قالوا: قد تحول على البغل ، فقال: ابن الحمار ذل و ذل ملكه ، اسمتوا لي سمته ، فلما استتر[١] بصره عليه من شعر حاجبيه ربط حاجبيه بعصابة حرير ، فأخذ قوسه و كان لا يوترها غيره ، ثم نزع فيها سهمه ، و على مسروق ملك الحبشة تاج و بين عينيه ياقوتة حمراء معلقة بكلاب من الذهب في التاج ، فرماه بذلك السهم ففلق الياقوتة ، و تغلغل السهم في رأسه ، و خر لوجهه من على بغله ، و انهزمت الحبشة ، فجعل الرجل منهم يأخذ البقلة[٢] و العود يضعه في [فيه -[٣]] يستأمن به و يدخل النفر منهم الدار فيقتلهم الصبيان و النساء حتى أتى على آخرهم ، و كان كسرى هرمز عهد[٤] إلى وهرز و قال: إذا صرت إلى اليمن و ظفرت بالقوم فاجمع أهلها و اسألهم عن سيف ابن ذي يزن ، فان كان من أبناء ملوكها كما ذكر و زعم فتوجه بهذا التاج - و كان أعطاه تاجا و سوارين و ملكه على قومه - وأوجب أنت الخراج ، و إن كان كاذبا فاقتله و اكتب إلي لأكتب إليك برأي ، فلما تمكن وهرز في البلد جمع أبناء الملوك فقال لهم: كيف سيف فيكم؟

---

(١) في بن: استقر . (٢) كذا .

(٣) من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٤) من بن ، و في الأصل: عمد - كذا .

قالوا: ملكنا و ابن ملكنا و أملاكنا أدرك بثأرنا، فتوّجه وهرز و ألبسه السوارين و ملّكه و كتب إلى كسرى بذلك ، فأقرّه باليمن ، فأخذ سيف بثأره من الأحبوش كما قال ابن دريد فى مقصورته التى مدح بها بنى ميكال :

و سيف استعلت به همّته   حتى رمى أبعد شأو المرتمى
فجرّع الأحبوش[1] سمّا ناقعا   و احتلّ من غمدان محراب الدمى

قد تقدم أن غمدان قصر[2] [بصنعاء -[3]] كما قال الشاعر :

ألا يا قصر غمدان   قد أبلاك الجديدان

و قيل إنه حصن بصنعاء لم يدرك مثله ، هدمه عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الإسلام ، و له رسومه باقية إلى اليوم ، و قوله : محراب الدمى ، المحراب الغرفة بلغة حمير ، قال الأصمعى :

ربة محراب إذا جئتها   لم أدن حتى أرتقى سلّما

و قيل : المحراب المجلس من البيت و هو أكرم موضع فيه ، و من هذا قيل : محراب المسجد ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر محراب داود عليه السلام ، و قيل : المحراب الرجل الصالح المجاهد فى سبيل الله تعالى ، [٧٢ : الف] قال الشاعر :

ما [أحسن -[4]] المحراب فى المحرب

(١) فى بن : الحبوش .
(٢) من بن ، و فى الأصل : قصرا .
(٣) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .
(٤) زيد من بن .

و الدمى جمع دمية ، و يقال للنساء: دُمىً - شبههن بالصور ، قال الشاعر:

ما دميـــة فى مرمر صُوِّرت   أو ظـبيـــة فى خمر عـاطف
أحسن منها يـــوم قالت لنـا   و الدمع من مقلتهـا واكـف
لأنت أحلى من لذيـذ الكرى   و من أمانٍ ناله خائـــف

و ممن أخذ بثأره عمرو بن ربيعة بن نصر ابن أخت جذيمة الوضّاح ، و كان يقال لجذيمة ذلك لبرص به ، و يقال له أيضا[1]: الأبرش ، و كان ينزل الأنبار ، و كان لا ينادم أحدا من النـاس ذهابا بنفسه عنهم ، و كان ينادم الفرقدين ، فاذا شرب قدحا صب للفرقد الواحد قدحا و للثانى قدحا ، و يقال إنه أوّل من عمل المنجنيق[2] و أوّل من رفع بين يديه الشمع ، و قد أخذ عمرو بثأر خاله جذيمة من الملكة الزبّاء[3] كما قال ابن دريد :

فقـــد سمـا عمرو إلى أوتاره   فاحتط منها كلّ عالى المستمى
فاستنزل الزبّا قصيرا و هى من   عقـاب لوح الجو أعلى منتمى

و كان من حديثه أن الزبّاء لمّا قتلت جذيمة نجا قصير بن سعد ، صار إلى عمرو و قال له: ألا تطلب بثأر خالك؟ فقال : و كيف أقدر على الزبّاء و هى أمنع من عقاب الجو ، فقال: اجدع أنفى و أذنى و اضرب ظهرى حتى تؤثّر فيه و دعنى و إياها ، ففعل به عمرو ذلك ، فلحق قصير بالزبّاء فشكا لها ما ناله من عمرو و قال: لقيت هذا من أجلك ، قالت:

(١) زيد فى بن : جذيمة .
(٢) فى الهامش : أول من عمل المنجنيق .
(٣) زيد فى بن: لما قتلته .

و كيف ؟ قال : إن عمرا زعم أنى أشرت على[1] خاله[2] بالخروج إليك حتى فعلت به ما فعلت ، و كان جذيمة[3] خطب الزبّاء فأرسلت تقول له : رضيتك زوجا و لكن ائتنى ، فقيل لجذيمة : نخشى عليك منها ، فأبى إلا المضى إليها ، فسار إليها فى قومه ؛ فقال له قصير بن سعد : إذا رأيت عند قربك من مدينتها ما تكره فانج بنفسك على العصا ، وكان لجذيمة فرس من جملة خيله سابقا تسمى العصا ، فلما قرب جذيمة من مدينتها وجدها قد صفّت له جنودها صفين و قد لبسوا الأسلحة و تهيؤا للحرب ؛ فتلقوا جذيمة [4]و أحاطوا به[4] ، فبادر قصير بن سعد و نزل عن فرسه و ركب العصا و نجا بنفسه فنظر[5] إليه جذيمة فرآه راكبا عليها تجرى به[6] ، فقال : يا ويح من تجرى به العصا ! فلما دخل جذيمة على الزبّاء [٧٢ : ب] قالت : قد وُصف لى دم الأبرش أنه ينفع من الخبل ، و كان جذيمة أبرصا فكنى بالأبرش ، ثم إنها أمرت باحضار طست ففصدته فيه ، و قيل لها إنه إن وقع من دمه شيء على الأرض طولب بثأره ، فسقطت قطرة من دمه على الأرض ، فقال جذيمة : واضيعة دم أضاعه أهله ! و لم تزل الزبّاء تستنزف دمه

---

(١) من بن ، و فى الأصل : الى .

(٢) زيد فى بن : جذيمة .

(٣) زيد فى بن : ارسل .

(٤-٤) من بن ، وفى الأصل : حتى بينهم .

(٥) فى بن : فالتفت .

(٦) زيد فى بن : جريا .

حتى هلك، فلما تحيّل قصير بن سعد على الزبّاء بحيلته المتقدم ذكرها أحسن خدمتها و أظهر لها النصيحة حتى حسنت منزلته عندها، و زين لها التجارة فبعثت معه بقافلة إلى العراق، و كان سرير ملكها بمشارق الشام، فسار قصير إلى عمرو مستخفيا، فأخذ منه مالا و زاده على ثمن مال القافلة، و اشترى لها طرفا من طرف العراق و رجع إليها، فأراها تلك الأرباح فسُرّت به، ثم كرّ كرّة أخرى فأضعف لها المال، فلمّا كان فى الكرة الثالثة اتّخذ جوالق[1] من المسوح وجعل ربطها من أسافلها إلى داخلها و أدخل فى كل جولق رجلا معه سيفه، و أخذ غير الطريق النهج، فكان يسير الليل و يكمن النهار، و أخذ عمرا معه، و كانت الزبّاء قد صُوّر لها[2] عمرو أيضا قائما و قاعدا و راكبا فى حائطها، و كانت قد اتخذت نفقا أى سربا أجرت عليه نهر الفرات من قصرها إلى قصر أختها زنيبة، فلمّا قرب قصير بن سعد من بلدها تقدم بالقافلة و قد أبطأ عنها فسألت عنه، فقيل لها: أخذ طريق الغوير، فقالت: عسى الغوير أبؤسا، فأرسلتها مثلا، و دخل قصير إلى الزبّاء فقال لها: قفى فانظرى إلى أموالك، فرقيت[3] سطح قصرها فجعلت تنظر إلى القافلة مقبلة مشيها قليلا قليلا، و كان فيها ألف جمل عليها ألفا[4] رجل معدة بأسلحتها[5]

(١) فى الأصل و بن: جو القا ــ كذا.
(٢) زيد فى بن: صفة.
(٣) زيد فى بن: فوق.
(٤) فى الأصل و بن: الفى.
(٥) زيد فى بن: داخل الجوالق.

كأنما تنزع أرجلها من أوحال[1] لثقل ما عليها، فقالت:

ما للجمال مشيها رويدا أجندلا يحملن أم حديدا

أم الرجال جثما قعودا

و وصف قصير بن سعد لعمرو بن ربيعة ابن أخت جذيمة باب السرب الذى تهرب الزبّاء منه، فلمّا دخلت القافلة المدينة و على الباب بوّابون من النبط و فيهم واحد معه منخاز[2] فطعن جولقا من تلك الجوالق، فأصاب المنخاز رجلا فضرط، فقال البوّاب: السرّ فى الجوالق، و حلّت الرجال تلك الجوالق و خرجوا منها بأسلحتها، و وقف عمرو [٧٣: الف] على باب السرب مصلتا سيفه، و أقبلت الزبّاء تبادر السرب لتهرب منه، فلمّا رأت عمرا عرفته بالصفة التى صُوّر لها، فمصّت فصّ خاتمها و كان مسموما، و قالت: بيدى لا بيد عمرو، و يقال: إن عمرا حللها[3] بالسيف و استباح بلدها[4].

---

(١) فى الأصل و بن: وحال (٢) فى الأصل و بن: منغازا ـ كذا.

(٣) من بن [٥٣: ب]، و فى الأصل: جللها.

(٤) زيد هنا فى بن [٥٣: ب ـ ٥٤: الف] ما يلى فى موضوع البرص: قال المؤلف رحمه الله و قد ذكر الأبرص فأذكر ما قيل فيه ان شاء الله تعالى، البرص يسمى الوضح لوضحه و بياضه وهو عسر البرء و سببه ضعف القوة الهاضمة، و هو ينقسم قسمين: اما أن يكون . . . من بلغم مفرد خالص، و إما ان يكون من قبل دم غليظ محترق، و كلا القسمين ينقسم الى ما يبرأ و ما لا يبرأ، يكون على ثلاثة أضرب: اما ان يكون ارثا عن الآباء والأجداد، و اما ان يكون من قبل وطيه امرأة . . . يوم الرابع من حيضها و يسمى برص الحلقة، و إما ان يكون=

=قد تقادم حتى رسخ بالعضو و لصق بالعظم ، فهذه الثلاثة اصناف قد صارت بمنزلة الشيء الطبيعي الذي ليس فيه علامة . و علامة البرص الحادث من قبل البلغم المفرد الخالص ، و ما يفرق بينه و بين البرص الذي يبرأ و الذي لا يبرأ أن يعمد الى ابرة يغرزها في موضع البرص ثم يخرجها، فان خرج منها دم جوهري نقي الحمرة فهو الذي يرجى له البرء و عولج ، و اما اذا خرج دم (و في بن : دما) لامعا في أبيض رقيق و لم يخرج منه أحمر فاعلم أن العلة قد لصقت بالعظم و رسخت فيه فلا تبرأ ، و أيضا فان ذلك موضع البرص دلكا شديدا بخرقة خشنة فان احمر سريعا لعلة حدثت فعلاجها هين ، و إن لم يحمر الموضع فان البرص متقادم جدا و لا يقبل العلاج ، و أيضا فان موضع البرص لا يحس الغرز بالابرة فيه كما يحس سائر الجسد . و علامة البرص الحادث من قبل البلغم الغليظ المحترق ان يسأل العليل ان كان حدث به في موضع البرص اولا قوباء او خشونة تشبه القوباء او اكال شديد ينقشر منه الجلد او بهق اسود ثم استحال بعد مدة من الزمان الى ان صار . . اخبرك بذلك و اردت الزيادة في الدلالة فخذ ابرة فاغرزها في الموضع فان خرج منه دم . . . . السوداوي المحترق ، و ان خرج الدم احمر فهو من قبل القوباء من قبل المرة الحمر (كذا) . . . باخراج الدم فان خرج الدم ابيض سببه (كذا) بالماء فهو كما قلنا من قبل البلغم . . . . الفصد البتة علامته علامة البرص الحادث من وطيء امرأة و هي حائض . . . . ما حدث من ذلك و اخبر به العليل و علاج البرص المتولد من البلغم الخالص . . . . البرء و ان يستفرغ البلغم اولا من المعدة بالقيء بالعسل و الفجل . . . . من سائر الجسد بمثل الاصطماخيقونات (كذا) الكبار و البادريغوس (كذا) . . . . و نقيع الصبر و ايارج جالينوس وسائر الايارجات و الأدوية تستعمل في خلال اخذ المسهلات من الجوارشنات الحارة كجوارش . . . الزنجبيل و نحوها . و مما ينفع البرص السكنجبين المتخذ بخل العنصر (كذا و لعله : العنصل) الاصطباغ (كذا) . . . . . يحتمي من كل غذاء مولد للبلغم كالبقول و السمك و الفواكه كلها ، و لا يفصد له عرق و لا يتعرض له=

و ممن طلب بثأره [١]فـلم يدركه بل مات قبل إدراكه له[١] امرؤ[٢] القيس بن حُجْر الكندى كما قال ابن دريد :

ان امرأ القيس جرى إلى مَدى   فاعتاقه حمامهُ عن المدى

المدى الغاية ، و قولهم : امرؤ القيس ، بمعنى فتى قيس ، و كان من خبره أن أباه حجر طرده لما قال الشعر[٣] ، فكان يتنقل فى أحياء العرب ، و استتبع ٥ صعاليك لصوصا فكان يغير بهم ، و كان أبوه[٤] ملك بنى أسد فعسفهم عسفا شديدا ، فتمالؤا عليه فقتلوه ، فلما بلغ امرأ القيس قتل أبيه و هو يشرب قال : ضيّعنى صغيرا و حملنى ثقل الثأر كبيرا ، اليوم خمر و غدا أمر ، اليوم قحاف و غدا ثقاف ، ثم جمع جمعا من بنى بكر

= بشيء من اخراج الدم البتة - انتهى .
(١-١) فى بن : فمات قبل ان يدركه فهو .
(٢) فى الأصل دائما : امرء - بحذف الواو المضمومة ، و صححه فى بن [٤٥ : الف] .
(٣) زيد هنا فى بن [٤٥ : الف] : « و قيل انما طرده لأن ام الحويرث زوجة ابيه حجر كانت تتهم به ، و لذلك كان ابوه يطرده و همّ ابوه بقتله بسببها ، و من قول امرئ القيس فيها :

و قد رابنى قولها يا هنا   ه ويحك ألحقت شرا بشر

يقال راب إذا اوقع الريبة بلا شك ، و اراب لم يصرح بالريبة ، و الريبة فى البيت ثابت ، و قولها : ياهناه ، فان المراد به يا انسان ، فانها اخبرته خوف الافتضاح ، و قولها : الحقت شرا بشر ، تهمة بتهمة يريد أنها كانت تتهم بـه فلما اتى موضعها حققت التهمة ، و قصده ام الحويرث و هى التى تشبب بها و كانت زوجة ابيه حجر و لذلك كان يطرده فكان ينتقل - الخ » .
(٤) زيد فى بن : حجر .

ابن وائل و غيرهم من صعاليك العرب، فخرج يريد بنى أسد، فخبرهم كاهنهم و هو سويد بن أبي ربيعة بخروجه إليهم، فارتحلوا، و بيتهم امرؤ القيس فأوقع ببنى كنانة فقتلهم قتلا ذريعا، و أقبل أصحابه يقولون: يا لثأرات الهمام! فقالت له عجوز منهم: و اللات أيها الملك! ما نحن ثأرك، و إنما ثأرك بنو أسد و قد ارتحلوا، فرفع عنهم القتل، ثم إن أصحاب امرئ القيس اختلفوا عليه و قالوا: أوقعت بقوم برآء فظلمتهم و قتلتهم! نخاف على نفسه منهم فخرج إلى قيصر ملك الروم، فمرّ فى طريقه ببكر بن وائل فضرب قبابه فيهم و قال: يا معشر بكر! أما فيكم شاعر؟ قالوا: بلى، شيخ من بنى قيس بن ثعلبة يسمى عمرا، فسألهم أن يأتوه به ينشده، ففعلوا فاستنشده فأنشده فأعجبه شعره، و قال له: اصحبنى فى طريقى إلى قيصر، فصحبه، فلما صعدا درب الروم و أوغلا فى بلاد الروم بكى عمرو الشاعر، فقال امرؤ القيس:

بكى صاحبى لمّا رأى الدرب دونه و أيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينيك[1] إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

ثم إن عمرا هلك، فلما سمعت العرب بهلاكه سمته «الضائع»، ثم إن امرء القيس دخل على قيصر فاستعان به على بنى أسد فأجابه [٧٣: ب] و واعده[2] أن يرفده بجيش، و كانت لقيصر ابنة جميلة فأشرفت يوما من القصر فرأت امرأ القيس و كان جميلا، و رآها الآخر فهويته

(١) فى بن: دمعك
(٢) فى بن: اوعده.

و هويها

و هويها ، فراسلته فأجابها إلى ما سألت و سار[1] إليها ، فذلك حيث يقول :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى

فعلم بخبره قيصر فقصد قتله ، فشاور بعض أهل مملكته ، فأشاروا عليه أن لا يقتله فى بلاده لئلا تسمع العرب بأنه يقتل الملوك إذا وفدوا عليه ، فدعا[2] به و قال : ما بغيتك ؟ قال : أريد رجالا أستعين بهم على أعدائى بنى أسد و يكون البلد لك ، قال : لك ذلك ، فضم إليه رجالا بقدر حاجته و قال له : إذا شئت فاخرج ، فخرج فوجه معه جيشا ، ثم اتبعه بعد خروجه بأيام رجلا و معه حلة منسوجة بالذهب مسمومة و قال له : اقرأ عليه السلام منى و قل[3] : إن الملك قد بعث إليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها و يقربك من قلبه ، فأدخله الحمام ، فاذا خرج فألبسه إياها ، فلما لبسها امرؤ القيس تنفط بدنه ، ثم نزل إلى جنب جبل يسمى عسيبا و إلى جنبه قبر لابنة بعض الروم ، فسأل عن القبر ، فقيل له خبره ، و كان قبرا مشرفا عاليا ، فقيل له إنها ترهبت فى دير لها ثم ماتت فدفنت ههنا :

أجارتنا إن الخطوب تنوب و إنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا و كل غريب للغريب نسيب

و مات بالموضع و هناك قبره . و ممن أخذ بثأره زيد بن عدى و ذلك

---

(١) فى بن : صار .

(٢) فى الأصل و بن : فادعى .

(٣) زيد فى بن : له .

أن عدى بن زيد كان ترجمانا لكسرى أبرويز و كاتبه بالخط العربى ، و كان أبرويز ولى النعمان بن المنذر الملك على العرب فكان نائبا لكسرى عليهم ، ثم إن النعمان اتهم عدى بن زيد فى سعى عليه ، فاحتال حتى صار عدى فى يديه فحبسه و قتله ، فلم يزل زيد بن عدى ابن زيد يتوصل بما يقدر عليه من الحيل حتى حصل فى منزلة أبيه عدى ابن زيد عند كسرى أبرويز ، فذكر زيد لكسرى نساء آل المنذر و وصفهن له بالجمال الفائق و الحسن البديع ، فتشوق أبرويز للتزويج بواحدة منهن ، فكتب أبرويز يخطب إلى النعمان أخته ، و كان الواصل إليه بالكتاب زيد بن عدى ، فلمّا قرأ النعمان الكتاب قال : و ما يصنع كسرى بنسائنا و أين هو عن [٧٤ : الف] مها السواد - يعنى بذلك نساء سواد العراق أى بقر السواد لأن المها البقر ، و سميت المرأة «مهاة» لأنهن فى مشيهن يتهادين كمشى البقر ، فقال زيد بن عدى للنعمان : إنما أراد الملك كسرى تشريفك بمصاهرته ، و لو علم أنك ما تريد ذلك لم يتعرض لذلك و لكنى سأعتذر عنك له ، فقال النعمان : فافعل فانك تعلم ما على العرب فى زواج العجم من الغضاضة ، فلمّا رجع [١]زيد إلى[١] الملك كسرى حرّف له كلام النعمان و تكلّم عنه أقبح كلام ، فقال كسرى : رب عبد قد صار فى الطغيان إلى أكثر من هذا ، فطلب النعمان ، فأقبل النعمان حتى أتى المدائن فصف كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن الحلى

(١-١) من بن ، و فى الأصل : زيد .

و الحلل، فلمّا صار النعمان بينهن قال[1] له: أ ما فينا غنى عن بقر السواد؟ فعلم النعمان أنه غير ناج منه، و لقيه زيد بن عدى، فقال له النعمان: أنت فعلت هذا بى! لئن تخلّصتُ لأسقينّك بكأس أبيك، فقال له زيد: امض نعيم! فقد آخيت لك أُخَيّــة لا يقطعها المهر إذا، فأمر كسرى بالنعمان فحبس بساباط المدائن، ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة فركلته[2] بأرجلها حتى مات. فينبغى للملك أن لا يغتر بعدوّه و شيعته و إن كانوا قليلا أو ضعافا، و لا يستخف بهم كاستخفاف مسروق بابن[3] أبرهة ملك الحبشة باليمن حتى نزل عن الفيل و الفرس و ركب البغل احتقارا للفرس أصحاب السجون، و أن لا يقاتلهم إلّا على أخسّ الدوابّ احتقارا لهم كما تقدم ذكره، و ما علم أن شرارة أحرقت بلدا، و فلقت حجرا جلمدا، و بعوضة أهلكت فيلا، و برغوثا أسهر ملكا جليلا، و كذلك قصير بن سعد و حيلته على الملكة الزبّاء حتى هلكت من حيث أمنت، و كيد قيصر لامرئ القيس من حيث علم و تيقن أنه منصور، فاذا هو الى جنب راهبة مقبورٌ؛ فليحذرهم غاية الحذر فان الأعداء لا تؤمن غوائلهم[4] و إن أبدوا المسالمة.

و سأذكر حكاية تدل على التجنّب و الاحتراز من العدوّ الضعيف

(١) فى الأصل و بن: قلن.
(٢) فى بن: فركبته.
(٣) من بن، و فى الأصل: بن.
(٤) فى بن: غاياتهم.

فانه محلّ الكيد، كالشرك للصيد، فكيف بالعدوّ القوىّ! ذكروا أنّه لمّا وجّه أمير المؤمنين مروان بن محمد رجلا من أصحابه يقال له ابن هبار يغزو السند، فلمّا دخلها بجيشه قال رجل من السند لملك السند: إنى قد كبر سنى و اقترب أجلى، فدعنى حتى آتى القوم لعلّى أكيدهم بمكيدة إن أمكن ذلك، و إن عرفوا موضع[1] مكيدتى قتلونى[2]، فما أقل بقائى فى الدنيا و أقربنى إلى الموت! فأذن له ملك السند [٧٤: ب]، فمضى حتّى دخل عسكر ابن هبار قائد جيش مروان و هو يريد أن يقطع بجيشه مفازة يلقيهم فيها لتسلم[3] أهل السند منهم، فالتمس ابن هبار الأدلّاء، فأتاه الشيخ السندى فقال: أنا أدلّك و أسير بك فى طريق مختصر قريب حتى أهجم بك عليهم و هم غافلون، فركن إلى قوله ابن هبار بجهله و مضى معه فى أربعة آلاف فارس، فدخل بهم الشيخ المفازة [4]فضلّله و سلك به[4] غير الطريق حتى نفد ماؤهم، فلمّا يئسوا من الحياة قدّمه ابن هبار فضرب عنقه، و ماتوا جميعا عطشا فلم ينج منهم إلا رجل، ذكروا أنه امتص روث فرسه حتى ورد الماء، فكان هو الذى أخبر بخبرهم.

و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر الأقطع الذى مكر بفيروز

(١) فى بن: مواضع.
(٢) فى بن: قتلوا.
(٣) فى بن: لتسليم.
(٤ - ٤) فى بن: فضلالهم و سلك بهم.

ملك فارس حتى هلكت جنوده بمكره و كيده إن شاء الله تعالى . فالحازم يحذر عدوّه و إن أبدى له المودّة و المسالمة . قالت الحكماء[1]: احذر الموتور و لا تطمئن إليه و كن أشد ما تكون حذرا منه ألطف ما يكون مداخلته لك ، فانّما السلامة مع العدوّ تباعدك عنه . قال الشاعر:

من لم يكن للغريم خصما أتلفه ذلك الغريم

و قالوا: لا تطمئن إلى العدوّ و إن أبدى لك المقاربة ، و إن بسط لك وجهه و خفض لك جناحه ، فانّه يتربّص لك الدوائر ، و يضمر لك الغوائل ، و لا يرتجي لنفسه صلاحا إلا في فسادك ، و لا رفعة إلا بسقوط جاهك . و أوصى بعض الحكماء ملكا فقال : لا يكوننّ العدوّ الذى كشف لك عن عداوته بأخوف[2] عندك من الصديق الذى يستتر لك بمخاتلته ، فانّه ربّما تخوّف الرجل السمّ الذى هو أقتل الأشياء ، و قتله الماء الذي هو محيي الأشياء ، و ربما تخوّف أن يقتله الملك الذي يملكه ثم يقتله العبيد [3]الذين يملكهم[3] . و فى كتاب الهند: إذا أحدث لك العدوّ صداقة لعلّة ألجأته إليك حاجة ، فمع ذلك رجوع العداوة كالماء تسخنه فاذا أمسكت عنه عاد إلى أصله باردا ، و الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرا .

(١) فى الهامش : التجنب من العدو .
(٢) فى بن : بالخوف .
(٣–٣) فى الأصل و بن : الذى يملكها .

قال الشاعر :

لا يرجع المدبر عن طبعه حتى يعود الدرّ فى ضرعه
من كان من حنظلة أصله لا ينبت التفاح فى فرعه[1]

و لا يغررك[2] قول الشاعر :

و كم من عدوّ عاد بعد عداوة صديقا مجلّا فى النفوس معظّما
فلا غروفا لعنقود فى ظلّ كرمه يرى عنبا من بعد ما كان حصرما[3]

* * * * *

(١) زيدت هنا فى بن [٥٥ : ب] الأبيات التالية :

من لم يكن عنصره طيبا لم يخرج الطيّب من فيه
أصل الفتى يخفى و لكّنه فى فعله يظهر خافيه
..... امرأ يشبه فعله و يرشح الكوز بما فيه

(٢) فى بن : لا يغرنك .

(٣) زيد هنا فى بن ما يلى : « إذ قد ذكر العنب و الحصرم فلنذكر ما قالت الأطباء فيه : العنب هو أفضل و أغذى من سائر .... و خاصة الناضج الحلو ، إلا أنه يولد فى الكبد و العروق خلطا غليظا كثير الرياح من أكله و لم ينهضم فى المعدة ، و أكثر ما يكون مضرته بالكبد ، و ما كان منه أشد حلاوة فهو مسخن ..... نافع لأصحاب البلغم ، مسهل للبطن و قد يسمن كثيرا ، لكنه سمن مترهل يتحلل سريعا .... و احمد ما يؤكل لحمه و يمص ماؤه و يرمى بقشره ، فاذا أكل كذلك كان سريع الاستحالة .... بالدم يغذو غذاء كثيرا محمودا . و اما الذى لم ينضج اعنى الحامض المسمى بالحصرم فخاصة خيارته إذا خلطت مع العسل نفع من اورام اللوزتين واللهاة و يشد اللثة الرخوة و يمنع... الرطبة السائلة إليها ، و إذا قطر منها فى الأذن قطع القيح السائل منها ، و إذا شرب عصارة .... الكرم أسهلت السوداء بقوة » .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الأول من كتاب الإلمام للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الخميس الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ = ٨ / يونيو سنة ١٩٦٨ م . اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه . و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأستاذ الفاضل الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف و رئيس قسم آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية أبقاه الله لخدمة العلم و الدين - و يليه الجزء الثانى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله الرشيد القادرى
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

جدول الخطأ و الصواب

للجزء الأول من كتاب الإلمام

الصفحة	الحاشية	السطر	الخطأ	الصواب
ه		١٤	نبذتهم	نُبَذِ تهمّ
و		٥	بنفسه	بنفسه المؤلف
ى		٨	التوبيخ فى	التوبيخ لمن
٢	١	١	١٢٦٥	١٣٦٥
٦	حاشية	٦	وكرستنين	وكرستينسن
»	»	٧	Enleitung	Einleitung
٧	٨	١	Tzxkon	Tzakon
١١	١	٣	اكشف	(كذا، والصواب: كشف)
١٣	٢	١	للأوفوى	للأدفوى
١٥		١٠	فلذالك	فلذالك
»	٤	١	كذا، ولا يستقيم به الوزن	فى الأصل : فلذالك ، ولا يستقيم به الوزن
٥٣	١	٤	238–6ē	238–65
٥٩		٨	الشام	الشآم
٧٤		١٢	و رجال؟ العرب	و رجال العرب ؟
»		١٧	لإن	لئن
٨٠		١٣	الطيبت	الطيِّبت
١١٠	٢	٢	١٧١٥	١٥١٧
١١١	حاشية	٧	رحلة	رحلته
١١٢	٤	٣	in	im
١١٥	٧	١	١١٣ الف	١٣ : الف
١٣٩	٥	٢	wier	wiet

الف

جدول الخطأ و الصواب للجزء الأول من كتاب الإلمام

الصفحة	الحاشية	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٣	حاشية	١٤	به	بها
١٤٤	»	٦	الثالث	الرابع
١٤٥	١	٩	زيادات	[و] زيادات
»	»	١٠	كتاب الإمام	للحاكم الإمام
»	»	١١	العتبى	الضبى
١٥٨		٨	و خلاإوانى	و لإخوانى
١٨٧		٥	بحدها	نجد ها
١٩٢		٢	غرة	غزّة
»		٦	البهِ	البهم
١٩٩		»	قد بـ	قد بلّ
»		١٣	جنّنا	جُنِنّا
٢٢١		٦	و للبغادرة	و للبغاددة
٢٣٤		٥	تأخذه	تأخذها
٢٤٦		١٣	خطوة	خطوة (كذا ، و صحته بالجمع : خطى)
»	حاشية	٢	Dussand	Dussaud
»	»	٤	iii	Vol. III
٢٥١		٥	وزرعناها ... فجاؤا	فزرعناها ... فجاء
٢٥٢		٨	القسنلاط	القستلاط (كذا)
٢٥٦	حاشية	٨	مفارق	نفارق
٢٧٣		٢	هئية	هيئة
٢٨٦	حاشية	٤	و ذريته	و لذريته
٢٩٦		١٠	الزبّاء	الزَبّاء
٣٠٠	حاشية	٦	لامعاً	مائع (و فى بن: لمعا)
»	»	١٥	سبيه	شبيها (و فى بن : شبيه)

(3) The complete Bankipore MS., XV, 1066, though full of blank spaces and numerous obscurities, is invaluable in many respects and reference is made to it under the letters "ن".

"Kitāb al-Ilmām" was cited by older writers and modern ones. Amongst those who made a special notice on it are the famous fifteenth century historians ibn Hajar (d.852 A.H./1449 A.D.) and al-Sakhāwi (d. 902 A.H./1496 A.D.). The bibliophiles Hajji Khalifah and 'Umar Riḍā Kaḥḥālah both include it in their definitive listing of authors from the Islamic age.[6]

It is hardly possible to conclude this preface without commemorating my friend the late E't. Combe whose prominent role in dealing with both the text and the French translation thereof is noteworthy. Personally, I am aware that he devoted numerous decades of his rich scholarly life to those tasks, and it is only hoped that a French Orientalist may come forward to undertake the editing of the complete or partial translation of this important work.

Finally it is my duty to put on record my personal appreciation of both the Deccan government and the organization of Dairatul Ma'aref al-Osmaniyah for making the edition of this work a reality.

Salt Lake City, Utah, U.S.A. — A.S. Atiya
February 1967

(6) See notes and excerpts in the Arabic Introduction.

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, NO. IX/xiii/i



KITABU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A.H./1372 A.D.)

Vol. I

Edited

FORMERLY BY:
LATE PROFESSOR E TIENNE COMBE
(d. 1962)
from MSS. of Berlin & Cairo

LATER BY:
DR. AZIZ SURIAL ATIYYA
from MSS. Berlin, Cairo
and Bankipure

Printed
Under the Auspices of the Government of India
&
Under the Supervision of
Dr. M. 'Abdu'l Mu'īd Khan
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania

Published by
THE DA'IRATU'L MA'ARIFI'L-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA
1968 A.D./1388 A.H.

Dairatu'l-Maarif-il-Osmania
Osmania Oriental Publications Bureau
Osmania University, Hyderabad
Ai Cat. No.
Ai Cat. Price Rs.
Order No.
Dated

PREFACE[1]

THE present work is here published for the first time in the "Dā'iratu'l Ma'ārif il-Osmaniya" Series. Hitherto a rare manuscript, it was composed by Muhammad b. Qāsim b. Muḥammad al-Nuwairi al-Māliki al-Iskandarāni who died after the year 775 A.H./1372 A.D. It was written under the title of "Kitāb al-Ilmām bil-I'lām fī mā Jarat bihi al-Aḥkām wal-'Umur al-Maqḍiyah fī waq'at al-Iskandariya wa 'Auduha ila Ḥālatiha al-Marḍiyah." This was done after the catastrophe which befell the city in the crusade of the Cypriots and their allies from Europe in the year 767 A.H./1365 A.D. They destroyed what they could destroy, looted what they were able to carry away from its treasures, then departed after a few days during which the city witnessed a calamity greater than any other in its long history.

The original aim of the author from writing this book was to put on record his memoirs and observations and whatever he could compile in the way of data on that ill-advised and merciless crusade. But he was carried away by the citation of diverse materials in long statements of belles-lettres, history, jurisprudence, theology, tradition, fiction and other subjects with no bearing on the original theme of the book to the extent that it became more in the nature of a literary compendium than a special historical register.

(1) This Preface is a summary of the salient of the fuller Arabic Introduction, avoiding reiteration of the Arabic excerpts from the sources for space economy. However, the method of approach to the text and the handling of the manuscripts has not been curtailed. In the matter of notes, the reader is constantly referred to the fuller versions accompanying the Arabic text.



But this joint project came to a standstill with the decease of my distinguished colleague on 9 July 1962 at the age of eighty-one in Cairo. His death was an irreparable loss to the history of Alexandria of whose archaeology and Islamic sources he was the most competent authority. At that moment, I had already completed my own share in the process of editing those excerpts as planned while I was in the throes of preparing to return to my academic duties in the United States of America and the notes of the work were consequently left in the hands of my colleague to complete the final touches and seek a publisher. Divine will decreed otherwise and his lamentable death occurred before the completion of this last phase, and the notes remained with his private collection in the Swiss Archaeological Institute of which he was Director. Consequently I wrote to my friend and colleague Prof. Dr. Robert Rahn, Cultural Attache′ at the Swiss Embassy in Cairo, to mediate officially with the approval of Madame Combe for salvaging the book material from his estate and for preserving it until I was able to recover it for revision and editing. Dr. Rahn, who was a friend of both parties, acted promptly and I was ultimately able to receive the book materials in the summer of 1964 and bring them with me to the New World.

While I was contemplating a publisher, Dr. Mu'id Khan, Director of Dā'iratu'l Ma'ārif il-Osmania at the Osmaniyah University in Hyderabad, sent me a generous offer to undertake the publication of the Arabic text in his series,[4] more especially as the Government of Deccan had appropriated sufficient funds for that purpose since the Bankipore Library in India was the depository of the only complete manuscript of the work. A condition of acceptance, however, was made to the effect that the edition must comprise the complete Arabic text. Thus reconsideration of the position of the

(4) Brockelmann, Gesch. Arab. Litt., Suppl. II, p. 34, was aware of the Hyderabad intent to publish the MS. as early as 1938.

Nevertheless, al-Nuwairi's book may indubitably be considered as a primary work of reference on that crusade from the Oriental or Egyptian side in much the same way as Guillaume de Machaut's[2] work is to be regarded as its primary source in Old French. The two writers were eye-witnesses of those events from two different angles. Nevertheless Machaut's work enjoyed more attention from scholars and was published in the last century. However, this did not hinder some historians from profiting by its contents as, for example, Herzsohn, Cápitanovici, Paul Kahle, the late E'tienne Combe, and the writer of these lines.[3] The unwillingness of Orientalists to edit that text till now may be ascribed to the nature of the book in which the author digressed into aberrations of style outside his prescribed subject to a multitude of peripheral and complex items calling for prolonged study and research to which they were averse.

However, my own project of editing the manuscript of "Kitāb al-Ilmām" was conceived well-nigh thirty years ago during my study of the crusades of Peter I Lusignan. Thus I started by reading the Berlin MS. in 1936. Afterwards, I learned that the late Professor E't. Combe the well-known Swiss Orientalist, then Director of the Alexandria Municipal Library, was diligently preparing an edition of the same text. So we exchanged notes on the subject for a time, and in the end agreed on co-operation in the publication of the purely historical excerpts, especially those relating to the city, to be accompanied by a French translation which could not englobe al-Nuwairi's lengthy citations in side tracks of no import to the western readers saving a few Orientalists whose limited numbers could hardly justify a gigantic task.

* * *

(2) La prise d'Alexandrie. Ed. Mas Latrie. Geneva 1877. See relevant note in the Arabic text for a fuller statement of the western sources of the Crusade.

(3) See relevant notes on these works in the Arabic Introduction.

While considering the complete edition of the text, it has been found expedient to retain as a base the Berlin and Cairo MSS. which were prepared by the same scribe, not only on account of their age, but also because they were authentic copies of the author's autographed manuscript as is evident from the Cario colophon. Moreover, the Berlin-Cairo MS. is on the whole accurate in style and suffers much less than the Bankipore from blank spaces. However, the Bankipore comprises passages fallen out of the Berlin-Cairo, and the two together give us an almost complete version. While keeping the Berlin-Cairo intact in the text, addenda from Bankipore are presented in parallel footnotes. Collation of important variants is adopted, though we have decided to overlook the innumerable verbal variants which have no bearing on the essence of the MS. and which would have rendered the edition unwieldy with meaningless and endless details.

The strange phenomenon is that neither the Berlin nor the Cairo MSS. bear the name of the author on the title page which led both Ahlwardt and Brockelmann to describe it in their early works as anonymous. On the other hand, the Bankipore MS., and for that matter a small tract of the same work in the British Museum, appear under the false authorship of the geographer al-Wāqidi. The correct name of the author has been denoted in the critical notes of the text.

In fine, the MSS. used in the collation of this text are three:

(1) The Berlin MS. consisting of two parts in one volume appears under no. We 359, 360 (See Ahlwardt, vol. VII, p. 79, no 7865). Reference to it is made under the letters "ز".

(2) The Cairo MS., which is a continuation of the Berlin one by the same scribe, is preserved in "Dār al-kutub" under no. 1449 Hist. and reference is made to it under the letter "ق".

excerpts prepared in collaboration with M. Combe became inevitable, and I accepted the new challenge owing to the following reasons:

First, the method of editing the ancient Arabic texts in full is sound in principle and its merits outweigh its demerits.

Secondly, the decision to overlook the translation of the excerpts relieves the editor from excluding the peripheral citations of the text which may be of import to the Arab reader rather than the Orientalist.

Thirdly, the sections omitted for irrelevance to the original theme of the crusade of Alexandria in the fourteenth century comprise numerous passages of folklore literature and mediæval Islamic fiction together with a multitude of minor poets and poetry unknown in literary studies—a realm indeed of unusual value to literary scholars.

Fourthly, it is possible to concentrate the critical footnotes on the historic sections only, and this is a task which M. Combe and I have already accomplished in the original plan. Regarding the literary, poetic, juristic and epic material which I am restoring to the text alone, these are inserted with addenda from the Bankipore MS. and the identification is made of Qur'ānic verses.

Fifthly, in spite of its peripheral citations, the book comprises a considerable mass of data of archæological importance to the Islamic story of the city together with important source material on subjects such as the seafaring craft in the Mediterranean of which the author was apparently a daily observer.[5]

It is hoped therefore that the afore-mentioned reasons justify the renewed effort to refill the gaps already left in the text according to the older plan, however toilsome and time consuming this task may be in the service of literary scholarship.

* * *

(5) See note on the works of Gildmeister and Kindermann on this interesting topic.

جدول الخطأ و الصواب للجزء الأول من كتاب الإلمام

الصفحة	الحاشية	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٣	حاشية	١٤	به	بها
١٤٤	»	٦	الثالث	الرابع
١٤٥	١	٩	زيادات	[و] زيادات
»	»	١٠	كتاب الإمام	للحاكم الإمام
»	»	١١	العتبي	الضبي
١٥٨		٨	و خلإوانى	و لإخوانى
١٨٧		٥	بحدها	نجد ها
١٩٢		٣	غرة	غزّة
»		٦	البه	البهم
١٩٩		»	قد بـ	قد بلّ
»		١٣	جنّنا	جُنِّنا
٢٢١		٦	و للبغادرة	و للبغاددة
٢٣٤		٥	تأخذه	تأخذها
٢٤٦		١٣	خطوة	خطوة (كذا، و صحته بالجمع: خطى)
»	حاشية	٣	Dussand	Dussaud
»	»	٤	iii	Vol. III
٢٥١		٥	وزرعناها ... فجاؤا	فزرعناها ... فجاء
٢٥٢		٨	القسنلاط	القستلاط (كذا)
٢٥٦	حاشية	٨	مفارق	نفارق
٢٧٣		٢	هيّة	هيئة
٢٨٦	حاشية	٤	و ذريته	و لذريته
٢٩٦		١٠	الزبّاء	الزّبّاء
٣٠٠	حاشية	٦	لامعا	مائع (و فى بن: لمعا)
»	»	١٥	سبيه	شبيها (و فى بن: شبيه)

(3) The complete Bankipore MS., XV, 1066, though full of blank spaces and numerous obscurities, is invaluable in many respects and reference is made to it under the letters "ق".

"Kitāb al-Ilmām" was cited by older writers and modern ones. Amongst those who made a special notice on it are the famous fifteenth century historians ibn Hajar (d.852 A.H./1449 A.D.) and al-Sakhāwi (d. 902 A.H./1496 A.D.). The bibliophiles Hajji Khalifah and 'Umar Riḍā Kaḥḥālah both include it in their definitive listing of authors from the Islamic age.[6]

It is hardly possible to conclude this preface without commemorating my friend the late E't. Combe whose prominent role in dealing with both the text and the French translation thereof is noteworthy. Personally, I am aware that he devoted numerous decades of his rich scholarly life to those tasks, and it is only hoped that a French Orientalist may come forward to undertake the editing of the complete or partial translation of this important work.

Finally it is my duty to put on record my personal appreciation of both the Deccan government and the organization of Dairatul Ma'aref al-Osmaniyah for making the edition of this work a reality.

Salt Lake City, Utah, U.S.A. A.S. Atiya
February 1967

(6) See notes and excerpts in the Arabic Introduction.